www.kotobarabia.com

www.kotobarabia.com

مقالات

محمد مورو

الحاجة إلى المشروع الحضاري الإ سلامي -د-محمد مورو

الحاجة إلى المشروع الحضاري الإسلامي أصبحت حالة ملحة على الصعيدين العالمي والإسلامي، بل قل إن مستقبل البشرية عموماً ومستقبل العالم الإسلامي خصوصاً أصبح مرتبطاً بهذا المشروع ارتباطاً شديداً بل حيوياً.

ففي عالم يسوده الظلم والعنصرية والنهب والقهر والعنف والتطهير العرقي، واضطهاد الأقليات، في عالم المنفعة اللاأخلاقية التي أدت إلى إفساد البيئة والحياة فوق بركان نووي وذري، في عالم يموت فيه سنوياً ٥٠ مليوناً بسبب الجوع منهم ١٥ مليون طفل، في عالم يستأثر فيه ٢٠٪ من السكان بخيراته على حساب ٨٠٪ من هؤلاء السكان، في عالم الاغتراب بسبب سيطرة الآلة وحالات الانتحار حتى في البلاد الغنية ذاتها عالم الاكتئاب واللامعقول والإسفاف وقهر الإنسان، في هذا العالم تبدو الحاجة إلى مشروع حضاري يؤكد على قيمة الإنسان، ويتعامل مع الكون والطبيعة من منطلق الصداقة والتناغم والانسجام وليس الصراع والسيطرة والمنفعة اللاأخلاقية، مشروع حضاري يؤكد على المحافظة على البيئة وربط الإنتاج بحاجة الإنسان دون إخلال بالتوازن البيولوجي أو الاجتماعي، مشروع حضاري يؤكد على اللاعنصرية والعدل والحرية والمساواة والمسئولية الأخلاقية والاجتماعية عن الفقراء والمستضعفين، عالم بلا فقر ولا مجاعة ولا ازدواج معايير، عالم بلا اضطهاد للأقليات، أو ممارسة التطهير العرقي، عالم التعاون بين البشر وليس نهب بعضهم لحساب البعض الآخر، عالم بلا استبداد وبلا قهر وبلا عنف، وهذا كله لا يتوفر إلا في القيم الحضارية الإسلامية التي أثبتت سموها على المستوى النظري والمذهبي، وعلى المستوى التطبيقي، الأمر الذي يفتقده كل المنظومات الحضارية الأخرى، وخاصة المنظومة الحضارية الغربية التي عانى العالم الكثير بسببها ومازال يعاني، وعلى المستوى الإسلامي فإن الحاجة إلى المشروع الحضاري الإسلامي أكثر حيوية، لأن العالم الإسلامي هو الذي سوف يحمل تلك القيم الحضارية إلى العالم، ولأن العالم الإسلامي في مجمله خاضع للقهر والنهب والاستبداد بسبب الحضارة الغربية، وبالتالي فإن المشروع الحضاري الإسلامي هو وحده الطريق لهذا العالم الإسلامي نحو التحرر والتنمية والإنعتاق والنهضة، ولا شك أن فشل مشروعات النهضة التي استندت إلى القيم الغربية في العالم الإسلامي تؤكد بدورها على أن المشروع الحضاري الإسلامي هو وحده القادر على حشد الجماهير وانتزاع طريق السيادة الحضارية والنهضة والتنمية وحل كل المشكلات والتحديات التي يعاني منها أو يواجهها العالم الإسلامي.

وهكذا فإن المشروع الحضاري الإسلامي يأتي كل على مستويين: المستوى العالمي وهو المستوى الذي علينا أن نقدم من خلاله إلى العالم طريقاً جديداً مثيراً للخروج من مأزق العالم المعاق ومآسيه وظلماته، وهو المستوى الذي يتضمن التأكيد على قيم الحرية، والعدل، واللاعنصرية، وعدم ازدواج المعايير

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الورقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

والمحافظة على البيئة والتناغم معها، والمسئولية عن المستقبل ونصرة الفقراء والمستضعفين، وحماية الأقليات ووحدة المصير الإنساني وغيرها من القيم الحضارية الإسلامية.

والمستوى الإسلامي، وهو المستوى المرتبط باستنهاض من همم المسلمين نحو التوحيد والوحدة والجهاد وبناء نمط من التنمية مستقل وغير تابع، الأمر الذي يشكل البداية على طريق التحرر من الاستعمار والهيمنة الغربية، وتحقيق النهضة والتقدم والاتفاق ومن ثم يأتي بعد ذلك حمل القيم الحضارية الإسلامية للعالم بأسره.

لمشروع الحضاري الإسلامي أصبحت حالة ملحة على الصعيدين العالمي والإسلامي، بل قل إن مستقبل البشرية عموماً ومستقبل العالم الإسلامي خصوصاً أصبح مرتبطاً بهذا المشروع ارتباطاً شديداً بل حيوياً.

ففي عالم يسوده الظلم والعنصرية والنهب والقهر والعنف والتطهير العرقي، واضطهاد الأقليات، في عالم المنفعة اللاأخلاقية التي أدت إلى إفساد البيئة والحياة فوق بركان نووي وذري، في عالم يموت فيه سنوياً ٥٠ مليوناً بسبب الجوع منهم ١٥ مليون طفل، في عالم يستأثر فيه ٢٠٪ من السكان بخيراته على حساب ٨٠٪ من هؤلاء السكان، في عالم الاغتراب بسبب سيطرة الآلة وحالات الانتحار حتى في البلاد الغنية ذاتها عالم الاكتئاب واللامعقول والإسفاف وقهر الإنسان، في هذا العالم تبدو الحاجة إلى مشروع حضاري يؤكد على قيمة الإنسان، ويتعامل مع الكون والطبيعة من منطلق الصداقة والتناغم والانسجام وليس الصراع والسيطرة والمنفعة اللاأخلاقية، مشروع حضاري يؤكد على المحافظة على البيئة وربط الإنتاج بحاجة الإنسان دون إخلال بالتوازن البيولوجي أو الاجتماعي، مشروع حضاري يؤكد على اللاعنصرية والعدل والحرية والمساواة والمسئولية الأخلاقية والاجتماعية عن الفقراء والمستضعفين، عالم بلا فقر ولا مجاعة ولا ازدواج معايير، عالم بلا اضطهاد للأقليات، أو ممارسة التطهير العرقي، عالم التعاون بين البشر وليس نهب بعضهم لحساب البعض الآخر، عالم بلا استبداد وبلا قهر وبلا عنف، وهذا كله لا يتوفر إلا في القيم الحضارية الإسلامية التي أثبتت سموها على المستوى النظري والمذهبي، وعلى المستوى التطبيقي، الأمر الذي يفتقده كل المنظومات الحضارية الأخرى، وخاصة المنظومة الحضارية الغربية التي عانى العالم الكثير بسببها ومازال يعاني، وعلى المستوى الإسلامي فإن الحاجة إلى المشروع الحضاري الإسلامي أكثر حيوية، لأن العالم الإسلامي هو الذي سوف يحمل تلك القيم الحضارية إلى العالم، ولأن العالم الإسلامي في مجمله خاضع للقهر والنهب والاستبداد بسبب الحضارة الغربية، وبالتالي فإن المشروع الحضاري الإسلامي هو وحده الطريق لهذا العالم الإسلامي نحو التحرر والتنمية والإنعتاق والنهضة، ولا شك أن فشل مشروعات النهضة

التي استندت إلى القيم الغربية في العالم الإسلامي تؤكد بدورها على أن المشروع الحضاري الإسلامي هو وحده القادر على حشد الجماهير وانتزاع طريق السيادة الحضارية والنهضة والتنمية وحل كل المشكلات والتحديات التي يعاني منها أو يواجهها العالم الإسلامي.

وهكذا فإن المشروع الحضاري الإسلامي يأتي كل على مستويين: المستوى العالمي وهو المستوى الذي علينا أن نقدم من خلاله إلى العالم طريقاً جديداً مثيراً للخروج من مأزق العالم المعاق ومآسيه وظلماته، وهو المستوى الذي يتضمن التأكيد على قيم الحرية، والعدل، واللاعنصرية، وعدم ازدواج المعايير والمحافظة على البيئة والتناغم معها، والمسئولية عن المستقبل ونصرة الفقراء والمستضعفين، وحماية الأقليات ووحدة المصير الإنساني وغيرها من القيم الحضارية الإسلامية.

والمستوى الإسلامي، وهو المستوى المرتبط باستنهاض من همم المسلمين نحو التوحيد والوحدة والجهاد وبناء نمط من التنمية مستقل وغير تابع، الأمر الذي يشكل البداية على طريق التحرر من الاستعمار والهيمنة الغربية، وتحقيق النهضة والتقدم والاتفاق ومن ثم يأتي بعد ذلك حمل القيم الحضارية الإسلامية للعالم بأسره.

التوحيد–د.محمد مورو

التوحيد هو الحقيقة الكبرى في هذا الكون، وهو المقوم الأول للعقيدة الإسلامية، والتوحيد هو الرسالة الجوهرية التي جاء من أجلها جميع الأنبياء من لدن آدم وحتى محمد ﷺ "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون".

وقد تعرضت عقيدة التوحيد– في حياة الأمم السابقة من أهل الكتاب– إلى الكثير من التحريف والخلط، إلا أن الله تعالى حفظ للإسلام والمسلمين باعتباره خاتم الأديان، وباعتبار الرسول ﷺ آخر الأنبياء، وباعتبار القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، حفظ له القرآن من التحريف، وأصول العقيدة من التشويش "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

وهكذا فإن التوحيد هو أهم ما يميز أمة الإسلام عن غيرها من الأمم.

والتوحيد بالطبع شرط لصحة العقيدة والنجاة في الآخرة وهو أيضاً دافع مهم من دوافع الإبداع الحضاري وتحقيق العمران في الأرض، فهو إذن أهم مقومات المشروع الحضاري الإسلامي، وللتوحيد أثار مهمة على الصعيد الحضاري، ذلك أن انفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية، وإدراك أن جميع البشر عباد لله يعني بالتالي ضرب مفاهيم الطبقية والعرفية الاقتصادية والسياسية والجنسية واللونية، وليس هناك فرد أو طبقة أو جماعة بشرية أفضل من غيرها أو أحق بالثروة أو السلطة، والتفاضل لا يكون إلا بالتقوى.

والتوحيد أيضاً يمنع احتكار الدين لطبقة، أو المتاجرة به من قبل رجال الدين المنحرفين، أو ممارسة الاستبداد السياسي أو الاستئثار بالثروة، بدعوى أن هذا أو ذاك هو ظل الله على الأرض، أو المتحدث باسمه أو شعب الله المختار، فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وجميع الناس عباد لله.

ولقد حرص الإسلام على إدماج التشريع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، حتى يكون الله وحده مصدر التشريع وبالتالي لا يستغل فرد أو طبقة أو مجموعة سلطتها في سن التشريعات التي تكرس سلطتها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ومهمة أمة الإسلام الأولى هي إخراج العباد من عبادة العباد بأي صورة من الصور إلى عبادة الله الواحد القهار.

وللتوحيد أهمية خاصة في المشروع الحضاري الإسلامي ذلك أن العمران البشري، كالعبادة، مرتبط بغاية هي إرضاء الله تعالى، ومرتبط بأسلوب هو الأسلوب الذي وصفه الله تعالى في تشريعه المحكم، وهذا أولاً يحقق أوسع الحريات، وأسلم وسائل العلاقات الإنسانية، بين الإنسان والكائنات والطبيعة في تناغم وتناسق يحفظ للأرض وللكون أمانه في الحاضر والمستقبل، وفضلاً عن هذا فإن مقتضى التوحيد

يعني الخضوع لله تعالى في ممارسة العمران البشري كوسائل وغايات، أي الخضوع لشريعة الله في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعلاقات الدولية.. إلخ، وهذا بالطبع يحقق أفضل الفرص للإبداع الحضاري وأكثرها أمانا وعدلا وجدوى، ذلك أنه مهما أوتي فرد أو جماعة بشرية من العلم فإنها لا تحيط بأسرار الإنسان والكون وبالتالي لا تستطيع أن تضع التشريعات الصالحة للعلاقات بين البشر أو بين البشر والكون والكائنات فضلاً عن حرص هذا الفرد أو الجماعة البشرية على تحقيق مصالحها الخاصة دون الباقين، أما الله تعالى إله الناس جميعاً رب الناس جميعاً وخالق كل شيء، العالم بكل شيء فهو وحده القادر على وضع التشريع المناسب لكل البشر والكائنات والكون بدون تحيز وبعلم وشمول وإدراك مطلق.

"ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير".

وللتوحيد أيضاً أهميته في إطلاق طاقات الإنسان التي أودعها الله فيه، لأن الإنسان الموحد يسير في اتجاه الفطرة، وبالتالي يوفر الوقت والجهد المترتب على الصراع مع الفطرة، والأمر أشبه بسرعة سفينة ذات كفاءة ميكانيكية معينة تسير في اتجاه التيار أو في عكس هذا الاتجاه، وبالطبع فإنها في الحالة الأولى تحقق سرعة أكبر وإنجازاً أكثر.

والإنسان الموحد يؤمن بأن الله هو أقوى الأقوياء، فلا يخاف غيره، وهو الرازق فلا يلتمس الرزق من غيره وهو المعز المذل وبيده مقاليد كل شيء وبالتالي يستطيع أن يواجه أعتى القوى معتمداً على الله تعالى، وهذا يجعل الأمة الموحدة أكثر إنجازاً وأقدر على خوض كل التحديات وبالتالي يكون للتوحيد الأثر الجبار في التقدم الحضاري والعمران البشري، وهكذا فالتوحيد هو العنصر الأهم في المشروع الحضاري الإسلامي، إذ لو قارنا بين جماعة بشرية تدرك أن عملها الحضاري مرتبط بالله في الغايات والوسائل ووجدت أمامها تحدياً أكبر من طاقتها، فإنها لا تفر أمامه بل تأخذ بالأسباب وتشحذ طاقاتها ثم تتقدم معتمدة على مدد الله وبالتالي تستطيع أن تصنع المستحيل، أما الجماعة البشرية التي لا تؤمن بمدد الله، أي تؤمن بالأسباب وحدها فإن الحسابات المادية المجردة قد تجعلها تفر من أمام التحديات التي تراها بالحسابات المادية أكبر من طاقتها المادية.

الحركة الإسلامية- محمد مورو

أين تقع الحركة الإسلامية في المشروع الحضاري الإسلامي الأمر هنا يتوقف على رؤية الحركة الإسلامية لنفسها ورؤيتها لأهدافها ومهامها ومستوى سلوكها السياسي والاجتماعي وأطروحتها الفكرية.

لو تصورت الحركة الإسلامية نفسها مثلاً شعب الله المختار وأنها هي الطائفة الملتزمة وغيرها العاصي وغير الملتزم أو تصورت نفسها مثلاً المسلمة وغيرها كافراً أو مشكوكاً في إسلامه، لو تصورت نفسها بديلاً عن الأمة، تخوض المعارك والتحديات في غياب الأمة وبدلاً عنها، لو تصورت نفسها شيئاً خارج حركة الأمة عموماً، فإنها بذلك تكون قد أخطأت خطأ فادحاً، بل قل: إنها ستكون أحد أسباب استمرار هزيمة الأمة حضارياً، وستضيف تحدياً ومشكلة جديدة وسلبيات جديدة فوق التحديات والمشاكل والسلبيات التي تعاني منها الأمة، وهي في هذه الحالة تكون مجرد شكل من أشكال أزمة الأمة التي تعانيها حالياً، إفرازاً ناشئاً عن حالة الهزيمة الحضارية أي هي ليست حلاً للأزمة– بل هي نتيجة لتلك الأزمة الحضارية التي تعاني منها أمتنا في تاريخها المعاصر.

ولو تصورت الحركة الإسلامية نفسها، أنها مجرد طليعة للأمة وجزء لا يتجزأ منها، وأنها مجرد خميرة للنهضة وبالتالي فهي شديدة الالتحام بالأمة والجماهير لا تنفصل عنها، وهي دائماً وأبداً تدرك أن من شروط النهضة أن تنهض الأمة كلها وتخوض الأمة كلها معاركها وتتجاوز تحدياتها، وأن هدفها الرئيسي هو حشد كل قطاعات الأمة بكل مستوى فاعلياتها وتقواها في المعركة، وأنها ليست بديلاً عنها، لو أدركت الحركة الإسلامية أنها ليست منوطة بالفصل في الخلافات العقائدية أو ترجيح مذهب أو رأي على رأي– فهذا مكانه الجامعات والمعاهد العلمية، بل هي تتبنى إيقاظ الأمة والعمل كخميرة للنهضة وحشد كل الناس في المعركة وإدراك أن المعركة شرسة وتقتضي مشاركة كل الجماهير، وتلفت النظر إلى التحديات الجوهرية للأمة من تحرر من الاستعمار، إلى تنمية مستقلة وغير تابعة، إلى مواجهة التحدي الصهيوني، إلى دفع الجماهير إلى المشاركة والإيجابية، وتأكيد قيم الجهاد والوحدة والحرية، فإنها في هذه الحالة سوف تكون رأس السهم في المشروع الحضاري الإسلامي.

ويجب أن نؤكد هنا أن الفتوى واستنباط الأحكام وقضايا الحلال والحرام هي من اختصاص العلماء المؤهلين المتخصصين، وليست من اختصاص المفكرين الإسلاميين أو الكتاب والصحفيين أو حتى بعض الهواة كما يحدث أحياناً، وقد يؤدي هذا الخلط وعدم التفريق بين العالم و المفكر فضلاً عن دخول الهواة وغير المتخصصين إلى كوارث، لأن العلوم الشرعية– كأية علوم– تحتاج إلى التخصص الدقيق لكي يصبح الإنسان قادراً على الفتوى فيها، وللاجتهاد وإصدار الأحكام الشرعية شروط معروفة لا تتوفر

بالطبع إلا في أهل الاختصاص أو قل إن الشرط الأول فيها أن يكون المتصدي لها من العلماء المتخصصين الحاصلين على إجازات علمية تؤهلهم لذلك، وكذلك فإن الخلافات الفقهية مكانها معاهد العلم المتخصصة وتحسم من خلال العلماء المتخصصين وحدهم.

الجهاد/د.محمدمورو

الجهاد ركن ركين في المشروع الحضاري الإسلامي، ذلك أنه فريضة إسلامية. وهو طريق الصعود الحضاري وطريق أيضاً لتحقيق ونشر القيم الإسلامية وإزالة الاستكبار من الأرض، وهو في حالتنا الراهنة أكثر وجوباً حيث أرضنا مغتصبة في فلسطين وأذربيجان والبوسنة، وعرضنا منتهك في الهند وفلسطين وأذربيجان والبوسنة والهرسك وغيرها، وأمتنا برمتها وحضارتها بكاملها مهددة بالضياع، وفي مثل هذه الأحوال يكون الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

وفي الحقيقة فإن تتبع مراحل المنحنى الإسلامي في صعوده وهبوطه نجد أن الجهاد شرط للصعود، والقعود مرتبط بالهبوط الحضاري، بل يكاد ينطبق منحنى الجهاد مع المنحنى الحضاري الإسلامي صعوداً وهبوطاً.

الجهاد إذن هو روح الأمة وحضارتها وسر وجودها، والجهاد طريق أصيل نحو الجنة ورضا الله تعالى، والنجاة في الآخرة وطريق واسع أيضاً للعزة والسيادة والنصر في الدنيا وهو وسيلة لترقية الأخلاق وتحقيق النهضة والعمران في الدنيا.

الجهاد جزء لا يتجزأ من التركيبة الوجدانية والنفسية للمسلم وللجماعة المسلمة وللأمة المسلمة، وبدون الجهاد يحدث خلل في تلك التركيبة، ويصبح الفرد والجماعة والأمة في حالة عجز بسبب هذا الخلل عن الأخذ بأسباب العلم والتمسك بالأخلاق والعمل الإيجابي عموماً في الدنيا، أي تصبح الأمة عاجزة عن النهوض الحضاري والعمراني والاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والعلمي.. إلخ، بل وتصاب عند غياب الجهاد بالكثير من الأمراض التي تصيبها بالشلل أو العجز أو اللامسئولية أو حتى التآمر والصراع مع بعضها البعض والتآكل من الداخل.

يقول الله تعالى "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" أي أن الجهاد ليس فقط طريقاً إلى الاستشهاد أو النصر بل يفتح أمام المجاهد سبل الهداية إلى سبل الله العلمية والأخلاقية والعمرانية وتحقيق النهضة والتقدم في كل مجال، والراسخون في العلم يدركون أنه من أراد ترقية أخلاق المسلمين وتكثيف حسهم الإيماني وزيادة جرعة العبادة لديهم والتمسك بالفرائض والنوافل فعليه أن يدفعهم إلى طريق الجهاد، لأن الجهاد طريق التقوى، ومن أراد للمسلمين أن يحققوا نهضة علمية أو اقتصادية أو عمرانية أو ينزع من بينهم فتيل المشاحنة والصراع والتباغض فعليه أن يدفعهم إلى الجهاد، فالجهاد هو الأسلوب الصحيح للتربية الأخلاقية وهو الأسلوب الصحيح لنهضة الأمة في كل مجال وفي أي مجال.

ولأن الجهاد هو طريق النجاة في الآخرة، وهو طريق النصر والعزة والسيادة في الدنيا، ولأنه طريق إلى التقوى والأخلاق والإيجابية والنهضة العلمية والاقتصادية والحضارية عموماً فإن الله جعل للجهاد أجراً عظيماً.

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين" آل عمران ١٦٩.

ويقول تعالى "وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً" النساء ٩٥. ويقول الرسول ﷺ، عندما سئل أي الأعمال أفضل؟ قال "الإيمان بالله ورسوله قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله" قيل: ثم ماذا قال: حج مبرور" أخرجه البخاري ومسلم.

ويقول "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره والقائم ليله حتى يرجع" أخرجه أحمد والطبراني والبزار.

و"جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: علمني عملاً يعدل الجهاد؟ قال: "لا أجده" هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجداً فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال "لا أستطيع ذلك". رواه البخاري ومسلم.

"قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل– فقال رسول الله ﷺ عليه وسلم: مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قالوا: ثم من قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره". أخرجه البخاري ومسلم.

ويقول: "جهاد يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه" أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه.

ويقول: "مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة" أخرجه الحاكم وصححه.

ويقول: "الإسلام ثلاثة أبيات سفلى وعليا وغرفة فأما السفلى فالإسلام دخل فيه عامة المسلمين، فلا يسأل أحد منهم إلا قال أنا مسلم وأما العليا فتفاضل أعمالهم بعض المسلمين أفضل من بعض، وأما الغرفة العليا فالجهاد في سبيل الله لا ينالها إلا أفضلهم" أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

إذن فللجهاد ثواب كبير في الآخرة. وهو أيضاً طريق للعزة والسيادة والتقدم الحضاري والتوازن في الدنيا وبدونه يحدث انحطاط حضاري وأخلاقي وعمراني وفساد كبير يقول الله تعالى: "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" البقرة ٢١٦.

وهذه الآية الكريمة تقرر أن الجهاد والقتال فريضة، وتقول أيضاً: إن هذا الجهاد خير، والخير هنا ينصرف إلى الفوز في الآخرة وتحقيق العزة والسيادة والعمران والتقدم في الدنيا، لأن كلمة الخير تجمع في داخلها جميع المصالح والمنافع والعكس صحيح ألا وهو أن القعود عن الجهاد طريق إلى الضياع والفساد والانحطاط الحضاري لأن كلمة الشر كلمة تجمع كل المفاسد والانحطاطات والمساوئ.

ويختم الله الآية الكريمة بقوله "والله يعلم وأنتم لا تعلمون"، أي أن الله تعالى يعلم ما يصلح الدنيا والآخرة، وبالتالي فرض عليكم القتال لصلاح الدنيا والآخرة.

ويقول تعالى: "ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين" العنكبوت ٦ أي أن الجهاد هو لمصلحة الإنسان أساساً وطريق إلى التقوى والعلو والعزة في الدنيا.

ومما يؤكد المعنى السابق قوله تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" أي أن الجهاد طريق إلى التقوى والأخلاق والعلم والتقدم والعمران وكل السبل التي يهدي الله الإنسان إليها وهي بالطبع سبل لإصلاح الدنيا والجماعة والفرد وتحقيق التقدم والنهضة والعمران والسيادة والصعود الحضاريين.

ويقول تعالى: "انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" التوبة٤١.

وهذه الآية تؤكد أن الجهاد خير للإنسان وللجماعة وللأمة وللبشرية وهو خير في التقوى والأخلاق والعمران والصعود الحضاري.

وفي الحديث الشريف: "ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب" أخرجه الطبراني في الأوسط.

فالقعود عن الجهاد طريق إلى العذاب في الدنيا والذل والخضوع للأعداء والانحطاط الحضاري وكل الشرور وعموماً فإن الصعود الحضاري مرتبط بالجهاد والانحطاط الحضاري مرتبط القعود عن الجهاد، وعلى المستوى الجماعي فإن الجهاد شرط للنهضة والقعود سبيل إلى التردي وعلى المستوى الفردي فإن تارك الجهاد على شعبة من النفاق، ففي الحديث الشريف "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق" أخرجه مسلم.

و"من لقى الله بغير أثر من جهاد، لقيه وفيه ثلمة" أخرجه الحاكم.

بل والجهاد أيضاً طريق إلى الصحة النفسية، والقعود عن الجهاد طريق إلى الأمراض النفسية وعدم التوازن والاكتئاب ففي الحديث الشريف "جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة، فينجي الله به من الهم والغم".

لأمة الإسلام رسالة كبرى هي تحرير الناس من الظلم الاقتصادي والاستبداد السياسي والدفاع عن الضعفاء ومنع اضطهاد الأقليات بكل أشكالها وإزالة الاستكبار والعنصرية وتحقيق الحرية والعدالة في الأرض، وهذا بالطبع لا يأتي إلا بالجهاد، فالجهاد هو وسيلة الأمة إلى تحقيق رسالتها المنوطة بها.

يقول الله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين". البقرة ١٩٢.

وهذه الآية الكريمة تحدد أهداف الجهاد وهي إزالة الفتنة فتنة الإكراه على الدين، وفتنة الاستبداد السياسي، وفتنة الظلم الاقتصادي، وفتنة اضطهاد الأقليات، وفتنة العنصرية، وفتنة انتهاك حقوق الإنسان في أي مكان فإذا خضع الظالمون وانتهوا عن هذا وغيره من المظالم فلا عدوان إلا على الظالمين.

ونظراً لأن ظروف أمة الإسلام حالياً، لا تسمح لها بأداء هذا الدور- وإن ظل واجباً عليها- فإن الجهاد ينبغي أن يوجه إلى تحرير ديار المسلمين في فلسطين والبوسنة وأذربيجان.. وغيرها، وتحقيق العدالة والحرية في بلاد المسلمين ومواجهة التحديات الضخمة التي نواجهها الآن كأمة، وفي مثل الحالة التي نحن فيها فإن الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة. ويشكل الجهاد من أجل تحرير فلسطين المركز والجوهر في هذا الجهاد باعتبار التحدي الصهيوني أخطر التحديات التي نواجهها ويجب اعتبار القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة الإسلامية إلى أن يتم تحريرها بالكامل بإذن الله تعالى.

العدل - د- محمد مورو

العدل قيمة كبرى من قيم المشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام، أي فيما يخص المسلمين وغير المسلمين، وعلينا أن نبشر بالعدل ونأمر به ونأخذ به أنفسنا ونأخذ به الآخرين ونجاهد من أجل فرض العدل وتحقيقه في كل مكان ونصرة المظلوم أياً كان وفي أي مكان كان.

يجب أن نكون عادلين مع أنفسنا ومع الآخرين، عادلين في كل شيء في الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء، ويجب توخى العدالة في المنازعات القانونية المحلية والدولية، بين الأفراد وبين الجماعات وبين الأمم على حد سواء، يجب توخي العدالة وذلك بعدم ازدواج المعايير القانونية، فما يطبق على الشريف يطبق على الضعيف وما يطبق على الحاكم يطبق على المحكوم، وما يطبق على الأصدقاء والأحباء يطبق على الأعداء والمكروهين، وما يطبق على الغني يطبق على الفقير.

يقول الله تعالى "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل". "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون" سورة النحل ٩٠.

والله تعالى يتوعد الظالمين "إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم" الشورى ٤٢ "ألا لعنة الله على الظالمين" هود ١٨.

وفي الحديث القدسي "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما..." حديث صحيح.

"إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة..." حديث صحيح.

ومن الأقوال المأثورة "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة".

"الظلم يجلب النقم ويسلب النعم".

"لا يكون العمران حيث يجور السلطان".

من أهم مقومات العدل في الإسلام وجود معايير واحدة تنطبق على الجميع بدون استثناء، على من نحب ومن نكره "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى" المائدة ٨.

على الأقربين والأبعدين بل على أنفسنا "كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين".

على الشريف والضعيف "إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنتي سرقت لقطعت يدها".

على القوي والضعيف فأبو بكر الصديق رضي الله عنه هو القائل "القوي منكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف قوي حتى آخذ الحق له".

ويروي التاريخ الإسلامي أن أميراً من أمراء الغساسنة كان يطوف بالبيت في عهد عمر بن الخطاب فوطئ إزاره شاب من قراره فلطمه الغساني لطمة جدعت أنفه، فذهب الشاب إلى الخليفة عمر بن الخطاب وشكا إليه، فقال عمر للغساني له القصاص أو يعفو عنك، قال كيف وأنا أمير وهو سوقه؟ فقال عمر لقد سوى الإسلام بينكما فلا تفاضل إلا بالتقوى فأخذ الأمير يسترضي الشاب الأعرابي، فلم يرض إلا أن يلطمه كما لطمه، وعلم الأمير أن الخليفة عمر سيمكن هذا الأعرابي من القصاص لا محالة ففر إلى الروم مرتداً عن الإسلام، فما اهتم عمر بذلك، فإنه خير للإسلام أن يخرج منه أمير على أن يمارس ازدواج المعايير.

وعندما ضرب ابن حاكم مصر أي ابن "عمرو بن العاص" عندما ضرب القبطي المصري، أمر عمر بن الخطاب خليفة المسلمين عندما وصل إليه الأمر- أن يضرب القبطي المصري ابن حاكم مصر بنفس الطريقة قصاصاً له وقال قولته المشهورة اضربه كما ضربك اضرب ابن الأكرمين".

والرسول ﷺ لم يستنكف أن يضع نفسه موضع القصاص وعرض نفسه للناس ليأخذوا حقوقهم منه حيث صعد المنبر قبيل وفاته قائلاً ما معناه "أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري.. ومن كنت أخذت منه مالاً فهذا.. ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي.."الحديث.

وعمر بن الخطاب يعطي الدرة للرجل ليضربه كما ضربه عندما اكتشف عمر بن الخطاب أنه ضربه بغير حق، ولكن الرجل يمتنع فيقول له اعف عنى فيقول الأعرابي ولا أعفو حتى أن عمر بات ليلة مغتماً، فلما رآه الأعرابي في اليوم التالي وجد أثر الألم والهم على وجهه، فقال الأعرابي لعمر بن الخطاب لعل هذا لما كان بالأمس، فقال عمر الخليفة العادل نعم فقال الأعرابي الآن عفوت عنك.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر قضاته بالتسوية بين الخصوم في المجلس والنظر والإشارة والإقبال وقال في كتابه إلى أبي موسى الأشعري "سو بين الخصمين في مجلسك وإشارتك وإقبالك، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يطمع قوي في ضعفك".

ويروى أن أبا موسى الأشعري ضرب بعض رعيته أسواطاً وعلم ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرسل عمر إلى أبي موسى الأشعري، يقول له لقد عزمت عليك إن كنت ضربته في ملأ من الناس فليضربك بينهم، فلما حضر الرجل، وضع أبو موسى الأشعري نفسه في موضع الاستعداد لتلقي الضرب بالسوط، فعفا الرجل عنه.

ويروى أيضاً أن عمرو بن العاص قال لأحد الرجال يا منافق وكان ذلك في المسجد، فذهب الرجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له "لقد نفقني الأمير- وكان عمرو بن العاص أميراً- وما نافقت منذ أن أسلمت، فأرسل عمر إلى "عمرو" وقال له إن كنت نفقته في ملأ، فليضربك كذا سوط، فذهب الرجل إلى المسجد وقال من منكم سمع الأمير ينفقني، قالوا كلنا سمعه، فقرأ عليهم الكتاب فقال بعض المدهنون "أو تضرب الأمير؟! وصاحوا فيه مستنكرين ذلك، فقال الرجل ليس لأمير المؤمنين هنا طاعة، فقدم عمرو بن العاص نفسه إلى الرجل ليضربه، فقال الرجل الآن عفوت.

ووصل أمر العدل وعدم ازدواج المعايير "أن المسلمين كانوا قد دخلوا بلداً يدعي صفد في إقليم سمرقند واشتكى أهل البلد إلى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين أن القائد الإسلامي قتيبة بن مسلم قد دخل ديارهم من غير أن يتبع معهم سنة الإسلام في تخييرهم بين الإسلام أو العهد والجزية أو الحرب، بل قاتلهم قبل أن يعرض عليهم هذه الخيارات، وحول الخليفة هذه الشكوى إلى القاضي، فدرس القاضي الموضوع وتبين صدق الشكوى، فأمر الجند بالخروج من الديار التي دخلوها، ونفذ الجند الأمر، وتركوا مدينة صفد امتثالاً للعدالة الإسلامية التي لا تعرف ازدواج المعايير.

وهكذا تعكس نصوص الإسلام العدل وعدم ازدواج المعايير كأروع ما يكون، وتعكسها أيضاً ممارسات الإسلام وحضارة الإسلام، ولا شك أن التركيز على هذه القيمة يعطي دفعة قوية للمشروع الحضاري الإسلامي أمام البشر جميعاً وهم الذين يعانون الآن وقبل الآن من غياب العدل ومن ازدواج المعايير في ظل الحضارة الغربية.

اللا عنصرية

عانت البشرية طويلاً، ومازالت تعاني حتى هذه اللحظة، من الممارسات العنصرية للحضارة الغربية، ومنذ تفوق الحضارة الغربية وقهرها للعالم وسيطرتها عليه، وهي تمارس أشكالاً متعددة من العنصرية من إبادة أجناس كاملة "الهنود الحمر" والتطهير العرقي للشعوب كالبوسنة والهرسك، أو

استرقاق السود وإقامة أنظمة الفصل العنصري – ، ومازال الوجدان العنصري والممارسات العنصرية موجودة في أمريكا وأوروبا، لأن العنصرية جزء أصيل من القيم الحضارية الغربية.

ولا شك أن إبراز المساواة الإنسانية– واللاعنصرية وهي من السمات الأساسية في الإسلام، لا شك أن إبراز هذه النقطة تشكل نقطة إضاءة كبيرة للمشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام ويعكس الإسلام– وتعكس الحضارة الإسلامية على المستوى النظري والتطبيقي أروع صور المساواة واللاعنصرية "فالناس سواسية كأسنان المشط" "وإن أكرمكم عند الله أتقاكم" "ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى" "كلكم لآدم وآدم من تراب" "إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية وتفاخرها بالآباء والأجداد، الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى".

ولم تكن مصادفة أن التجربة الإسلامية الأولى قامت على أكتاف رجال كان منهم الكثيرون من العبيد والموالي أمثال بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وزيد بن حارثة.. وغيرهم، وكان من هؤلاء العبيد والموالي الكثير من قادة الإسلام العظام في كل مجال عسكري أو سياسي أو ثقافي، وكان منهم العلماء في العلوم الدينية والدنيوية على حد سواء وأسهم هؤلاء إسهاماً كبيراً في بناء وازدهار الحضارة الإسلامية، التي شارك فيها الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، التركي والفارسي والعربي على حد سواء.

ولعل إحدى السمات التي عاشت حتى الآن مع المسلمين ولم تتعرض للضعف في وجدانهم وسلوكهم برغم حالة الانحطاط التي يعيشونها هي روح المساواة الإنسانية واللاعنصرية، حيث إن المسلمين حتى الآن لا يعطون لاختلاف اللون أو الجنس أي اهتمام ويمارسون اللاعنصرية كسلوك عادي، حتى إن أحداً من المسلمين لم يهتم ولم يلتفت– وقطعاً لم يرفض– أن يكون الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي هو الأستاذ حامد الغابد الإفريقي الأسود.

الدفاع عن المظلومين -د-محمد-مورو

الدفاع عن المظلومين فريضة إسلامية، المظلومين سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، فرداً أو جماعة أو أمة أو طائفة وفي عالم يسوده الاستكبار وتمارس دولاً وحكومات وجماعات بشرية وأفراداً الظلم على الآخرين، فإن الدفاع عن المظلومين يصبح رقماً مهماً في معادلة المشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام.

والله تعالى شرع الجهاد وفرضه على المسلمين للدفاع عن المظلومين مسلمين أو غير مسلمين، في كل زمان ومكان ورفع الظلم عن البشر أياً كان دينهم أو جنسهم أو لونهم. "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين" البقرة ١٩٣.

"وما لنا لا نقاتل في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان.."

"والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون.."

وفيما يرويه الرسول ﷺ عن رب العزة "وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجلة أو آجله، وأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل".

ويقول الرسول ﷺ "لا يقفن أحدكم موقفاً يقتل فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على كل من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تتنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه".

ويقول "ما من مسلم يخذل مسلماً في موضع تهتك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يجب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في مواطن يجب فيها نصرته".

ويقول "من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل أو بقول كان على الله أن يدخله مدخله".

ويقول "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"

إنصاف المحرومين

في عالم يستأثر فيه ٢٠٪ من السكان بكل أو معظم الثروات على حساب ٨٠٪، في عالم يجوع فيه الناس بل يموتون جوعاً "يموت في إفريقيا وحدها ٥٠ مليون من الجوع سنوياً منهم ١٥ مليون طفل"، في عالم فيه اختلال مروع في توزيع الثروة سواء على مستوى القارات، حيث تستأثر قارات على حساب قارات أخرى، أو على مستوى الدول.

حيث تستأثر بالثروات دول على حساب دول أخرى، أو حتى داخل الدولة الواحدة حيث تستأثر طبقة على حساب طبقة، فإن إبراز اهتمام المشروع الحضاري الإسلامي بإنصاف المحرومين اقتصادياً والدعوة إلى عدالة توزيع الثروة أمر له أهميته في إقناع العالم بالمشروع الحضاري الإسلامي، وهو أيضاً فرض شرعي علينا تجاه الأمم والشعوب والأفراد المحرومين.

ونحن مطالبون بالدعوة إلى إعادة توزيع الثروة في العالم على مستوى العلاقات الدولية وقوانين التجارة وأسعار الخامات ونقل الخبرات العلمية والاهتمام بالتدريب والتعليم لتحقيق أكبر قدر ممكن من الثروة والنهضة للدول المختلفة والقارات المختلفة.

ومطالبون أيضاً داخل كل دولة على حدة بالانحياز للفقراء والمحرومين، والعمل على استعادة حقوقهم الاقتصادية والقضاء على التفاوت الطبقي ومنع استئثار طبقة بالخيرات على حساب طبقة أو طبقات أخرى وننطلق في هذا الأمر من إدراكنا بأن الثروات المتاحة في العالم تكفي جميع سكان العالم آلاف المرات وليس في هذا مبالغة. وأن الحرمان والفقر الموجود في هذا المكان أو ذاك يرجع إلى سوء توزيع الثروة أو عدم استقلالها أصلاً "وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار" ظلوم بمعنى يظلم في توزيع الثروة، وكفار بمعنى لا يحس استغلالها وبالتالي فإنه من غير المعقول ولا من الطبيعي أن يستمر الجوع والفقر في العالم برغم كل هذه الثروات وعلينا أن نجاهد لرفع الظلم عن المحرومين أفراداً وشعوباً واستعادة حقوق هؤلاء المحرومين.

ولا شك أن الدعوة إلى إشباع حاجات الناس جميعاً أصل إسلامي واضح "حتى لا تكون دُولة بين الأغنياء" الحشر ٧ "ليس منا من بات شبعاناً وجاره جائع" حديث شريف والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو مدينة أو دولة أو قارة.. وهكذا" "إذا جاع الناس فلا مال لأحد" حديث شريف.

"من كان عنده فضل ظهر فليجد به على من لا ظهر له.." وعدد جميع أنواع النعم. حديث شريف.

"يسألونك ماذا ينفقون قل العفو.." أي على الإنسان أن ينفق على المحرومين كل ما زاد عن حاجته. "لأخذت أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء" قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

"ما حرم فقير إلا بما متع به غني" قول لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أي الحرمان يأتي من الظلم وسوء توزيع الثروة.

حماية الأقليات

من العناصر المهمة في المشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام مسألة حماية الأقليات، وفضلاً عن أنها فريضة شرعية، فإنها أيضاً تعكس القيم العظيمة لحضارة الإسلام بحيث تصبح هذه المسألة نقطة جذب حضاري لدخول العالم في المشروع الحضاري الإسلامي ولاشك أن الكثير من الأقليات الدينية والعرقية والقومية في العالم تعاني من الاضطهاد منذ أن سادت وهيمنت الحضارة الغربية على مقدرات العالم.

والأصول النظرية، والممارسات العملية في حضارة الإسلام تمثل أروع وأعظم ما عرفته البشرية في هذا الإطار فبداية فإن الإسلام يخدم خصوصية الأقليات ويحرص على تأكيدها "لا إكراه في الدين" "من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" ويدعو إلى احترام الجماعات البشرية بعضها بعضاً "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" ويجعل المعيار القانوني واحداً بالنسبة للأقلية والأغلبية فلا ازدواج معايير هناك "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى" المائدة ٨ "كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين" النساء ١٣٥.

"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم". ويقول الرسول ﷺ "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به".

ويقول "من ظلم معاهداً أو ذمياً أو كلفه قومه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة".

وفي هذا الصدد ننقل عن المفكر الإسلامي إسماعيل الفار وفي قوله "لقد بلغ المجتمع الإسلامي حدوداً تفوق التصور في توفير حرية الاعتقاد للآخرين، وقد حدد المسلمون تلك الميزه- حرية الاعتقاد- التي منحها الله لليهود والمسيحيين والصابئين في القرآن الكريم- حتى شملت الزرادشتيين والهندوس والبوذيين والمجوس والموالين للديانات الأخرى عندما اتصلوا بها".

ويقول الكاتب الإسلامي فهمي هويدي "لم يقتصر الأمر على مجرد حماية الأقليات وتحقيق حرية الاعتقاد للآخرين، بل تعدي إلى قيام المسلمين بحفظ التراث الحضاري للديانات الاخرى".

ويروي شكيب أرسلان في مقال له بعنوان التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي "أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة في أحد المجالس في جدال مع بعض رجال الدولة الأوروبيين فيما يتعلق بهذا الموضوع، فقال لهم الوزير العثماني: إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهم مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا ولو كنا قادرين على استئصالهم- ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نبقي بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام فما هجس في ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً.

وكان إذا خطر هذا ببال أحد ملوكنا كما وقع للسلطان سليم الأول العثماني تقوم في وجهه الملة ويواجهة أمثال زنبيلي أفندي على شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزيحهم عن أوطانهم فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً لشرع الله الحنيف، فيبقى بين أظهرنا حتى أبعد القرى وأصغرها نصارى ويهود وصابئة وسامرة ومجوس وكلهم كانوا– وآخرون– لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد، واشترطتم على من أراد البقاء بينكم أن يتنصر، ولقد كان في أسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، وكان في جنوب فرنسا وشمالي إيطاليا وجنوبها مئات الألوف منهم، ولبثوا في هذه الأراضي أعصراً مديدة، وما زلتم تستأصلون منهم حتى لم يبق في هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام، ولقد طفت بلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم".

وفي إطار الحضارة الإسلامية، عاشت الأقليات ومارست عقيدتها وحريتها، بل شاركت في الممارسات الحضارية الإسلامية، وقد بلغ التسامح الإسلامي الديني في تجربة الحضارة الإسلامية في الأندلس مبلغاً عظيماً، ولدت أسماء مسيحية ويهودية في إطار الحضارة الإسلامية ولعل ابن ميمون الأندلسي خير شاهد على ذلك فبرغم كونه يهودياً يعيش في مجتمع مسلم، إلا أن ذلك لم يعفه من أن يصبح مفكراً أو فيلسوفاً بارزاً.

وفي الحقيقة فإنه إذا كانت الأقليات قد مارست حريتها في ظل الحضارة الإسلامية، وإذا كانت هذه الأقليات في الشرق بالذات وفي حالة أقباط مصر على وجه الخصوص قد اندمجوا في الحضارة الإسلامية وساهموا في صنعها وازدهارها، وأصبحوا بالتالي جزءاً منها بحيث إنهم أصبحوا ينتمون إلى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن وإن اختلفوا في الدين والعقيدة، فإن هذا يعني أن المشروع الحضاري الإسلامي يضم المسلمين ويضم مسيحي الشرق عموماً وأقباط مصر خصوصاً، وأن هؤلاء كالمسلمين سواء بسواء سوف يحملون قيم المشروع الحضاري الإسلامي إلى العالم أجمع.

كرامة الإنسان //الحرية-د-محمد مورو

تمثل الحرية القيمة الأعظم- بعد التوحيد- بالنسبة للمشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام والخاص، وتمثل القيمة الأعظم على الإطلاق بالنسبة للمشروع الحضاري العام، أي فيما يخص المسلمين وغير المسلمين.

ذلك أن رسالة الإسلام تستهدف تحرير الإنسان في كل زمان ومكان، وتستهدف تحقيق الحرية للبشر كل البشر، وحتى الجهاد في الإسلام موجه أساساً لرفع الظلم والإكراه ووضع البشر كل البشر على قاعدة الاختيار الحر بلا إكراه ولا تعصب ولا ظلم، "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" البقرة ٢٥٦.

"فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"

"أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" يونس ٩٩

فالإكراه مرفوض إسلامياً، حتى ولو كان إكراه على الإسلام لأنه في هذه الحالة يكون حراماً ولا يرضى به الله ويحاسب من يقترفه، والفرق بين الإسلام والوثنية في أحد صوره هو الفرق بين الحرية والإكراه، ذلك أن الوثنية والكفر لا تتحقق إلا بالإكراه والخداع، والإسلام لا يتحقق إلا بالحرية والاختيار الحر.

الإسلام يحرص على حرية التفكير، حرية الاختيار "اختيار العقيدة والمذهب والتصور"- حرية اختيار شكل النظام السياسي وحرية اختيار الحكام بكافة درجاتهم وحرية تغيير الحاكم، حرية التنقل، حرية إقامة الشعائر، حرية الحوار، وحرية تبادل الرأي، ويرفض التعصب والاستبداد السياسي والقهر الطائفي والديني والقومي والعرقي.

أما الكفر فيحرص على القهر والنهب والظلم والاستبداد والقوى الشيطانية تحرص على الحيلولة دون حرية الاختيار وتحرص على وضع علامات إرشادية مزيفة على الطريق وتحرص على نشر التعصب، وتحرص على إلغاء حرية التفكير بكل صورة ووسيلة، وتحرص على نشر الجهل والخرافة والتعصب للآباء والأجداد والأسرة والقبيلة والوطن والقومية.. إلخ.

والقرآن الكريم يطلق على هذا السلوك الشيطاني كلمة "المكر" "وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا، بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً" وكلمة المكر تعني أصلاً الخداع والقهر واستخدام الوسائل المختلفة لإكراه الناس على العقيدة والتصور الذي تريده القوى الشيطانية "قال آمنتم به قبل أن آذن لكم" الأعراف ١٢٣ "ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" غافر ٢٩ وهذه الآية على لسان فرعون.

وصحيح أن الناس تصل إلى الإسلام وتعتنقه بمجرد تحقيق حرية التفكير والحوار والاختيار الحر، لأن الإسلام دين الفطرة، والعقل والكون والوجدان، والقلب يقود إليه، ولكن حتى بصرف النظر عن هذا فإن أمة الإسلام مطالبة بتحقيق الحرية للبشر كل البشر بصرف النظر عن النتيجة، إذ أن تحقيق الحرية غاية في ذاتها "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين" أي فقاتلوهم حتى يكفوا عن إكراه الناس على الكفر فإن كفوا عن هذا فلا مشكلة، فقاتلوهم حتى يكفوا عن فتنة الناس بالقهر والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي فإن كفوا فلا عدوان إلا على الظالمين.

المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة مأمورون بالجهاد لتحقيق حرية الاختيار "لا إكراه في الدين"، ولتحقيق حرية التنقل "قل سير في الأرض فانظروا.." إذ كيف يسير الناس في الأرض بدون حرية التنقل وبالجهاد ضد التعصب "ليس منا من دعا إلى عصبية" وضد الجهل والخرافة، ضد الاستبداد السياسي "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" والتفكير فريضة إسلامية، والله تعالى يدعو الناس إلى التفكير في عشرات الآيات القرآنية "أفلا يتفكرون.." "أفلا يتدبرون.." "أفلا يعقلون.." إلخ.

الدفاع عن الحرية فريضة إسلامية، وتحقيق الحرية بكل صورها وأشكالها مهمة المسلم والجماعة الإسلامية والأمة الإسلامية، بل إن المهمة الأولى لنا هي الدفاع عن حرية الشعوب والطوائف والأقليات والأفراد على حد سواء، حرية الناس في الاختيار على مستوى العقيدة، وعلى مستوى النظام السياسي والاجتماعي وعلى حقهم في اختيار طريقة وأسلوب الحكم وحق اختيار وعزل الحكام وعمر بن الخطاب يقول "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

وأبو بكر هو القائل "إن وجدتموني على حق فأعينوني وإن وجدتموني على باطل فقوموني" والتقويم يعني حرية النقد وحرية خلع الحاكم أيضاً.

ومن مهام المشروع الحضاري الإسلامي تحقيق الكرامة للإنسان أي إنسان في أي زمان ومكان فلا قهر ولا تعذيب ولا تمثيل ولا انتهاك لهذه الكرامة بأي صورة من الصور، والأصل الإسلامي لحقوق الإنسان هو أفضل أشكال هذه الحقوق، لأنه ينطلق من أن كل البشر عبيد لله تعالى ومتساوون أمامه، فلا حق لبشر أن ينتهك كرامة بشر آخر ولا حق لجماعة بشرية ولا طائفة ولا دولة أن تنتهك حقوق الآخرين. وقد حرص الإسلامي أيما حرص على صيانة حرمات الناس "ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا" ولا يؤخذ الناس بالشبهات "ادرأوا الحدود بالشبهات" "إن بعض الظن إثم" "إياكم والظن فإن

الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تناجشوا" "لا تضايقوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته.." "إذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم".

والشريعة الإسلامية تجيز فقء عين من يطلع على إلى أسرار الناس "لو أن امرءا اطلع عليك بغير إذن فقذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح" والقرآن الكريم يؤكد حرمة البيوت "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم" النور ٢٨،٢٧.

وحتى احترام طمأنينة الآخرين هي فريضة إسلامية "فلا يحل لمسلم أن يروع مسلماً" "ولا تروعوا المسلم فإن ترويع المسلم ظلم عظيم".

الله تعالى كرم الإنسان، وجعله خليفة له في الأرض ونفخ فيه من روحه، وهذا المستوى العظيم الذي وضع الله الإنسان فيه- باعتباره خليفة له في الأرض وباعتباره كائناً فيه من روح الله، وباعتباره أكرم الكائنات تضع الأساس النظري والعملي لأفضل وأوسع الحقوق لصيانة كرامة الإنسان وحقوقه في نفسه وأهله وبيته وخصوصياته لأن الذي يعتدي على شيء من ذلك، أو ينتهك حقوق الإنسان فإنما هو يعتدي على أكرم المخلوقات أي على خليفة الله في الأرض، على كائن فيه من روح الله، والله تعالى جعل الملائكة تسجد للإنسان "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" ص ٧٢ "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" الإسراء ٧٠ "إني جاعل في الأرض خليفة" البقرة٣٠.

النظافة- حماية البيئة- المسئولة عن الضعفاء-المسئوليه عن المستقبل-د- محمد مورو

يتضمن المشروع الحضاري الإسلامي- الذي ينبغي تقديمه إلى العالم أجمع- أي المشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام عناصر النظافة- حماية البيئة- المسئولية عن الضعفاء وباقي الكائنات غير البشرية، وكذلك التفكير في المستقبل وعدم تدميره أو الافتئات عليه وأخذه في الاعتبار دائماً، لأن ثروات الأرض وما فيها ملك للأجيال البشرية القادمة أيضاً وليست ملك الأجيال الحاضرة فقط.

النظافة من الإيمان، ويجب أن يكون المسلم نظيفاً في طعامه وشرابه وملبسة وفي حياته كلها، ويجب دعوة الآخرين إلى النظافة، لأن القذارة مثلاً تؤدي إلى انتشار الأوبئة وهذا أمر يضر البشرية كلها والممارسات النظيفة والعادات النظيفة طريق إلى حماية البشر والكائنات من كل خطر وطريق إلى تحسين الصحة العامة، وتجميل الحياة والتمتع بها، انظر مثلاً إلى الممارسات الجنسية غير النظيفة ألم تؤد إلى انتشار الإيدز، وهو وباء يهدد البشرية كلها حالياً؟ وفي الحديث الشريف "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده" وإن الله جميل يحب الجمال" "ومن سنن الفطرة- قص الشارب وقص الأظافر، وإعفاء اللحية، واستعمال السواك والاستنشاق، ونتف الإبط، وحلق العانة، وعدم الإسراف في الماء".

وحتى الاهتمام بنظافة الأسنان لم يهمله الإسلام، بل إن الحديث الشريف يقرر "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة".

والمسلم يتوضأ خمس مرات في اليوم والليلة، والوضوء، والطهارة من الجنابة، وسنة الغسل قبل صلاة الجمعة كلها تؤدي إلى النظافة البدنية وتحسين الصحة العامة.

وفي الحديث الشريف ما معناه "من اغتسل وتطهر- فأحسن الطهور ولبس أحسن ثيابه، ثم أتى الجمعة، فلم يلغ ولم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بين الجمعتين".

والله تعالى يقول "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" ويقول "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد" بل إن التعطر من السنة المحمدية المعروفة، والرسول ﷺ وهو النموذج والقدوة- كان شديد النظافة يحب التعطر والتطيب "حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة".

ولعل من دلالات الاهتمام غير العادي الذي أولاه الإسلام للنظافة والطهارة أن الأثر الإسلامي يجعل الطهور شطر الإيمان، والله تعالى يقول "وثيابك فطهر"، وأن باب الطهارة هو الباب الافتتاحي لمعظم كتب الفقه الإسلامي.

والمحافظة على البيئة ركن مهم من أركان المشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام، والله تعالى خلق البيئة نظيفة ومتوازنة، ولكن الإنسان الخارج على منهج الله وفطرته وهدية هو الذي يحدث الخلل والتلوث ويفسد هذه البيئة "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون" الحجر ١٩، هذا خلق الله الموزون فماذا فعل الإنسان الخارج على هدي الله "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس".

وهذا الفساد ظاهر الآن للعيان، فالحديث عن تلوث البيئة أصبح حديثاً متواتراً، يلوثها بالنفايات والكيماويات والمواد الذرية والنووية، في البر والبحر والجو على حد سواء حتى إن هناك خطراً ماحقاً على الكائنات الحية في البر والبحر والجو، وعلى الأمان الحياتي والبيولوجي، وعلى التوازن المناخي..إلخ، ويجب على البشرية أن تستجيب لمعطيات المشروع الحضاري الإسلامي في مسألة حماية البيئة، فلا يحدث إخلال للتوازن البيئي والبيولوجي، ولا يتم الإنتاج إلا للمصلحة ومراعاة النظافة التامة في هذا الإنتاج، والتعامل مع البيئة كصديق وليس كعدو وعدم استنزافها وإرهاقها وتدمير توازنها وهو الأمر الحادث الآن بسبب سيادة المنفعة اللاأخلاقية في وسائل الإنتاج الأوروبي والأمريكي الحديث وكذلك سيادة مفهوم الصراع مع البيئة وإخضاعها وهو مفهوم مستمد من قيم الحضارة الغربية.

والمشروع الحضاري الإسلامي يدعو البشر جميعاً، للتعاون والانسجام والتناغم مع البيئة والاستمتاع بثرواتها وجمالها واحترام توازنها، ومراعاة أقصى قدر من نظافتها، وللحضارة الإسلامية في هذا المجال تراث كبير، ففضلاً عن الدعوة إلى النظافة الشخصية للإنسان، فهناك أيضاً دعوة واسعة للمحافظة على نظافة البيئة، فمن مظاهر الإيمان إماطة الأذى عن الطريق وفي الحديث الشريف "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه" وقال العلماء والتغوط في الماء كالبول فيه بل أقبح وكذلك إذا بال في إناء ثم صبه في الماء وكذا إذا بال بقرب النهر بحيث يجري إليه البول فكله مذموم قبيح منهي عنه، ويكره البول والتغوط بقرب الماء وإن لم يصل إليه لعموم نهي النبي ﷺ عن البراز في الموارد.

وقياساً على ذلك يمكن النهي عن تصريف المخلفات في البحار أو غيرها بطريقة تضر البيئة، ويمكن النهي عن إقامة صناعات تنتج مخلفات كيميائية غازية أو سائلة، ذرية أو نووية تشكل خطراً على البر أو البحر أو الجو، أو على الإنسان أو الحيوان أو الطير، في الحاضر أو المستقبل.

ومن المثير أن الإسلام نهى أيضاً عن التلوث الضوضائي، وهي مشكلة قفزت إلى السطح حديثاً، بعد أن اكتشف العلماء الآثار السلبية صحياً واجتماعياً المترتبة على الضوضاء، يقول الله تعالى "واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" لقمان ١٩.

والمحافظة على البيئة ليس فقط بعدم تلوثيها– وإن كان هذا مهماً جداً، بل أيضاً بعدم استنزافها، لأن ثروات الأرض ملك للأجيال القادمة أيضاً من البشر وليست ملكاً لهذا الجيل من البشر وحده، فضلاً عن أن استنزاف البيئة عمل بشع في حد ذاته، والموقف الصحيح في المسألة هو الرؤية القرآنية "كلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين" الأعراف ٣١.

العناية بالضعيف محور مهم من محاور المشروع الإسلامي ولعل الإسلام دون المذاهب والفلسفات الاجتماعية والسياسية جعل للضعفاء حقوقاً نظرية وعملية، وجعل هذه الحقوق واجبة وجزءاً من العقيدة والإيمان[χ]، فالعطف على الصغير والكبير والآباء واجب شرعي[χ]، ورعاية الأبناء الصغار وتربيتهم وتلبية حاجاتهم البدنية والنفسية وتهذيبهم وتعليمهم واجب شرعي على الآباء فإن غاب الآباء فعلى الأقارب وإلا أثموا ويمكن للتقاضي الشرعي أن يلزمهم بذلك "وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف" البقرة ٢٣٣.

"وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" الأحزاب ٦ وكذلك فللفقراء والمساكين والعاجزين عن العمل حق معلوم لدى الدولة الإسلامية "وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم" والأيتام كذلك يحرص الإسلام على رعايتهم أيما رعاية "وأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر"، وقال ﷺ: "أنا وكافل اليتم كهاتين في الجنة وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى".

والضعفاء عموماً من أيتام ومساكين وفقراء وصغار وكبار سن وغرباء ومرضى وعاجزين ومعوقين لهم حقوق- نكرر حقوقاً- معلومة في أبواب الفقه الإسلامي "أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين" وللرحمة بعد الحقوق باب كبير من أبواب الإسلام، والله تعالى وصف نفسه بالرحمة، وجعلها من أفضل الأخلاق والممارسات التي يتقرب بها العبد إلى ربه.

والعناية بالضعفاء يكملها العناية بكل الكائنات غير البشرية والمسلم رحيم بكل مخلوقات الله تعالى "فإذا ذبحنا علينا أن نحسن الذبح" وتعذيب الحيوانات والطيور محرم شرعاً "وامرأة دخلت النار في قطة حبستها" والرحمة بالحيوان طريق إلى الجنة "ورجل دخل الجنة في كلب عطشان سقاه" وإن في كل كبد رطبة لأجر والإنسان مسئول أمام الله عن إطعام الحيوانات والمواشي التي يستخدمها ويقتنيها، ومسئول أيضاً عن عدم إرهاقها بالعمل- ومسئول حتى عن نظافتها، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاف أن يحاسبه الله تعالى عن دابة تتعثر في الطريق لأنه لم يسو لها الطريق.

المسئوليه عن المستقبل د -محمدمورو

والمسئولية عن المستقبل جزء لا يتجزأ من المشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام، ذلك أن التفكير في الأجيال القادمة أمر حتمي وأخلاقي في نفس الوقت، ويجب أن تكون هذه القيمة منار اهتمام

[χ] من الناحية النظرية مثلاً فإن الماركسية لا تعترف بتلبية حاجات غير القادرين على العمل "لكل حسب طاقته".

[χ] وكذلك البر بالأباء "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قـولاً كريماً واخفض لهم جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" الإسراء ٢٣-٢٤.

عالمي، لأنها مرتبطة بكل البشر وليست خاصة بجماعة بشرية وحدها، فالمحافظة على البيئة وعلى التوازن البيولوجي والمناخي أمر يمس الحاضر ويمس المستقبل أيضاً، ويهم الجيل الحالي ويهم الأجيال القادمة، والأرض وثرواتها ليست ملك هذا الجيل وحده بل هي ملك البشرية كلها من خلق منها ومن لم يخلق بعد، والتخطيط والاهتمام بالأجيال اللاحقة خلق إسلامي أصيل، فلا ينبغي إهمال مصير الأجيال التالية، ولا ينبغي التفكير بمنطق المنفعة الآنية فقط، وهذا يكون في كل المجالات بدون استثناء ومن أفضل الصدقات في الإسلام الصدقة الجارية وهي الصدقة التي تفيد الأجيال التالية، وكذلك فإنه يموت المرء وينقطع عمله إلا بثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له، وكلها أعمال تنظر إلى المستقبل وليس الحاضر، أي أنها أعمال راعي القائم بها أن تفيد الأجيال التالية سواء في الصدقة الجارية كإنشاء مدرسة أو شق ترعة أو مورد ماء.. إلخ أو اختراع أو علم ينفع الأجيال اللاحقة، أو تربية وتهذيب الأبناء وهم بالطبع جزء من المستقبل، "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة" رواه مسلم وأحمد.

"والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء، كل امرئ بما كسب رهين" الطور ٢١ "وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم" النساء٩.

فقه الإقلاع / د. محمد مورو

يمثل فقه الإقلاع معطى مهماً من معطيات المشروع الحضاري الإسلامي، وهذا المصطلح هنا ليس من قبيل الفذلكة اللفظية، ولا هي محاولة لاستخدام مصطلح جديد أو طريف بل هو يمثل حاجة ضرورية.

ومن الناحية العلمية– وفقاً لأصول الفقه– فإن الاجتهادات الإسلامية تستند أساساً على نصوص القرآن والسنة وهذه النصوص ثابتة، وكذلك تدرس الواقع الموضوعي فتقدم الاجتهاد المكافئ لهذا الواقع الموضوعي المتغير زماناً ومكاناً من خلال التعامل مع النصوص الثابتة، فالفقه لا يعمل في الفراغ.. وتغير الأحكام والاجتهادات بتغير الزمان والمكان حقيقة مقررة في علم أصول الفقه، فالإمام الشافعي مثلاً غير اجتهاداته في مصر عنها في العراق، وابن عمر رضي الله عنه أفتى في عام بغير ما أفتى في العام الذي سبقه في نفس المسألة.

وهكذا فإنه من الناحية العلمية– وفقاً لأصول الفقه– فإن الفتوى تختلف من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان، ونحن الآن في حالة مختلفة كماً ونوعاً عن سابقاتها، بل لم يسبق لها مثيل، فنحن الآن في حالة هزيمة حضارية، نحن في حالة خضوع واختراق سياسي وثقافي وعسكري واقتصادي أمام الغرب، نحن الآن لسنا في حالة سيادة حضارية أو حتى تعادل حضاري، والفقه الإسلامي المعروف والذي أنتجه اجتهاد العلماء تم كله إما في حالة الصعود الحضاري والسيادة الحضارية لأمتنا أو في حالة التعادل الحضاري والاستقلال الحضاري تجاه الآخرين، وكان هذا الفقه عظيماً ومناسباً ومستجيباً ومدركاً لظروف الاستقلال الحضاري التي ظهر في إطارها، وهذه الحالة لم تعد موجودة كماً وكيفاً، نحن الآن في حالة هزيمة حضارية، أمام اختراق وهيمنة غربية، وأمام تحديات استعمارية وصهيونية ونعاني من الكثير من الأمراض الاجتماعية وفي حالة تفكك يخالف حالة الوحدة تحت راية الخلافة التي كنا عليها، وعلينا أن نراعي هذا كله في تقديم اجتهاد مكافئ لهذه الظروف وأخذ هذا كله في الاعتبار استجابة لدواعيها ونحن نطلق عليها (الظروف) "فقه الإقلاع".

نحن نريد إيقاف الانحدار في المنحنى الحضاري، ونريد إحداث انقلاب في هذا المنحنى باتجاه الصعود، ومن المعروف علمياً أن الطاقة اللازمة لإحداث انقلاب في أي منحنى أكبر كثيراً جداً من الطاقة اللازمة لرفع هذا المنحنى درجة أو درجات، وعلى ذلك فنحن نحتاج إلى اجتهادات تكافئ كماً ونوعاً هذه الحالة، اجتهادات تحقق الإقلاع الحضاري، فنحن في حالة جد مختلفة– حالة الهزيمة الحضارية– حالة لم تمر علينا من قبل لأنها تختلف عن حالة الصعود أو الثبات أو السيادة أو التعادل الحضاري، نحن في حالة إقلاع جديرة بفقه جديد هو فقه الإقلاع، ذلك الفقه الذي يأخذ في اعتباره هذه الحالة ويعمل على تجاوزها وإحداث انقلاب في المنحنى الحضاري.

الوحدة-د-محمد مورو

يمكننا أن نرصد بسهولة ذلك التلازم الحيوي بين كل من الوحدة والجهاد وبين الصعود الحضاري للأمة الإسلامية وبسقوط أو ضياع إحدى هاتين القيمتين، يهبط المنحنى الحضاري للأمة الإسلامية، وتتخلف عن مستوى العمران والأخلاق وتتعرض للتحديات الخارجية والداخلية.

فالوحدة إذن عنصر أساسي من عناصر المشروع الحضاري الإسلامي، وهي أولاً فريضة شرعية، وهي ثانياً ضرورة للصعود الحضاري الإسلامي ولحماية الأمة من أعدائها وضرورة أيضاً لرقي الأخلاق والسلوك لدى أفراد هذه الأمة.

والأمة الإسلامية كلما كانت موحدة، كانت قوية قادرة على تحقيق رسالتها، وقادرة على حماية نفسها من الأعداء وقادرة على تحقيق العمران، وقادرة أيضاً على الرقي الأخلاقي والسلوكي والاجتماعي، وكلما كانت مفككة، كانت ضعيفة، غير قادرة على أداء رسالتها وغير قادرة على حماية نفسها من الأعداء، وغير قادرة على تقديم إنجاز عمراني ذي شأن، ومنحطة أخلاقياً وسلوكياً واجتماعياً.

والنصوص الشرعية التي تؤكد فرضية الوحدة كثيرة ومتنوعة يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

"إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" الأنبياء ٩٢.

"وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون" المؤمنون ٥٢.

"وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم" آل عمران١٠١.

"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها. كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون" آل عمران ١٠٣.

ونلاحظ في الآية الأولى والثانية أن هناك ارتباطاً بين الوحدة والأمة الواحدة، وبين عبادة الله في الأولى وتقواه في الثانية، وفي الآية الثالثة وضع الوحدة والاعتصام كمقابل الكفر، وحبل الوحدة والاعتصام هما الطريق إلى الصراط المستقيم، وتستطيع أن تفسر الصراط المستقيم هنا بأنه طريق النجاة في الآخرة، والعزة والسيادة الحضارية في الدنيا.

وفي الآية الرابعة– نرى أن الله تعالى جعل الوحدة والاعتصام وعدم التفرق نوعاً من النعمة– وهي بلا شك نعمة عظيمة– وجعلها أيضاً طريقاً لتجنب الهلاك في الدنيا والآخرة وهي معلم من معالم

الهداية وهي إحدى آيات الله، أي أن الوحدة آية من آيات الله تعالى وهي نعمة وهي طريق لتجنب البوار في الآخرة والدنيا على حد سواء.

ويقول الله تعالى "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم" آل عمران١٠٥ أي أن الفرقة طريق إلى العذاب العظيم في الآخرة، والانحطاط الحضاري في الدنيا والسقوط في الذلة والهوان.

ويقول تعالى "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون" الأنعام ١٥٩.

"إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" الحجرات ١٠.

أي أن الوحدة والأخوة هي إحدى علامات الرحمة لأنها تنجي في الآخرة وتضع التقدم والعزة والسيادة في الدنيا.

ويقول الرسول ﷺ "من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه" أخرجه أبو داود

أي أن مجرد الزحزحة عن الوحدة ولو بشبر واحد هو خروج عن ربقة الإسلام وخلع لهذه الربقة من العنق، بما يعطي الانطباع بمدى أهمية وخطورة فريضة الوحدة.

ويقول "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

ويقول "يد الله مع الجماعة" أخرجه الترمذي.

ولاحظ في هذا الحديث الموجز، أن مدد الله يأتي مع الوحدة أو أن الوحدة شرط لنزول مدد الله تعالى، ومدد الله تعالى هائل، وأمة تستند إلى مدد الله تعالى– وهو أقوى الأقوياء– قادرة على النصر والسيادة والإنجاز الحضاري بصورة ضخمة جداً تتناسب مع المدد الذي يتنزل من الله العزيز القدير الحكيم العليم" الذي يملك خزائن كل شيء.

أي أن الوحدة– فريضة شرعية، وطريق إلى النجاة في الآخرة وطريق أيضاً إلى العزة والسيادة والنصر وتحقيق أكبر المنجزات العمرانية في الدنيا.

الوحدة الإسلامية إذن شرط لازم لمواجهة التحديات التي تقابلها أمتنا اليوم، وطريق أكيد إلى العزة ومواجهة الأعداء والنهضة في كل المجالات، والأعداء يعرفون خطورة وأهمية هذه الوحدة، ولذا فإن مؤامراتهم على الوحدة الإسلامية لا تنقطع بل نكاد نجزم أن أي محاولة وحدوية على أساس إسلامي تجعل القوى الاستكبارية تتحرك لضربها سلماً أو حرباً، ومن الأشياء التي يحظرها علينا الأعداء محاولات التوحيد بأي صورة من الصور بين أبناء العالم الإسلامي، ونحن ندعو إلى الوحدة، ندعو إلى قيام الخلافة الإسلامية باعتبارها فريضة غائبة ونسعى لتحقيق ذلك، وفي نفس الوقت ندعم ونرحب ونؤيد أي محاولات وحدوية بين هذا القطر أو ذاك، بين مصر والسودان مثلاً، أو الوحدة العربية، أو

تحقيق نوع من التنسيق في أي مجال من المجالات بين الدول الإسلامية، أو حتى بين الشعوب والمنظمات الشعبية الإسلامية "كاتحاد المنظمات الهندسية في العالم الإسلام" أو أي شكل من الأشكال الوحدوية بشرط واحد هو أن تكون طريقاً إلى الوحدة الإسلامية وليس بديلاً عنها أو تتعارض معها.

والأعداء سخروا أقلاماً عربية وإسلامية للأسف للشوشرة على فرضية الوحدة، بعدما نجحوا في إسقاط الخلافة الإسلامية (كعلي عبد الرزاق مثلاً") وعلينا في مواجهة ذلك أن نؤكد على فرضية الوحدة ونسعى ولنشر الفكر الوحدوي والسلوك الوحدوي والممارسات الوحدوية وكشف صلة دعاة الإقليمية بالمشروع الاستعماري وأنهم مجرد أبواق له.

إنه برغم سقوط الخلافة الإسلامية، كأسمى تعبير عن الوحدة الإسلامية، فإن المظاهر الوحدوية في وجدان الشعوب الإسلامية مازالت– والحمد لله– قوية. فنحن جميعاً نؤمن بإله واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد، ونتجه جميعاً إلى مكان واحد في الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة "هو الكعبة"، ونحن جميعاً نحتفل بعيد الفطر وعيد الأضحى ونحج جميعاً في وقت واحد إلى مكان واحد كل عام مرة ونصوم معاً رمضان من كل عام، والإحساس بمشاكل المسلمين والتفاعل معهم موجود والحمد لله في كل مكان، ولولا الشعور الوحدوي القوي لدى الجماهير لما رأينا هذا التعاطف الشعبي الواسع مع القضية الفلسطينية في كل مكان من العالم الإسلامي من تركيا إلى جنوب إفريقيا ومن طنجة إلى جاكارتا، وكذلك ظهر هذا الأمر جلياً في دعم الجهاد الأفغاني بالمال والسلاح وكذلك التعاطف مع مسلمي البوسنة والهرسك وغيرها من المظاهر الوحدوية التي تعبر عن وجدان وحدوي قوي لدى الجماهير المسلمة.

والمسلمون في الغربة في أمريكا واستراليا وأوروبا يتصرفون كجالية ذات سمات مشتركة– وتجدهم يتعاطفون مع قضايا العالم الإسلامي ويدافعون عنها ويمارسون شعائر الإسلام معاً لا فرق بين التركي والمغربي والباكستاني والهندي.

وعلينا أن نعمق هذا الشعور الوحدوي بكل وسيلة محكمة، علينا أن نسعى لتوحيد التقويم على الأساس الهجري مثلاً في كل البلاد الإسلامية، وتوحيد بدء الصوم والأعياد في كل العالم الإسلامي وفي خارج العالم الإسلامي أيضاً، وعلينا الاهتمام بإنشاء مؤسسات إعلامية ذات طابع عالمي إسلامي ونشر تلك المواد الإعلامية التي تؤكد على قيمة الوحدة، وعلينا أن نحقق اتحادات للمنظمات المهنية في العالم الإسلامي، وكذا اتحادات للهيئات الشعبية والنقابات وغيرها، وعلينا أن ندعم أي تنسيق وتعاون في أي مجال بين الشعوب الإسلامية بل والحكومات الإسلامية إن أمكن، ويمكن اتخاذ القضية الفلسطينية مثالاً باعتبارها قضية مركزية للأمة الإسلامية كقاعدة للانطلاق الوحدوي والممارسات الوحدوية الإسلامية ونشر الفكر والسلوك الوحدويين من خلالها. والوسائل كثيرة، والمهم النية والجدية في العمل.

قضية الوحدة الإسلامية لم تعد تحتمل التأجيل، لأننا بالفعل كأمة مهددون في وجودنا، وهناك مؤامرة دولية واسعة تستهدف إلغاء وجودنا من العالم، أو على الأقل إلغاء وجودنا الحضاري والتحول إلى رقيق للقوى الاستكبارية، وهناك اضطهادات وتوسع يتم على حساب المسلمين في أذربيجان وفلسطين وبورما.. والقائمة طويلة جداً، والعالم كله يتجه إلى الكيانات الكبيرة، الوحدة الأوروبية، الوحدة الأمريكية، دول النمور الأسيوية.. إلخ، وفي عصر الكيانات الكبرى لا بديل أمام المسلمين عن الوحدة إن أرادوا الحياة، والعالم الإسلامي يمتلك مقومات اقتصادية واستراتيجية هائلة وبشرية أيضاً، فهناك ١٤٠٠ مليون مسلم، وهناك رقعة جغرافية هائلة تقع في أهم مناطق العالم المتحكمة في أخطر طرق المواصلات والشرايين الاقتصادية الحيوية، وهناك البترول والفوسفات واليورانيوم وغيرها من المعادن التي يكاد العالم الإسلام يمتلك معظمها، وهناك الأقاليم المناخية المختلفة التي تحقق تنوعاً هائلاً في الإنتاج، وهناك الأراضي الخصبة وموارد المياه والطاقة الهائلة، وهناك الإنسان المسلم الذي يستطيع بالإيمان أن يكون أفضل النوعيات البشرية على الإطلاق، وبعد هذا فلا حجة لنا إن تقاعسنا عن إرادة الحياة، وإرادة الوحدة.

على خلاف كبير بين علماء الاجتماع في تحديد العناصر التي تشكل أمة من الأمم أو قومية من القوميات، فمنهم من يجعل تلك العناصر اللغة، الثقافة، التاريخ المشترك، التحديات المشتركة، الجغرافيا المشتركة، الجنس الواحد.. إلخ ومنهم من يرفض جعل هذه العوامل أو إحداها شرطاً لازماً لظهور الأمة بدليل أن هناك دولاً تتكلم الإنجليزية دون أن تشكل أمة واحدة والأمر نفسه بالنسبة للعناصر الأخرى.. وهكذا إلا أن هناك عدداً من الملاحظات التي ينبغي أن نسجلها هنا أولها أن هناك خلطاً بين مفهوم القومية بالمعنى الغربي وبين مفهوم الأمة، وجميع مدارس الفكر الاجتماعي تحدثت عن مفهوم القومية ولم تتحدث عن مفهوم الأمة، بسبب بسيط هو أن هذا الفكر نشأ نتيجة ظهور الدول القومية في أوروبا، وأن هؤلاء المفكرين لم يعرفوا معنى الأمة بالمفهوم الحضاري الإسلامي وثانيها أن جميع العناصر التي اعتبرت أساساً في تشكيل قومية ما ليست سوى تاريخ لتكوين هذه الدولة القومية أي أنها مجرد وصف للظاهرة وليست سبباً لها، وهي نتيجة لظهور الدولة القومية وليست سبباً لها، بمعنى أن اللغة مثلاً والثقافة والتاريخ وغيرها نشأت بعد تكوين الأمة وكنتيجة لها وليس العكس. وثالثها أننا أمة ذات ملامح خاصة جداً– ربانية– وبالتالي فلا يمكن إخضاعنا للمعايير الغربية لاختلاف السياق الحضاري.

وعلى أي حال فإن القرآن الكريم يحدد لنا العناصر الأساسية لأمتنا وأسباب ظهورها ونتائجها فيقول الله تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله".

أي أن سبب نشأة الأمة، وعناصر تكوين هذه الأمة هو الرسالية، أو المهمة التي تقوم بها هذه الأمة، أو الرسالة الحضارية لتلك المجموعة من البشر هي التي جعلتهم يشكلون أمة.

فالإسلام بداية هو الذي صنع هذه الأمة، وهو الذي أعطاها المنظومة الثقافية الواحدة، ومن خلال مهمتها الموكولة إليها نشأ التاريخ المشترك والمصير المشترك.. وغيرها من العوامل التي تنتج عادة عن تكوين الأمم.

الأمة الإسلامية نشأت من خلال مهمتها ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي الاضطلاع بمسئولية القضاء على الظلم والفساد والطبقية والاستبداد والتعصب وغيرها من أنواع المنكر، وحماية الضعفاء والرحمة بهم ودعوة الناس لكل خير ومعروف، أي الدعوة إلى المعروف ونشره، ومنع المنكر والقضاء عليه سلماً أو حرباً، ومن خلال العمل لتحقيق ذلك نشأت الأمة الإسلامية، وهي أمة منفتحة لا تقوم على جنس أو لون أو قرابة دم أو غيرها بل هي تفتح ذراعيها لكل من يريد الدخول فيها من كل لون وجنس وأرض، والانخراط بالتالي في مهمتها في إزالة المنكر عن الأرض ونشر المعروف في ربوع العالم.

وهكذا نجد أن الأمة الإسلامية ترفض مفهوم العرقية والتفرقة العنصرية على أساس اللون أو الجنس "كلكم لآدم وآدم من تراب" "لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"- ليس منا من دعا إلى عصبية، ليس منا من قاتل على عصبية، ليس منا من مات على عصبية".

ونجد أن الأسود والأبيض والأصفر والأحمر- الأوروبي والعربي والإفريقي، والتركي والهندي والإيراني، من يتكلم العربية ومن يتكلم غير العربية، كلهم جميعاً شاركوا في تشكيل هذه الأمة من خلال الاضطلاع بمهامها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

العلم/د.محمد مورو

يشكل العلم– بصورته الشاملة– عنصراً هاماً من عناصر المشروع الحضاري الإسلامي، وتأتي العلوم التجريبية والتقنية على رأس أولويات النهضة الإسلامية المرجوة ذلك أن أحد أسباب هزيمتنا وانحطاطنا الحضاري يرجع إلى إهمال الأخذ بأسباب العلم عموماً والعلوم التجريبية خصوصاً، والتفوق الأوروبي الهائل علينا هو في جوهرة تفوق علم وتكنولوجيا، وصحيح أن العلم في المشروع الحضاري الإسلامي يستخدم لصالح الإنسان ولتحقيق أكبر قدر من السعادة لكل البشر، ولا يكون على حساب البيئة أو الكائنات الأخرى أو موجهاً لتحقيق أكبر قدر من المنفعة اللاأخلاقية على حساب الإنسان، أو لحساب مجموعة من البشر على حساب باقي البشر.

ولا تناقض هناك بين الإسلام والعلم، بل إن الإسلام يحض على العلم، وقد شهدت العلوم جميعاً وخاصة التجريبية منها ازدهاراً واسعاً في ظل الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها، وكانت هذه العلوم هي الأساس التي قامت عليه النهضة العلمية في أوروبا.

ولا شك أن نشر العلم والحصول على أحدث الحقائق العلمية والوسائل التقنية واجب شرعي، أياً كان مصدر ومكان هذا العلم ".. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة.."(رواه مسلم)، "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها"، وفي هذا الصدد فإننا ندرك أن الحضارة الأوروبية لن تقدم لنا العلم بسهولة لأنها تريد باستمرار أن نظل متخلفين وخاضعين، علينا أن ننتزع هذه العلوم انتزاعاً، لاحظ أن أمريكا حاكمت المهندس المصري عبد القادر حلمي بتهمة سرقة التقنية الأمريكية!

وعلى كل مسلم أن يفعل ما يستطيع للحصول على العلم، ويعمل على تعليم الآخرين، لأن من يحجب العلم آثم شرعاً وبالتالي فإن التعليم هنا يصبح واجباً شرعياً وغاية لترقية الأمة والإنسانية وليس مجرد الحصول على خبرات علمية تحقق لصاحبها الكسب الشخصي والرقي الفردي أو الحصول على مركز اجتماعي أو مكاسب مادية. وتعليم الآخرين واجب شرعي كذلك، وعلينا أن نستفيد بخبرات العديد من العلماء البارزين في مختلف الأقطار الإسلامية، وكذلك ذلك الجيش الجرار من العلماء المسلمين المغتربين في أوروبا وأمريكا وغيرهما ووضع خطة طموحة للاستفادة من خبرات هؤلاء العلماء.

ويجب أيضاً أن يكون محو الأمية أولوية لدى المسلمين لأنه من العار علينا ونحن أمة "اقرأ" أن يكون بيننا من لا يعرف القراءة والكتابة، ورسولنا الكريم يقول "إنما بعثت معلما".

رسول الإسلام يقرر أن ساعة من دروس العلم خير من سبعين ساعة عبادة، ومداد العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء، أي أن العلم والتعليم هو وحدة الذي يعادل مقام الجهاد والاستشهاد وهو مقام رفيع كما نعرف، ولعلنا نلتفت إلى المعنى المتضمن في كون أول آية نزلت من القرآن الكريم هي "اقرأ" وهي دعوة مباشرة لتقديم العلم والتعليم على ما عداه.

والآيات التي تحض على العلم في القرآن الكريم تزيد على ٧٥٠ آية في حين أن تلك المتعلقة بالفقه حوالي ١٥٠ فقط، وكذلك هناك الآيات التي تحض على السير في الأرض والنظر في علومها المختلفة كالأحياء والجيولوجيا والجغرافيا وغيرها. "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" العنكبوت٢٠.

القضية الفلسطينية د.محمد مورو

تحتل القضية الفلسطينية مساحة مهمة في المشروع الحضاري الإسلامي، ويمكننا أن نقول: إن اعتبار القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة الإسلامية أمر يدخل في صميم المشروع الحضاري الإسلامي.

وهذا الأمر يرجع بالطبع إلى أسباب تاريخية ومستقبلية في نفس الوقت، فمسيرة الإسلام الحضارية دخلت في الكثير من التحديات والصراعات ونجحت في عهد الرسول ﷺ وما بعده من الخلفاء الراشدين في حسم الصراع لصالحها ضد الكثير من القوى الاستكبارية، ولم يصمد أمام الزحف الإسلامي إلا الحضارة الغربية، ودخل الإسلام مع تلك الحضارة الغربية صراعاً مريراً بدءاً من عهد الرسول ﷺ وحتى اليوم، واستطاعت أمة الإسلام أن تحقق النصر في الكثير من المواقع والأزمنة على الحضارة الغربية، ولم تكن الحروب الصليبية في المشرق العربي إلا إحدى المحطات في هذا الصراع الغربي استمر في الزمان والمكان وبمساحة واسعة في شمال إفريقيا والمغرب العربي والأندلس وفي الشام وأوروبا ذاتها أيام مجد الخلافة العثمانية وفي البحر المتوسط كراً وفراً، ونحن الآن ومنذ قرنين من الزمان تقريباً نتعرض لضغط وهزيمة أمام الحضارة الغربية، والتي استخدمت في نهاية المطاف اليهود كأداة لتحقيق الحلم الأوروبي بالقضاء على الحضارة الإسلامية.

وهكذا فإن إسرائيل تمثل هنا رأس الرمح الغربي ضدنا ويشكل التحالف اليهودي الغربي أحد أهم معطيات التاريخ المعاصر، فالغرب استخدم اليهود ضدنا للتخلص منهم من ناحية، وللكيد لنا من ناحية أخرى واليهود استغلوا الوجدان الغربي الصليبي والمخططات الغربية المتآمرة ضدنا لتحقيق هدفهم في احتلال فلسطين وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات فيما بعد.

ومن ناحية أخرى فإن فلسطين أرض مباركة، وبها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهي في القلب من العالم الإسلامي، والضربة التي تكون في القلب تمس الكيان كله.

ولهذه الأسباب فإن الصراع على أرض فلسطين يمثل المسألة الأهم في مستقبل الحضارة الإسلامية فإما النصر وبداية الصعود الإسلامي الثاني وإما الإبادة والنهاية لحضارتنا لا قدر الله.

وهكذا فإن اعتبار القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة الإسلامية يشكل رقماً مهماً في المشروع الحضاري الإسلامي.

"العالمية" التعاون والتعارف بين الأمم -د-محمد مورو

الإسلام دين عالمي، وهو دعوة الهداية والرشاد للناس جميعاً، والحضارة الإسلامية حضارة عالمية، بل هي الحضارة الوحيدة التي ظهرت على وجه الأرض وتحمل قيماً عالمية.

فالحضارة العالمية يجب مثلاً أن توجه دعوتها إلى العالم أجمع وأن تكون قادرة على تلبية حاجات الإنسان مهما كان لونه أو جنسه أو دينه، وأن تكون معاييرها واحدة بالنسبة لكل إنسان على الأرض.

والحضارة الإسلامية مثلاً لا تفرق بين الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، ولا تظلم أحداً بل تعدل بين المسلم وغير المسلم ومعاييرها واحدة بالنسبة لهذا أو ذاك بل إن الإبداع الحضاري الإسلامي ساهم فيه بصورة أو بأخرى الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، الأوروبي والإفريقي والآسيوي، التركي والعربي والعجمي، المسلم وغير المسلم.

وأي حضارة لا تكون عالمية في معاييرها، ولا تكون قائمة على المساواة بين البشر وغير عنصرية فإنها لا يمكن اعتبارها حضارة عالمية، وبالتالي فإن الحضارة الغربية مثلاً والتي تقوم على سيادة الرجل الأبيض وعلى العنصرية وتقوم على نهب الآخرين وقهرهم لا يمكن أن تكون حضارة عالمية.

والإسلام إذن والحضارة الإسلامية دعوة للناس كافة وطريق للهداية والرشاد والعدل والحرية واللاعنصرية والمساواة والمحافظة على البيئة وتوزيع الثروات بصورة عادلة والدفاع عن المضطهدين عرقياً ودينياً واقتصادياً وسياسياً، والحضارة الإسلامية هي حضارة التعاون والتعارف بين البشر.

الإسلام دعوة للناس كافة

يقول الله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الأنبياء ١٠٧.

"تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" الفرقان ١.

"وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا". سبأ ٢٨.

بل إن الأمر يصل بأن الإسلام يرتب على المسلم وعلى الجماعة المسلمة وعلى الأمة الإسلامية المسئولية عن كل إنسان في الأرض والدفاع عن هذا الإنسان إذا ما اضطهد دينياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو عرقياً، بل وجعل الإسلام الرسول ومن بعده من المسلمين مسئولين عن الدعوة إلى الهداية والرشاد لكل البشر.

ومن القيم الحضارية للإسلام، وبالتالي من عناصر المشروع الحضاري الإسلامي في مستواه العام، التأكيد على التعاون بين البشر والتعارف بين مختلف الجماعات البشرية، يقول الله تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" الحجرات ١٣.

ويقول تعالى "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين" الممتحنة ٨.

والإسلام يجعل ثروات الأرض لكل البشر فلا يستأثر بها جنس أو جماعة دون جنس أو جماعة أخرى، فعلى سبيل المثال، فإن ثروات البحار للناس جميعاً للانتفاع بها دون تمييز يقول تعالى "والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس" البقرة ١٦٤. ويمكن قياس كل الثروات على تلك الآية الكريمة.

والحضارة الإسلامية في أيام ازدهارها كانت شديدة الانفتاح والتعاون مع غيرها والاستفادة المتبادلة "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" بل إن الإسلام يدعو المؤمنين إلى الأخذ بكل العلوم النافعة مهما كان مصدرها "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها" رواه الترمذي.

بل ويدعو المسلمين إلى نشر العلم والتعليم داخل بلادهم بل وخارجها أيضاً، ويجعل حبس العلم عن المسلمين وغير المسلمين جريمة يحاسب الله عليها الذين يحبسونها يوم القيامة ويطوقهم بالنار بسبب ذلك، وقد قدمت حضارة الإسلام طواعية بل كواجب شرعي الكثير من العلوم والمعارف إلى الأمم الأخرى وقد استفادت أوروبا في نهضتها الحديثة من العلوم التي ظهرت واكتشفت في إطار الحضارة الإسلامية.

المواجهة الحضارية الشاملة –د–محمدمورو

الإسلام شكل لهذه الأمة حضارة متميزة، ومنظومة ثقافية مجددة وشخصية حضارية محددة الملامح، وهي حضارة تقوم على التوحيد والعدل والحرية، وحضارتنا تدعو إلى التعاون والاستفادة من تجارب الآخرين، ولكنها بالطبع ترفض الذوبان والخضوع للمنظومات الحضارية الأخرى، والأمر أشبه بشجرة، إذا قطعتها مثلاً بدعوى تثبيت شجرة أخرى، فهذا ليس تعاوناً، وكذلك إذا طعمتها كما هو معروف في علم النبات، بشجرة أخرى ليست من عائلتها فإنها لا تستجيب ويصبح الأمر كله هراء وليس إلا من قبيل القضاء على شجرتنا الحضارية والصحيح أن نستفيد بتجارب الآخرين في طريق تنمية هذه الشجرة وتغذيتها والحصول على أحسن الثمار عن طريق تحويل هذه التجارب والأسمدة والمخصبات في داخل أنسجة شجرتنا إلى شيء جديد مرتبط بطبيعة وشخصية هذه الشجرة، أي هضمه وتحويله داخل النسيج الحي لشجرتنا الحضارية إلى جزء لا يتجزأ من شجرتنا الحضارية وليس تشويهاً خارجياً لها أو محاولة للصق قيم حضارية خارجية عنها ستلفظها بالطبع أو تسبب لها مشاكل تضعفها أو تؤدي حتى إلى موتها، إذن فنحن دعاة تعاون حضاري بهذا المفهوم، أما المفاهيم الأخرى فهي محاولة لخداعنا وإخضاعنا تحت شعار التعاون الحضاري.

ونحن الآن أمام حضارة غربية لها القوة والسيادة على العالم ولها منجزاتها العلمية والتقنية، ونحن لا نرفض بالطبع أن نستفيد من علومها ومنجزاتها التقنية بشرط أن يدخل ذلك في نسيجنا الحضاري ويتم هضمه وتحويله وفقاً لعملية داخلية بحتة.

ولكن هل تقبل الحضارة الغربية بهذا النمط من التعاون؟ إنها تقوم على القهر والنهب والعنف والعنصرية وحضارتنا تقوم على التوحيد والحرية والعدل واللاعنصرية، ولا يمكن بداهة أن يحدث تلقيح بين شجرتين حضاريتين مختلفتين إلى هذه الدرجة، والحضارة الغربية تريد الهيمنة والقضاء على الحضارة الإسلامية لأسباب كثيرة، فهل نقبل الخضوع لها والاندماج فيها؟! والحضارة الغربية ترفض حتى إعطاء الآخرين وخاصة المسلمين علومها التجريبية ووسائلها التقنية– برغم أن العلم تراث إنساني– والحضارة الغربية نفسها استفادت من علوم وتقنية الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها، ولعل محاكمة المهندس المصري عبد القادر حلمي في أمريكا بتهمة سرقة التكنولوجيا الأمريكية خير دليل على ذلك.

إذن ليس هناك من سبيل أمامنا سوى انتزاع العلم انتزاعاً، ليس هناك سبيل للتعاون، بل للمواجهة– ليس رفضاً من ناحيتنا للتعاون– بل لأن الحضارة الغربية لا تقبل بالتعاون الحر، بل تريد الهيمنة علينا وإخضاعنا بل وإبادتنا حضارياً وبشرياً، الموقف الصحيح هو المواجهة، والمواجهة تكون

برفض الاندماج في حضارة الغرب– والتأكيد على الذات والهوية الحضارية لأمتنا وحشد الأمة كل الأمة لمناهضة الاستعمار والصهيونية وتحقيق النهضة وانتزاعها انتزاعاً.

والله تعالى قد رسم لنا هذا الطريق في القرآن الكريم يقول تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين". المائدة ٥٢،٥١

هذه الآيات الكريمات تصف أحوالنا مع الغرب واليهود الآن، فالتحالف بين اليهود والنصارى لم يحدث إلا في السنوات الأخيرة، وكان العداء بينهما أمراً ثابتاً بل وتعرض اليهود للاضطهاد دائماً على يد الغرب وآخرها أفران هتلر، إذن فالآية تصف الأحوال المعاصرة وترسم الطريق الملائم لهذه الأحوال، وهو رفض الاندماج في حضارتهم وعدم موالاتهم، والآيات تتحدث أيضاً عن هؤلاء الذين ينتشرون بيننا الآن ويقولون لنا إنه لا يمكن مواجهة الغرب وإسرائيل لأن هناك عدم تكافؤ كبير جداً في القوة بيننا وبينهم وبالتالي علينا أن نخضع ونندمج في الحضارة الغربية، ولكن الله تعالى يطمئننا إلى أن الصبر والصمود والمواجهة هم الطريق الصحيح لأن الله تعالى سوف يأتي بالفتح أو بأمر من عنده.

وفي كل الأحوال فإن الخضوع والاندماج يعني بالنسبة لنا الموت الحضاري، والمواجهة قد تعني الموت وقد تعني الكثير من الخسائر وقد تعني النصر أيضاً في النهاية، لأن الخضوع يعني القضاء على البذور الكامنة بالإضافة إلى الساق والفروع، أما الصبر والمواجهة فقد يعني دمار الفروع والسيقان، ولكن تظل البذور كامنة تحت التربة فتعطي مرة أخرى في ظروف أفضل ساقاً جديدة وفروعاً جديدة، وتنمو الشجرة من جديد.

وهكذا فإن المواجهة الحضارية الشاملة هي إحدى سمات المشروع الحضاري الإسلامي.

تنمية التذوق الجمالي-محمد مورو

قد يبدو للوهلة الأولى- أن مسألة تنمية التذوق الجمالي مقحمة على المشروع الحضاري الإسلامي، أو تأتي في مرتبة أقل من أن تدرج على قائمة المشروع الحضاري الإسلامي ولكن الحقيقة أنها بالفعل ذات أهمية وصلة حيوية وثيقة بهذا المشروع.

ذلك أن الفنون الجميلة مثلاً هي في حد ذاتها أرقى تعبير عن حضارة ما، وبعض المفكرين يعتبر أن الحضارة هي الفنون الجملية، وأن ما يميز حضارة على غيرها هي الفنون وأنه لا حضارة بغير فنون.

ومن ناحية أخرى فإن الفنون الجميلة تعكس قيم الحضارة وتؤكدها في نفس الوقت. ومن ناحية ثالثة فإن تنمية التذوق الجمالي يساعد في ترقية وتنمية الإبداع الحضاري كماً ونوعاً. ومن ناحية رابعة فإن الإحساس بالجمال طريق إلى الإيمان بالله تعالى.

وقبل ذلك وبعده فإن التراث الإسلامي حث بأكثر من وسيلة على تنمية التذوق الجمالي. ولا شك أن هناك نقطة في هذا الإطار ينبغي الالتفات إليها، وهي أن الغلو والتشدد والغلظة التي تظهر أحياناً في الواقع الإسلامي ترجع في جزء منها إلى غياب التذوق الجمالي، وبالتالي فإن تنمية التذوق الجمالي طريق إلى الوسطية والاعتدال والاتزان.

وبديهي أن قسوة القلوب التي يندد بها القرآن الكريم ترجع في جزء منها أيضاً إلى غياب التذوق الجمالي "ثم قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة".

والدعوة إلى التذوق الجمالي موجودة بكثرة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. يقول الله تعالى "إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب" الصافات ٦.

"وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً" فصلت ١٢.

"ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين" الحجر ١٦.

"أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج" ق٦.

"وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون" الأنعام ٩٩.

"والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون". النحل ٦،٥.

ويقول الرسول ﷺ "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده" رواه الترمذي.

ويقول "زينوا القرآن بأصواتكم" رواه البخاري.

ويقول "إن الله جميل يحب الجمال" رواه مسلم.

"وكان الرسول ﷺ يتفاءل ولا يتبطر ويعجبه الاسم الحسن" رواه الإمام أحمد.

وهكذا فإن الإسلام يحرص على الجمال ويدعو إلى التجمل في الصورة وفي المعنى ويدعو إلى التذوق الجمالي في الصورة والمعنى أيضاً وبهذه المناسبة فإن للتذوق الجمالي أثره المهم في المشروع الحضاري الإسلامي.

النقد والنقد الذاتي/د.محمد مورو

النقد والنقد الذاتي أحد مكونات المشروع الحضاري الإسلامي، والنقد والنقد الذاتي يبدأ هنا بالاعتراف بالحالة التي وصلت إليها أمتنا، والبحث عن أسباب هذه الحالة، وطرق التخلص منها وتجاوزها وبناء نهضتنا وسيادتنا الحضارية من جديد.

والاعتراف بما وصلنا إليه يقتضي بالطبع الاعتراف بأننا الآن في حالة هزيمة حضارية، أمام الحضارة الغربية بالتحديد، وأن بلادنا مغتصبة ومخترقة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً، وخاضعة بصورة أو بأخرى للهيمنة الغربية، وأننا وصلنا إلى هذه الحالة من التفكك والانحطاط والخضوع نتيجة عوامل كثيرة ترجع إلى التآمر العالمي على أمة الإسلام وترجع أيضاً إلى تخلينا عن قيم إسلامية كثيرة وضرورية، وإلى سلبيتنا وقصر نظرنا، وترجع إلى الحكام والمحكومين على السواء، وبكلمة أخرى فإن لها أسبابها الخارجية والداخلية معاً، والنقد والنقد الذاتي كفيل بتحديد هذه الأسباب وكفيل أيضاً بوضع الحلول الصحيحة لمواجهة التحديات والسلبيات الخارجية والداخلية على حد سواء.

وللنقد والنقد الذاتي في قيمنا ومبادئنا وتراثنا الحضاري مساحة كبيرة، وأهمية خاصة، وهي من الفرائض الإسلامية والممارسات اليومية على مستوى الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة على حد سواء.

التوبة الفردية التي يمارسها المسلم في كل يوم عشرات المرات هي نوع من النقد الذاتي، والتوبة الجماعية التي يمارسها المسلمون في صلاة الجماعة أو في الحج أو غيرها من المناسك هي أيضاً نوع من النقد الذاتي، والتوبة هنا ليست مجرد توبة عن الخطايا أو الذنوب الأخلاقية فقط، بل هي أيضاً التوبة من الأخطاء الاجتماعية والسياسية، والآيات القرآنية التي نزلت بعد غزوة أحد مثلاً تؤكد ضرورة التوبة أو النقد، ألم تكن تلك الآيات تنتقد مواقف وسلوك المسلمين. وتحلل أسباب الهزيمة؟ وهي درس لنا لنتعلم النقد وتحليل الأخطاء الجماعية، والمرأة المسلمة التي خطأت عمر بن الخطاب خليفة المسلمين وهو فوق المنبر كانت تمارس النقد، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استمع إلى هذا النقد واعترف بخطئه جهاراً وعلناً وأمام حشد من المسلمين كان يمارس النقد الذاتي ويقبل النقد في نفس الوقت ويرسي معالم النقد والنقد الذاتي وهو القائل "أصابت امرأة وأخطأ عمر".

والمسلم مرآة أخيه– أليست هذه دعوة من الرسول ﷺ إلى النقد بل إلى وجوب النقد؟ "ورحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي" تأتي أيضاً في هذا السياق؟

والآيات القرآنية الداعية إلى التوبة الفردية والجماعية كثيرة جداً، بل إن الله يخص بحبه التوابين "إن الله يحب التوابين".

ويقول تعالى "ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب" سورة ص٣٠.

أي أن النقد الذاتي صفة من صفات الأنبياء، والله تعالى يجعل هذه الصفة من الصفات التي يستحق بها العبد أن يمدحه ربه قائلاً "نعم العبد إنه أواب".

وهكذا فالنقد والنقد الذاتي فريضة وواجب على مستوى الفرد والجماعة والأمة، سراً وعلناً.

بمناسبة مرور ٢٠٠ سنة علي حكمه ١٨٠٥

لماذا انهار مشروع محمد علي ؟ د- محمد مورو

لا شك أن محمد علي كان يتمتع بمواهب نادرة، وقدرات متعددة وشخصية فذة، كان شجاعا منذ أن كان جنديا بسيطًا، قوي العزيمة رابط الجأش لا ييأس بسهولة، كان ذكيا ولماحا وداهية وإلا لما استطاع أن يتدرج من جندي بسيط إلى والي مصر بالاستفادة من توازنات القوى وضربها بعضها ببعض، كان شديد الطموح، أنشأ جيشًا ضخما وأسطولاً قويا، وحاول أن يمد أملاكه قدر ما استطاع، بل أراد أن يكون إمبراطورية واسعة، قوي الإرادة محب للعمل، عالي الهمة وإلا لما أنشأ أعمال العمران الضخمة والمصانع الحديثة، ويحكى عنه أنه لما شرع في إقامة القناطر الخيرية وسمع بالاعتراضات التي أبديت على المشروع والعقبات والمصاعب التي تحول دون نجاحه كان جوابه " إن هذا صراع بيني وبين النهر العظيم، ولكني سأخرج فائزا من هذا الصراع " ، وكان محمد علي سياسيا بعيد النظر" لما عرض عليه مشروع حفر قناة السويس أعرض عنه، إذ رأى أنه سيؤدي إلى تدخل الدول في شئون مصر واتجاه الأطماع إليها وجعلها هدفا للدسائس الاستعمارية، بما يؤدى إلى ضياع استقلالها، ومما يؤثر عنه أنه قال في هذا الصدد : " إذا أنا فتحت قناة السويس فأنني أنشئ بوسفورا ثانيا، والبوسفور سيؤدي إلى ضياع السلطنة العثمانية، ويفتح قناة السويس تستهدف مصر للأطماع أكثر مما هي الآن، ويحيق الخطر بالعمل الذي قمت به ويخلفائي من بعدي " .

وإن كنا لا نقره على رأيه ذلك وسوف نناقشه فيما بعد، إلا أنه يدل على بعد النظر السياسي، ويحكي أنه في هذا الصدد أيضا "أن شركة إنجليزية طلبت إليه أن يأذن لها بإجراء إصلاحات هامة في ميناء السويس تزيد من اتساعها وجعلها مرفأ كبيرا فأبى أن يجب الطلب، وكذلك لم يطمئن إلى مد سكة حديدية بين مصر والسويس على يد شركة إنجليزية أخرى، وبعد أن اتفق وإياها على إنفاذ المشروع عدل عنه خوفًا من امتداد النفوذ البريطاني لمصر.

وإذا كانت تلك مميزات محمد علي فإن هناك عيبان هامان في شخصيته تسـببا فـي تدميره وتدمير مشروعه وألحقا أشد المخاطر بمصر خاصة والعالم الإسلامي عامة، وهـذان العيبان هما (الاستبداد- الافتقار إلى الحساب الاستراتيجي والحس والتاريخي).

وإذا كان هناك شر في ذاته فهو الاستبداد- وإذا كان هناك شر مطلـق فهـو الحكـم المطلق والديكتاتورية، وأي حكم مستبد فهو بالضرورة يعادي مبادئ الإسـلام، ولا يتفـق والفطرة التي خلق الله الناس عليها، والإسلام ذاته بما أنه رسالة الله إلى الإنسان فـي كـل زمان ومكان منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هو أساسا دعوة للحرية، وهو دعوة لتحرير الإنسان من كافة أشكال الاستبداد والقهر والحكم المطلق.

إذًا فالاستبداد شر في ذاته والاستبداد شر مطلق، ومهما كانـت الظـروف والأحـوال والأوضاع والأزمان والأماكن فما زال الاستبداد مرفوضا من الناحيـة الشـرعية لايسـوغه ظرف أو مكان أو وضع أو ما شابهها من حجج المستبدين، وما زال الاسـتبداد تحـت أي الظروف عاملاً أساسيا في تدهور الأوضاع والوصولً إلى أسوأ النتائج.

وإذا كان هناك خير مطلق فهو الشورى والحرية، وإذا كان هناك عدل في ذاته فهـو الشورى والحرية أيضا- والشورى-الحرية-العدل-الجهاد هي الأساس الذي يقـوم عليـه النظام الإسلامي ، وإذا كان الجهاد هو فعـل إيجـابي لأداء رسـالة الأمـة فـي تحريـر المستضعفين فهو إذا وسيلة من أجل الحرية وإنهاء الاستبداد والقهر، وبما أنه عمل إيجابي فهو عمل يستند على الحرية، فما لم يكن الإنسان حرا ما ستطاع أن يحقـق فعـلا إيجابيـا واحدا، والشورى والحرية هما ضمان العدل، ويكذب من يدعي إمكانية ظهور مستبد عـادل فالإنسان مهما سمت روحه هو في النهاية إنسان ولن يتحول يوما إلى ملاك، وما لم تكـن هناك شورى ملزمة وحرية تسمح بالتعبير عن الرأي وحشد القوى في مواجهة أي طغيـان أو أخطاء يرتكبها الحاكم فإن العدل لن يتحقق، وهكذا فإن الشورى والحرية همـا صـماما الأمان لأى أمة وأى نظام حكم.

وإذا كنا قد قلنا أن محمد علي استطاع أن يضرب كل القوى الشعبية وأن يـدمر كـل الكيانات الاجتماعية وصاغ نظامه السياسي بما يحقق له السلطة المطلقة والانفراد بـالحكم، فإنه بذلك قد تسبب في فشل مشروعه وتسبب في ضياع الفرصة التاريخية لتحقيق التفـوق الحاسم على الغرب الصليبي، وتسبب في تمزيق وحدة العالم الإسلامي، وتسبب في ضـياع مصر بعد ذلك ووقوعها تحت الإحتلال الإنجليزي ولكن كيف كان ذلك؟.

فلو كانت هناك رقابة شعبية وقوى شعبية شاركت في الحكم وقادرة علـى التصـدي لأخطاء محمد علي لكانت تلك القوى قد منعت محمد علي من ارتكابه خطأه التاريخي القاتل

في الصدام مع الخلافة العثمانية والدخول في معارك سوريا والأناضول التي أدت عمليـا - إلى تدمير قوة الخلافة تماما ووقوعها تحت النفوذ الأوروبي، واستنفذت قـوة مصـر وأدت إلى إنهاء مشروع محمد علي ذاته، فلو كانت القوى الشعبية موجودة وفاعلة لمـا سـمحت لمحمد علي بذلك وبالتالي أنقذته وأنقذت مشروعه وأنقذت الخلافة.

وبما أنها لم تكن لتسمح لمحمد علي بالدخول في معارك سوريا والأناضول- فـإن المجـال الحيوي الطبيعي أمامه- وبما أن قواته العسكرية وصناعاته العسكرية والمدنية كانـت فـي نمو طبيعي وسريع وهائل- هو السودان وأفريقيا، وفي هذه الحالة فإن القوى الشعبية كانت ستكون متحمسة جدا لنشر الإسلام في أفريقيا ، وتحقيق إمبراطورية إسلامية فيها، وكانـت ستحشد القوى خلفه ليس في مصر وحدها بل ربما في العالم الإسلامي كله، وعلى أي حـال كانت قوة مصر تكفي وتزيد، ولو حدث هذا كنا قد حققنا الانتصار الحاسم على أوروبا كمـا سبق أن وضحنا.

لو كانت القوى الشعبية موجودة وفاعلة لحققـت رقابـة شـعبية أكفـأ للمؤسسـات الاقتصادية التي أنشأها محمد علي، عقب انهيار مشروعه، وإذا كانت تلك القاعدة قد انهارت لارتباطها بالجيش عموما وبشخص محمد علي خصوصا، فإن وجود القوى الشـعبية كـان معناه عدم انهيارها بانهيار محمد علي لأنه بوجود القوى الشعبية لن يكـون كـل شـيء مرتبط بشخص لحاكم، ولا شك أن المحافظة على تلك القاعدة كان سيحصـن مصـر ضـد الاحتلال ويغير كثيرا من الأوضاع التي حدثت فيما بعـــد .

لو كانت القوى الشعبية موجودة، لما سمحت بدخول الاحتلال فـي ١٨٨٢ ولنظمـت عملية مقاومة شعبية فاعلة وقادرة، وإذا كانت تلك القوى قد نجحت في صد غزوتين في أقل من عشر سنوات فأنها لاشك كانت قادرة على التصدي بكفـاءة للاحـتلال الإنجليـزي فـي ١٨٨٢، إلا ترى الآن أن استبداد محمد علي وانفراده بالحكم قد أدى عمليـا إلـى ضـياع الخلافة،وضياع الفرصة التاريخية، وضياع مصر، أليس ذلك دليلا جديدا على الحقيقة القائلة بأن الاستبداد شر في ذاته، وأنه شـــر محـض .

والعيب الثاني هو افتقار محمد علي للحساب الاستراتيجي والحس التاريخي، فبـرغم أن محمد علي كان ذو بعد نظر سياسي جعله يدرك خطورة حفر القناة في مصر بما يترتـب عليه من نفوذ أجنبي ومطامع، وجعله يرفض عروض الشركات الإنجليزية لإصـلاح مرفـأ السويس أو مد خط سكة حديد بين القاهرة والسويس لخوفه من تسلل النفوذ البريطاني إلى مصر، وأدراك أن الخلافة مستهدفة، وأنها ربما تسقط بسبب البوسفور مما سبق أن أثبتناه، برغم ذلك فإنه قد وقع في خطأ استراتيجي قاتل بصدامه مع الخلافة وخوضه معارك سوريا

والأناضول، فإذا كان محمد علي يعرف أن الخلافة معرضة للضياع وأن الدول الأوروبية تتربص بها، وأن بريطانيا تريد مد نفوذها إلى مصر، فهل يسمح الظرف التاريخي بالصدام بين مصر والخلافة، أليس في ذلك أضعاف لهما معا، مما يؤدي إلى تحقيق الأهداف الاستعمارية فيهما، والتي لم يكن غافلا عنها، لو أمتلك محمد علي حسا تاريخيا لأدرك أن الظروف لا تسمح بالصدام مع الخلافة، وإنشاء خلافة أخرى على أنقاضها لأن الأوضاع الدولية غير مواتيه ، ولو أمتلك محمد علي الحس الاستراتيجي والنظرة المستقبلية لأدرك أهمية فتح أفريقيا في حسم الصراع مع أوروبا الصليبية لصالح العالم الإسلامي .

****

والآن لنتابع انهيار مشروع محمد علي، فبعد موقعة نصيبين، أي بعد تدمير آخر قوة للخلافة، وانضمام الأسطول التركي بقيادة أحمد فوزي باشا إلى الأسطول المصري، تدخلت الدول الأوروبية كما سبق بيانه، وأضطر محمد علي في النهاية أن يسحب جيوشه ويقبل بمعاهدة لندره، وكان من الطبيعي أن يتقلص عدد الجيش وأن تتأثر القاعدة الصناعية للبلاد بالتالي .

يقول الرافعي[٩٦] : " والواقع أن معظم المصانع التي أنشأها محمد علي قد أقفلت في أواخر عهده وأقفل باقيها في عهد عباس باشا الأول، وسبب اضمحلالها أن إدارتها كانت في يد موظفي الحكومة فانعدمت فيها الإدارة الحرة التي هي مناط ارتقاء المشروعات الصناعية والاقتصادية، ولم يكن الموظفون أمناء ولا غيورين على عملهم فيها .

فأدى سوء الإدارة في معظم تلك المصانع وضعف الرقابة على الموظفين إلى اضمحلالها، وكذلك أن الحكومة كانت تستورد الفحم والحديد وتنفق على المصانع النفقات الطائلة، فكانت النتيجة أن إيراداتها قلت على مر السنين عن مصروفاتها وتسبب عنها خسارة على خزانة الحكومة، كما أن إنقاص الجيش والبحرية في أواخر عهد محمد علي قد عطل المصانع التي تصنع حاجات الجيش لعدم الحاجة إلى مصنوعاتها " .

إذن فقد انهارت القاعدة الصناعية التي أنشأها محمد علي، وإذا كان الرافعي قد حدد أسباب ذلك في تقلص عدد الجيش، الحاجة إلى الخامات، سوء الإدارة، فإن ذلك يؤكد رأينا فلو كانت هناك قوى شعبية لحققت رقابة شعبية على الإدارة وحسنت أداءها، ولو اتجه محمد علي على أفريقيا لأمن موارد الفحم والحديد والأسواق اللازم لازدهار الصناعة، ولو لم يصطدم محمد علي بدولة الخلافة لما انهار جيشه وتقلص .

والمحصلة النهائية لكل ذلك، أن محمد علي دمـر القـوى الشـعبية وأخطـأ خطـأ استراتيجيا في الصدام مع الخلافة وضرب الصناعة القائمة على القطاع الخاص وأقام بـدلا منها صناعة قوية قائمة على رأسمالية الدولة، فلما فشل مشروعه انهارت تلك الصـناعة، وكان من الطبيعي والحالة هذه أن يكون سقوط مصر في قبضة الاحتلال مسألة وقت، فقـد جرد محمد علي مصر من عوامل قوتها في مواجهة الغزو الأجنبي دون أن يدري، فإذا كانت صناعته قد انهارت بانهيار مشروعه، وكان هو قد ضرب الصناعة القائمـة علـى القطـاع الخاص، فأنه قد حقق أول شروط الاستعمار، فقد أصبحت مصر بذلك بلا صناعة، أي أنهـا صالحة لأن تكون مصدرا للخامات وسوق لترويج المنتجات، وبضرب القوى الشعبية جـرد مصر من القدرة على تنظيم مقاومة ضد الغزو الأجنبي، ولم يمض إلا (٣٥ عاما) بعد حكـم محمد علي الذي أنتهى في(١٨٤٨) حتى وقعت مصـر فـي قبضـة الاحـتلال الإنجليـزي (١٨٨٢)، ولعل محمد علي قد أدرك متأخرا أخطاءه الاستراتيجية الفادحـة ومـا أدت إليـه نتائج أعماله فلم يحتمل ذلك، وأصيب بالجنون بعد أن اكتشـف أنـه قـد خـدم مخططـات الاستعمار خدمات جليلة وحاسمة دون أن يدري.

وإذا سألنا أنفسنا سؤالا خياليا، ماذا لو لم يظهر محمد علي؟!

كانت مصر تمتلك طاقة هائلة تولدت عقب انتصـار شـعبها علـى أقـوى دولتـين استعماريين، كانت مصر تمتلك حركة شعبية واعية وقادرة، كانت مصر تمتلك صناعة وطنية قدرها مسيو مانجان (١,٥) مليون جنيه، كـان مـن الممكـن أن تتطـور بفعـل الطاقـة المتولدة،ووجود حركة شعبية واعية، وترك محمد علي مصر بعد أن استنفذ تلك الطاقة فـي مشروع فشل، وتركها بعد أن ضرب القوى الشعبية، وتركها بعد أن دمر الصناعة القائمـة على القطاع الخاص، وانهارت صناعاته وأغلقت معظم مصانعه، تركهـا بعـد أن أمـتص مواردها في مشروعاته التي فشلت حتى آخر مليم، أي أنه تركها عـزلاء مـن كـل قـوة جماهيرية أو صناعية ، وتركها وقد أصبحت تحمل في داخلها شروط القابليـة للاسـتعمار اقتصاديا وسياسيا .

ماذا لو لم يظهر محمد علي؟! في أقل الأحوال كانت القوى الشعبية الصاعدة والتركيبة الاجتماعية التي نجحت في هزيمة غزوتين كبريتين قادرة على التصدي الكـفء للاحـتلال، وكانت الطاقة المتولدة عن الظروف الموجودة وقتها ستثمر عن شيء ما أفضل بالتأكيد مما حدث، وكانت الصناعات الموجودة ستستمر على ما هي عليه على الأقل، أو تتطـور بفعـل التطور الذاتي أو بفعل الطاقة المتفجرة في الشعب في ذلك الوقت، وكان ذلك أفضل قطعـا،

كان سيوفر على الأمة الإسلامية الموارد التي تبددت والدماء التي أريقت، وكان سيوفر على الخلافة استنفاذ كل قوتها لتواجه بها الدول الأوربية لمدة أطول على الأقل .

****

وإذا كان محمد علي قد تسبب بأخطائه الفادحة فى تلك النتائج المأساوية فهـل كـان يقصد ذلك ؟! من المؤكد أنه لم يقصد، ولكن هذا لا يغير من الأمر شـيء، والطريـق إلـى جهنم مملوء بالنوايا الحسنة، وقد يكون من المفيد ولو من جانب حب الاستطلاع أن نعـرف ماذا كان يقصد محمد علي، وما هي أهدافه التي أراد تحقيقهـا ؟!! .

،إذا كنا قد أسقطنا من اعتبارنا أن أهداف ومقاصد محمـد علـي كانـت مصـرية أو عربية، لأن الأوضاع الفكرية والاجتماعية لم تكن تسمح بتلك الترهات أو الخرافـات التـي يحاول البعض أن يروجها اليوم، ولأن الأحداث ذاتها تقطع بعدم إمكانية ذلك وبعكسه تماما، وإذا كنا قد حصرنا أهدافه ومقاصده في أمرين (تحقيق المجد الشخصي له ولأسـرته مـن بعده، أو إقامة خلافة بديلة أو بعث أو تقوية الخلافة العثمانية تحت قيادته) .

وإذا كنا قد انحزنا إلى الرأي القائل بأنه كان يهدف إلى تحقيق مجده الشخصي وأقمنا ذلك على أنه لو لم يكن يستهدف ذلك لكان سلوكه مختلفًا تماما بأبسـط قواعـد الحسـاب السياسي البسيطة، ونضيف هنا قوله في إطار تعليقه على رفض إنشاء القناة " أن إنشـائها سوف يلحق الضرر والخطر به وبمن بعده من أولاده وخلفائـه " .

إلا أننا مازلنا نقدر الرأي القائل بأنه كان يحاول بعث الخلافة العثمانية تحت قيادته.

أولاً: لأنه رأي الدكتور محمد شفيق غربال وهو رجل له قيمته العلمية التي تجعـل لـرأي يقوله كل وزن واعتبار فلا شك أنه لم يقل بهذا الرأي اعتباطا وهو المـؤرخ المتخصـص والكفء .

ثانيا: لأن كثير من الوقائع التاريخية تمد هذا الرأي بالدليل ومنه قيام أحمـد فـوزي باشـا بتسليم الأسطول العثماني إلى محمد علي ولا يمكن فهم هذا الحادث إلا في إطـار أحسـاس أحمد فوزي باشا بأن هدف محمد علي هو بعث العثمانية تحت قيادته، وأنه مادام قد وصـل بالقرب من الأستانة، ومادامت جيوشه أقوى، فمن الأفضل للخلافة أن يقودها محمد علـي، ومنها أيضا ترحيب الأتراك أنفسهم بحكم محمد علي، فأزمير مثلا سلمت له بـلا مقاومـة، ومنها تلك الوثيقة التاريخية الهامة التي كتبها البارون (بوالكونت) [٩٧] "أن محمـد علـي وحاشيته كانوا متشبعين بالفكرة التركية ".

وعن مقابلة مع إبراهيم باشا"قال البارون: حدثني إبراهيم باشا بلهجة طبيعية قائلا:"أنه ليؤلموني أن الدول الأوروبية منعتني من متابعة الزحف".

فأجبته: إني أظن العكس أنه قد آن الوقت الذي يحق فيه للدول أن تفكر في وقف سموكم عن الزحف، فإنه لم يكن أمامي سوى بضع خطوات لتصل الجنود المصرية إلى أسكدار وهناك تشب الثورة في الأستانه.

فأجابني: ولكني كنت شديد الرغبة في دخول الأستانة على رأس جيشي.

فقلت له: وماذا تقصدون سموكم من الذهاب إلى الأستانة وماذا كنتم صانعين بها؟.

فأجابني: ما كنت أدخلها للهدم بل للإصلاح، ولكي أقيم حكومة صالحة مؤلفة من رجال أكفاء بدلا من الحكومة الحالية العاجزة عن الاضطلاع بحكم الإمبراطورية،

فقلت له: إن سموكم يؤكد بحديثه المخاوف التي ألمحت إليها في كلامي، فإن ما كنتم تنوون على إحداثه هو ما كنا نعمل على منعه لا لأننا مسوقون لفكرة عدائية نحوكم أو نحو أبيكم ولكن لأن الانقلاب الذي كنتم عازمين على إحداثه في الأستانة يفضي إلى مشاكل قد تشعل نار الحرب في أوروبا بأسرها.

فأجابني: إنك واهم فيما تظن فإن الانقلاب كان يحدث دون أية مقاومة، فإن السكان على جانبي البسفور والدردنيل كانوا يطلبونني لإحداث الانقلاب الذي يتم بهدوء وسرعة دون أن تجدوا الوقت للشعور بوقوعه، تقولون أنكم تبغون الدفاع عن كيان تركيا وجعلها قوية، ولو تم هذا الانقلاب لكان من نتائجه بعث سلطنة قوية تقوم على أنقاض هذه السلطنة المفككة.

وهنا سكت إبراهيم عن الكلام كأنما استوقفته فكرة طارئة، ثم قال: إنني أبحث كثيرا وأتساءل لماذا تكن الدول الأوروبية كل هذا الحقد على الأمم الإسلامية؟

فقلت له إنني لم أفهم كلام سموكم .

قال : نعم ، فأنك تقول الآن أن وصولي جيش إلى إسكدار يحدث ثورة في الأستانة، وأني أوافقكم تماما، وأرى رايكم ، ولكن أليس هذا دليلا على أن الأمة الإسلامية لا تريد حكم السلطان محمود، فبأي حق ترغمون هذه الأمة على ما لا تريده، وهل يحق لكم معشر الفرنسيين أن تمنعوها من اختيار حكامها؟ عجبا ! لقد كنتم حينما ثار البلجيكيين وطلبوا تأليف مملكة مستقلة، وحينما قام اليونانيون يطالبون باستقلالهم تنادون أن لكل أمة الحق في اختيار ولي أمرها ونظام الحكم الذي تبتغيه، بل أنكم ساعدتم اليونانيين في ثورتهم، فلماذا تحرمون الأمة التركية هذا الحق ؟

ولعل هذا الحوار يعطي الدليل الواضح على أن هدف محمد علي وابنه إبراهيم باشا بعث سلطنة عثمانية قوية تقوم على أنقاض هذه السلطنة المفككة على حد تعبير إبراهيم

باشا، وأن إبراهيم باشا كان يريد دخول الأستانة لكي يقيم حكومة صالحة مؤلفة من رجـال أكفاء بدل الحكومة الحالية العاجزة عن الاضطلاع بحكم الإمبراطورية على حد قول إبـراهيم باشا أيضا، بل أن إبراهيم باشا كان يتحدث باسم الأمة التركيـة " فلمـاذا تحرمـون الأمـة التركية هذا الحق؟ " وهو ما يؤكد راي الدكتور غربال في أن محمد علي كان يريـد إحيـاء الخلافة العثمانية وبعثها على يديه وتحت قيادته، ومن ناحية أخرى، فإن تلك الوثيقة تؤكـد أن السكان الأتراك على جانبي البوسفور والدردنيل كانوا لا يمانعون، بل يرحبـون بتوحيـد السلطنة تحت حكم محمد علي بعد أن أصبحت حكومة الأستانة عاجزة عن الاضطلاع بمهـام الإمبراطورية، أي أن السكان كانوا يريدون أساسا وحدة الإمبراطورية، وأنهم أيضـا كـانوا يعرفون أن محمد علي وأبنه إبراهيم كانا يريدان ذلك، أي أن مشروع محمد علي في بعـث الخلافة العثمانية كان معروفاً للناس وأن الناس كانوا مقتنعين بـه .

ومن ناحية ثالثة فإن إبراهيم قد أكتشف بعد الاحتكاك بالحوادث أو ربما قبلها أن أوربا تحقد كل الحقد على الأمة الإسلامية، وأنها تتربص بها الدوائر، وتعجب من موقف فرنسـا التي كانت تدعي صداقة محمد علي .

ومن ناحية رابعة فإن هذه الوثيقة تعطينا الدليل أيضا على أن أوروبا لم تكـن تريـد إقامة حكومة إسلامية قوية وصالحة على رأس الخلافة، وأنها ما تمسكت بحكومة السـلطنة ووجودها إلا خوفا من ظهور تلك الحكومة القوية، وأنها كانت تريد المزيـد مـن إضـعاف الخلافة حتى آخر قطرة من قوتها ثم تتدخل، فقد حدث بعد تلك المحادثات أن وقعت معركـة نصيبين واستمرت المعارك فترة طويلة، كانت تلك المحادثات في ١٨٣٣، وانتهت الحـرب ١٨٤٠، بعد معاهدة لندره، فمادامت أوروبا تريد حماية السلطنة على حد قـول البـارون، فلماذا لم تتقدم وتتدخل بشكل حاسم، ألا بعد تدمير قوة الخلافة تماما .

ولعل أهم دروس تلك الوثيقة أن فرنسا التي تدعي صداقة محمد علي كانت تحـرص على المصالح الصليبية الأوروبية العليا وأنها حرصت على أداء دورها القذر والمميـز فـي إطار هذه المصالح، وربما يحقق أقصى النتائج وأفضلها لأوروبا، ولعل هذا الـدرس يكـون عظة لنا حتى لا نأمن جانب الغرب الصليبي يوما مهما أدعى بعض قادته أو دولة حرصـه على صداقتنا، ولعل هذا الدور الفرنسي كان قريب الشبه بالدور الروسي مـع مصـر فـي تاريخنا القريب جدا، ولا يمنع هذا من وجود تناقضات ثانوية بين إنجلترا وفرنسا أو أمريكا وروسيـا.

على أي حال وآيا كانت أهداف محمد علي، وآيا كانت نيته فإن النتائج كانت مأساوية .

******

الحركة الإسلامية

أولويات إستراتيجية وتكتيكية

د-محمد مورو

الأمة لم ترتد عن دينها لكنها في حالة هزيمة.

-أثبتت الخبرات والتجارب أهمية بناء وعي إيجابي لدى الشعوب الإسلامية لتحقيق النهضة المنشودة.

- الأولويات الاستراتيجية للمسلمين تدور حول التصرف كطليعة.

إذا اعتبرنا أن الحركة الإسلامية هي ضمير الأمة ، وهي التعبير الصحيح الوحيد عن هذه الأمة ، باعتبار أن الإسلام هو دين الأمة وعقيدتها ، وهو أيضا المكون الأساسي في ثقافتها وحضارتها وبالتالي ، فهو التعبير عن وجـدان جماهيرهـا -مسـلمين وغيـر مسلمين-؛ فإن تحديد أولويات هذه الحركة هو شرط أساس لمواجهة التحديات وإنقاذ الأمة من الانهيار وفتح الطريق أمامها للمستقبل .

بداية فإن على الحركة الإسلامية أن تعرف نفسها تعريفًا صحيحا لاعتبارها طليعة للأمة وخميرة للنهضة وليست بديلاً عن الأمة بمعنى أن عليها أن تدرك أن المنوط بالتغيير والمواجهة هو كل الأمة وليس قطاعا واحدا منها -مهما كبر حجمه- وإذا تصرفت الحركة كبديل عن الأمة أو بالانعزال عنها ؛ فهي تتحول بالضرورة إلى سرطان في جسد الأمـة، والأمر أشبه هنا بخلايا شديدة النشاط والحيوية، إذا أخذت بيد باقي خلايا الجسـد وقامـت بتنشيطها معها وزيادة حيويتها صح الجسد وشفي، أما إذا نشطت منفردة ومنعزلـة فهـي تكون بمثابة سرطان في جسم الأمة؛ وهكذا فإن الأمر أشبه بنظرية الخميرة في اللبن.. فإذا نشطت الخميرة داخل اللبن تحول إلى زبادي -وهو المطلوب-، أما إذا نشـطت الخميـرة خارج اللبن فهي تتحول إلى وباء وتكاثر بكتيري ضار أو على الأقل لا قيمة له، وبـدهي هنا أن الأمة هي اللبن والحركة الإسلامية هي الخميرة، وتحقيق نهضة الأمة هو الزبادي.

وهكذا فإن فكرة الجماعة البديلة، أو الجماعة الأم، أو الصف الطويل أو القصـير؛ هي أفكار جزئية تحقق عكس المطلوب.

أمة في حالة هزيمة

يجب إدراك أن الأمة لم ترتد عن دينها؛ بل نحن أمة في حالة هزيمـة تكنولوجيـة، والفجوة التكنولوجية بيننا وبين أعدائنا كبيرة جدا ، لا يمكن جبر هذه الفجـوة علـى المـدى القصير والمتوسط؛ بل إن توهم تحقيق ذلك أدى إلى كثير من الخسائر والوقت الضائع ، ولعل هذا يدفعنا إلى إعادة النظر في الأهداف والأولويات وشكل الحركة ، فبناء مؤسسـة قويـة أو جيش قوي أو حتى دولة قوية أو جماعة قوية ...الخ هو نوع من الوهم لأن هذا لـن يتحقـق لأننا في معركة مع أعداء شرسين لن يسمحوا بداهة بذلك ، والمؤسسـة القويـة أو الجماعـة القوية أو الدولة القوية أو الجيش القـوي ...الـخ عرضـة للضـرب والتفكيـك بسـهولة. ولعل تجاربنا القريبة والبعيدة تثبت ذلك ، بل المطلوب بناء وعي إيجابي لدى كل الجمـاهير بمعنى التركيز على الإنسان والجماهير وليس المؤسسة والقوى الماديـة؛ لأن الإنسـان هـو سلاحنا الرئيس في معركة المصير "سلاح الاستشهاد والمقاومة" وهو سلاح أثبت فاعليته فـي كل المواقف والمواقع بدءا من مقاومة الحملة الفرنسية في مصر سـنة ١٧٩٨ إلـى مقاومـة القوات الأمريكية في العراق الآن ، ومن سنن الله تعالى أن الإنسان أقوى من التكنولوجيـا . وكذلك في طريقة بناء الحركات يجب أن يكون الإنسان الطليعة - الخميرة ، وليس التنظـيم والجماعة والأدوات ، وحتى على مستوى نمط التنمية يجب التركيز على التنمية الأفقية وليس الرأسية ، والتنمية المعتمدة على الإنسان المحلي والسوق المحلي والخامات المحليـة وليسـت القائمة على أكتاف التكنولوجية ، وهذا يحقق هدفين: أولاً تشغيل الطاقات الإنسانية بدلاً مـن الآلية ، وعدم قدرة الأعداء على ضربها . وننوه هنا بالتنمية الزراعية والرعوية والصناعات الخفيفة.

يجب إذًا أن ندرك توصيف حالتنا الراهنة ؛ فنحن أمة صعد المنحنى الحضاري لهـا بدءا من الرسالة وحتى وقت طويل ، ثم ثبت هذا المنحنى ثم بدأ في النزول منذ قـرنين إلـى ثلاثة قرون ، ويجب أن ندرك هذا أولاً ونعترف به ، ولا نتصور أنفسنا مازلنا فـي عصـر الدولة العباسية حيث كان الخليفة يقول للسحابة في السماء "أمطري حيث شئت فسوف يـأتيني خراجك"، وبعد إدراك ذلك نعمل على تقليل سرعة نزول المنحنى ثم نوقف نزول المنحنى ثم نعمل انقلابا في اتجاه المنحنى ثم نبدأ الصعود من جديد، وهذا يقتضي سلوكًا فكريا وحركيـا

متميزا يمكن أن نطلق عليه اختصارا "فقه الإقلاع" . وبدون إدراك ذلك والمرور في تلك المراحل فإن الجهد سيضيع والطاقات ستهدر والتضحيات بلا جدوى تستمر.

جهد حركي متجدد

بالطبع فإن روشتة الحل وتحديد الأولويات تحتاج إلى جهد مضني وعمل من قطاع واسع من المفكرين والحركيين ، وبدهي أن ذلك الجهد وتلك الاقتراحات لا يمكن أن يتسع لهما مقال ولا حتى كتاب ولا يمكن أن يضطلع به فرد مهما كانت قدراته ، ولكنه جهد تراكمي من أفراد وهيئات وحوارات وندوات ومقالات وكتب ، وقبل ذلك وبعده جهد حركي متجدد ومتجاوز وغير تقليدي ، ولكن - من وجهة نظري - والله تعالى أعلم ؛ فإن مفتاح كل ذلك يتلخص في فعل وكلمة "الجهاد" ... الجهاد ضد المشروع الأمريكي الصهيوني وليس ضد بعضنا بعضا ، وتقديم هذه الأولوية على غيرها . والجهاد هو الذي سيفجر الوعي ، الوعي باللحظة وأبعادها وأولوياتها ومهماتها ، وهو الذي سيفجر التقوى في النفوس؛ فمن أراد أن يعرف ويعلم ويتعلم فليجاهد، ومن أراد أن يتقي الله ويعبده أكثر فليجاهد، ومن أراد أن يتقدم صناعيا أو زراعيا أو علميا أو فنيا فليجاهد، والله تعالى يقول في كتابه العزيز: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا" . وهكذا فإن الجهاد في سبيل الله أولاً وثانياً وأخيراً .

ولعله من المفيد هنا أن نتحدث عن وصفة قرآنية لحالتنا المعاصرة وبالتالي طريقة حل المشكلة ، يقول الله تعالى في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين).

الآيات إذًا تتحدث عن الحالة التي نحن بصددها، وهي الموالاة والتحالف بين اليهود والنصارى "إسرائيل وأمريكا والغرب" ، وهو أمر لم يحدث تاريخيا إلا في الخمسين أو المئة سنة الأخيرة. والآية تحدد لنا الطريق الصحيح وهي عدم موالاة الإسرائيليين والأمريكيين والغرب ؛ بل وتنصح المغتربين والمنبطحين ، وتحدد موقفهم بدقة تليق بإعجاز القرآن الكريم ، فهم (في قلوبهم مرض)، ويقولون لا نستطيع أن نواجه أمريكا أو إسرائيل لأن هناك خلل في ميزان القوة ، وأننا لو فعلنا ذلك سوف نصاب بكارثة وخسائر ضخمة (نخشى أن تصيبنا دائرة)، والحل من عند الله تعالى ؛ فإذا بذلنا الجهد كله في الجهاد والمواجهة ، ولم نوال أمريكا والغرب وإسرائيل ، فإن مدد الله موجود ، ومسألة هي إحدى أهم الأولويات التي

يجب أن تركز عليها الحركة الإسلامية . وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة وهو ليس دعوة للتواكل؛ بل على العكس دعوة للإيجابية والمواجهة وعدم الخوف، لأن المدد لا يأتي إلا بشرط بذل كل الجهد ، وبذل كل التقوى ، أي أنه دعوة للعمل على مستوى العبادة والعمل الـدنيوي معا ، وهو طريق ضد الخضوع مهما بلغت قوة الأعداء؛ لأن الإيمان بالمدد الإلهـي يجعـل المؤمن وجماعة المؤمنين لا تحسب المسألة حسابا بسيطًا بل حسابا مركبا تدخل فيه قـدرة الله تعالى ومدده ، وبالتالي فالخوف مرفوع لأننا نستند إلى أقوى الأقوياء، القادر على كل شيء .

وهكذا فإن الآيات تفتح باب الأمل ، فيمكن أن يحقق النصر بفعل إلهـي مباشـر ، أو تتعطل آلات الأعداء الجبارة، أو يقيض الله للأمة من أمثال الاستشـهاديين والمقـاومين فـي فلسطين والعراق ويوقعوا من الخسائر في صفوف الأعداء ما لا قبل لهم بـه ، فينسـحبون ، وعندئذ يصبح الذين في قلوبهم مرض نادمين .

الأولويات الاستراتيجية تدور إذًا حول التصرف كطليعة ، وحول إعادة الاعتبار إلـى المقاومة والمواجهة والجهاد ، وليس الصف والتربية وانتظار الفرص ، وعدم موالاة الغـرب وأمريكا وإسرائيل وعدم المرونة معهم على أي مستوى كما يحدث مـن بعـض الحركـات الإسلامية ، إدراك بعد الهزيمة التكنولوجية والتركيز علـى الإنسـان ولـيس المؤسسـة . وهناك بالطبع أولويات تكتيكية كثيرة جدا ، وهذه متغيرة يوما بعد يوم وعلى الحالة الإسلامية إدراكها وفهمها والتعاطي معها شريطة ألا تكون على حساب الأولويات الاستراتيجية .

أمريكا إستراتيجية واحدة وتكتيك مختلف

د- محمد مورو

ابالطبع فإن المجتمع الأمريكي ليس مجتمعا مصمتًا، ولكن الحساب السياسي والاستراتيجي الصحيح يكون على أساس محصلة هذا المجتمع، واتجاه هذه المحصلة، والمجرى الرئيس لسياسة ذلك المجتمع في لحظة ما ، وليس البناء على هوامش هذا المجتمع يمينًا أو يسارا مهما كان حجم هذا الهامش؛ لأننا نواجه في النهاية ممارسات القطاع صاحب القرار ، وتقع على رؤوسنا هذه الممارسات حتى ولو كان حجم الانتقاد لها في الداخل الأمريكي عاليا جدا أو عريضا جدا، ولا ننسى أننا أمام مجتمع فيه مؤسسات وفيه قوى حاكمة هي المجمع الصناعي العسكري، وهذه المؤسسات هي التي تعبر عن ذلك المجمع الصناعي العسكري الحاكم، وبالتالي فالقرارات الاستراتيجية في حقبة ما سوف تصدر سواء كان يحكم أمريكا الجمهوريون أم الديمقراطيون؛ فهذا بالطبع لا ينفي وجود خلافات وتناقضات – ثانوية – بين الجمهوريين والديمقراطيين، أو بين قوى المجتمع الأمريكي، ولا ينفي إمكانية الاستفادة منها، وبالتالي فمن الصحيح والصحي رصد تلك التناقضات وفهمها شريطة أن ندرك أولاً وأخيرا أنها تناقضات ثانوية.

خلاف في التكتيك

فالحرب على العراق ، ومفاهيم الإمبراطورية الأمريكية ، واليمين المسيحي الأصولي ، وجورج بوش وإدارته ، والدعم غير المحدود لإسرائيل ليست اختراعا من الجمهوريين؛ فربما يكون هناك خلاف حول الطريقة والتكتيك، ولكن ليس على الاستراتيجية والأهداف النهائية؛ بل ربما كان الديمقراطيون أشد حماسا لإسرائيل من الجمهوريين، ربما كانوا متحمسين لإسرائيل ووجودها واستمرارها مع إدراك أن مصلحة إسرائيل وأمريكا تقتضي عدم مسايرة السياسات الشارونية، ليس كراهية في شارون أو حبا في العرب؛ ولكن لأن تلك السياسة سوف تستفز المجتمعات العربية والإسلامية، ويكون رد فعلها على المستوى الاستراتيجي والمدى البعيد أخطر من رد فعلها على سياسات أقل مدة وأكثر حدة ، أو أن الفرق هو بين أسلوب الثعالب وأسلوب الذئاب ليس إلا، والأمر نفسه يتضمن ويشمل السياسات الأمريكية الأخرى المتصلة بالتواجد في المنطقة وطريقة إدارتها، وفي كل الأحوال فإن تفصيل

هذا الأسلوب أو ذاك يرتبط أولاً وأخيرا في حالة المقاومة وقدراتها ومدى تجذرها في الواقـع العربي ، فالديمقراطيون مثلاً يهاجمون سياسة الرئيس بوش وإدارته في العراق ، والسـيناتور جون كيري المرشح الديمقراطي للرئاسة طالب بمحاسبة الرئيس الأمريكي جورج بوش ونائبه ديك تشيني على تضليل الرأي العام لإدعائهما امتلاك العراق أسلحة دمار شامل ، وقال كيري لشبكة (سي.بي.إس) التليفزيونية الأمريكية إنه لا بد من تشكيل لجان استماع تابعة للكونجرس لمعرفة الحقيقة كاملة، وأنه لا يعتقد أن السبب في ذلك ضعف المعلومات المخابراتية. وشـبه كيري حرب العراق بالحرب التي خاضتها أمريكا في فيتنـام. وقـال: إن الشـباب يمـوت للمبررات الخطأ، وإن بوش سارع بالدخول فـي حـرب العـراق دون خطـة للفـوز !!.. نفس الكلام أو قريب منه يردده باقي الديمقراطيين وقطاعات أخرى من الشـعب الأمريكـي والمثقفين الأمريكيين فالجنرال كلارك وهو أحد زعماء الديمقراطيين قال لشبكة " إن . بـي . سي": إن مسألة العراق تتخطى دور المخابرات الأمريكية، وأنـه يعتقـد أن الإدارة الحاليـة ضـغطت علـى أجهـزة المخـابرات لتصـل إلـى النتـائج التـي تحتـاج إليهـا. إن جوزيف ليبرمان المرشح للرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠ والذي خسر أمام جـورج بـوش بسبب التلاعب المعروف في حساب الأصوات وفقًا للائحة الأمريكية وطريقة حساب أصوات المجمع الانتخابي ألقى باللوم على المخابرات الأمريكية...

قوانا الذاتية أهم

فالانتقاد هنا لا يصل إلى درجة رفض الحرب على العراق أصلاً، ولكن على أنه لـم تكن هناك خطة للحرب، أو أن المبررات كانت ملفقة وهذا كله أيضا لم يكن ليحدث أو يحقـق أي تفاعل لدى هؤلاء لولا الخسائر الباهظة التي تخسرها القوات الأمريكية في العراق بسـبب المقاومة العراقية الباسلة، أي أن المسألة ليست خلافًا على المبدأ، بل خوفًا من الوصول إلـى كارثة بسبب تلك الخسائر وضياع هيبة الولايات المتحدة، وهكذا فالعامل الأهم هنا هو قوانـا الذاتية والمقاومة العراقية تحديدا، ونلاحظ أن هؤلاء الذين ينتقدون إدارة بوش بسـبب عـدم قدرته على القضاء على المقاومة ويصلون في نقدهم إلى حد المطالبة بمحاكمة بوش ونائبه هم أنفسهم الأكثر حماسا للمشروع الصهيوني، وبعضهم صهاينة "جوزيف ليبرمان"، وأن ضميرهم لـم يلفـظ المجـازر والوحشـية التـي يتعـرض لهـا الفلسـطينيون !! وبالطبع هناك قوى وشخصيات ومفكرون وفنانون ومثقفون يعترضون على السياسة الأمريكية

بشكل عام، أمثال ناعوم تشومسكي، ولكن هؤلاء لا تأثير لهم على القرار الأمريكي، وهم على هامش الهامش بالنسبة لمؤسسة الحكم في أمريكا.

أيا كان من يحكم أمريكا؛ فإن الاستراتيجية واحدة، والتكتيك مختلف، ويجب أن ندرك هذا ونفهمه، وبالإضافة إلى ذلك فإن موضوع العراق وفلسطين ليس وحده هو الـذي يحسـم الحركة الانتخابية؛ فهناك عوامل شتى و مختلفة من الإعلام والمال وقضايا الداخل الأمريكي، وليست السياسة الخارجية فقط هي التي تؤثر تأثيرا كبيرا في ذلك، وكلها تحت سيطرة المجمع الصناعي العسكري الحاكم في واشنطن. ويجب أن ندرك أيضا أن جون كيري نفسه كان قـد أيد إعطاء بوش تفويضا بالحرب في العراق عندما عرض الموضوع على الكونجرس، وأنـه تراجع عن ذلك ليس من حيث المبدأ ولكن لزيادة خسارة القوات الأمريكية في العراق بسـبب المقاومة العراقية المتصاعدة. أما المرشح الديمقراطي هوارد دين والذي هو الأعلـى صـوتًا والأكثر معارضة للتورط الأمريكي في العراق؛ فإنه تعرض لهجوم شديد من الدوائر الأمريكية التي اتهمته بعدم الوطنية، وقد أثر ذلك على شعبيته بما يدل على أن معارضة الحرب علـى العراق والتورط فيها من حيث المبدأ لا يزال غير مقبول شعبيا ، أو أن دوائر النفوذ المـؤثرة في أمريكا قادرة على إضعاف من تريد وقتمـا تريـد بسـبب امتلاكهـا للمـال والإعـلام. وهكذا فإن المراهنة على تغير الموقف الأمريكي من العدوان بسبب الإطاحة بجـورج بـوش مثلاً أو وصول الديمقراطيين إلى السلطة هو نوع من الوهم اللذيـذ؛ فالمسـألة أولاً وأخيـرا مرتبطــة بالمقاومــة، وهــل تســتطيع الولايــات المتحــدة تحمــل الخســائر أم لا؟ ولا يفوتنا في هذا الصدد أن معظم قادة الحزب الديمقراطي والذين دخلوا سـياق الانتخابـات التمهيدية كانوا و لا يزالون يؤيدون الحرب على العراق واحتلالها مثل جوزيـف ليبرمـان، والسيناتور إدواردز و غيرهما.

المراهنة الخطأ

حوار الأفكار والآراء في المجتمع الأمريكي والذي قلنا إنه غير مصـمت هـو أمـر طبيعي وبدهي، ولكن يجب ألا يقودنا هذا إلى المراهنة على الظواهر الخطأ؛ فالحساب يكـون على المحصلة واتجاه تلك المحصلة وعلى المجرى الرئيس وعلى توجهات المؤسسة الحاكمـة الحقيقية ...، ولا شك أن السياسة الأمريكية الحالية هي محصلة ونتيجة تطور الآلة الرأسمالية ، والعولمة وانهيار الاتحاد السوفييتي السابق، وهي جزء من البنية الداخلية للمجتمع الأمريكي

الذي قام أصلاً على الإبادة والعدوان واسترقاق السود ونهب الآخرين ، وبالتالي فإن وصـول إدارة بوش إلى السلطة هو الذي كان نتيجة ذلك التطور، وليس العكس.

أسرار وفضائح البيت الأبيض

وإذا كان من المفيد رصد وفهم مثل تلك التفاعلات مع إدراك محدودية تأثيرها وطبيعة ذلك التأثير، فإننا نرصد صدور عدد من الكتب التي تناهض سياسة الـرئيس بـوش وتقـدم انتقادات لاذعة له ومن هذه الكتب كتاب " أكذوبة بوش الابن " للمؤلف الأمريكي دافيد كورن ، وكتاب " أكاذيب وكذابون " للصحفي مولي إيفانز، وهذان الكاتبان يؤكدان أن البيت الأبـيض عمد إلى تسييس أحداث ١١ سبتمبر لتبرير سياسات معتمدة سلفًا مثل الحرب على الإرهاب ، وهناك أيضا كتاب " ثمن الولاء " لوزير الخزانة الأمريكي السابق " بول أونيل " والذي يصور فيه المؤلف الذي أطلع عن قرب بحكمة عمله كوزير للخزانة في إدارة بـوش علـى أسـرار السياسة الأمريكية في عهد ذلك الرئيس وإدارته وعرف كيف تـدار المسـائل الاسـتراتيجية وقرارات الحرب وغيرها ، وقد اتّهم بول أونيل الرئيس بوش الصغير بأنه سلبي وسطحي ولا دور له إلا توقيع القرارات ، وأن هذه القرارات يتخذها المحافظون المتشددون من أمثال ديـك تشيني ، وكارل دون. وكشف بول أونيل أن خطة ضرب العراق كانت خطة معدة سلفًا ربمـا حتى قبل فوز جورج بوش الابن بانتخابات عام ٢٠٠٠ ، لأن الشهور الثلاثة الأولى من حكم بوش الابن كانت موجهة لدراسة آليات تنفيذ تلك الخطة، والبحث عن ذرائع لتبرير العملية أمام الرأي العام، وإن الجميع من مستشاري الأمن القومي حتى وزير الدفاع كان يعمـل لتنفيـذ الخطة، وليس السؤال عن جدواها أو عدم جدواها مثلاً ، وقد تضمن الكتاب عددا من الوثـائق التي أزعجت البيت الأبيض الذي اعتبرها نوعا من إفشاء أسرار الحكم الذي كان أونيل جزءا منه لمدة ٣٣ شهرا كوزير للخزانة ، منها وثائق تثبت أن قرار الحرب اتخِذ قبل أحـداث ١١ سبتمبر؛ بل إن تصورات ما بعد الحرب كانت تتم مناقشتها، وكانت الحرب شـيئًا حتميـا لا رجعة عنه ، وإحدى هذه الوثائق بعنوان " عراق ما بعد صدام "، والأخرى بعنوان " الساعون الأجانب لعقود حقول النفط العراقية "، ويعترف وزير الخزانة مؤلف الكتاب المذكور " ثمـن الولاء " أن فكرة الحرب الاستباقية فكرة غير أخلاقية وأنها أساءت إلى سمعة أمريكا ، وجعلت منها دولة مارقة منفردة بقرارها لا تصغي لصديق أو حليف؛ فأصبحت بذلك في عزلـة مـن

العالم كما يعترف الرجل بأن الاجتماعات التي شارك فيها والتي كانت مخصصـة لموضـوع امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل أعطته إحساسا بعدم جدية الأدلة المقدمة علـى ذلـك، وأن أحدا لم يكن يهتم بمدى جدية تلك الأدلة؛ بل انصب الاهتمام على البحث عن أساليب الإطاحة بصدام ووسائل الغزو العسكري واحتلال العراق .

اعترافات خطيرة لمنظر المؤسسة الأمريكية

على الجانب الآخر لصراع الأفكار؛ فإن كتاب " نهاية الشر " للمؤلف ريشارد بيـرل هو الأكثر تعبيرا عن أمريكا وعن المؤسسة الحاكمة فيها وعن توجهاتها الرئيسة بعد سـقوط الاتحاد السوفيتي والانفراد بالتنمية في العالم وانتصار الرأسمالية وتطورها في اتجاه العولمة، وكذا فإن شخصية المؤلف ذاتها تؤكد هذا المعنى؛ فريتشارد بيريـل هـو فيلسـوف اليمـين الأمريكي المحافظ، وبالتالي فهو فيلسوف ومنظر المؤسسة الأمريكية الحاكمة في هذه الحقبـة، وهو الأب الروحي للعصابة التي تحكم البيت الأبيض: (تشيني، رامسفيلد، وكونـداليزارايس، وولفوتيز .... إلخ)، وكان ريشارد بيرل هو رئيس مجلس سياسات الدفاع في البنتاجون، وبعد فضائح مالية أصبح عضوا في ذلك المجلس، ولكن لا يزال هو المؤثر الأكبر عليـه، حيـث الرئيس الجديد والأعضاء هم تلاميذه، وهو مهندس الحرب على العراق بلا منازع، وأول من وضع خطة لذلك الأمر حتى قبل أن يتولى بوش الرئاسة، وأراء بيرل يرددها كبار المسؤولين في البيت الأبيض، كما يرددها عدد كبير من الباحثين والمفكرين والجنرالات في أمريكـا، أي أن الرجل هو التعبير الأساسي عن السياسة الأمريكية في تلك الحقبة، وهو أن ريشارد بيـرل كان مستشارا لليكود في إسرائيل، وقد طرح الرجل في هذا الكتاب (الخطير والهـام، والـذي ينبغي ترجمته بسرعة، وقراءة ما فيه ومعرفة ما يخطط لنا بالتالي في أمريكا في تلك الحقبة) أسرارا غاية في الخطورة؛ فهو يرى أن الإسلام هـو مصـدر الشـر، وأن الـبلاد العربيـة والإسلامية هي معمل تفريغ الإرهاب، ويدعو إلى مهاجمة كل من إيران وسوريا سريعا، وأنه يجب إلغاء معاهدة أوسلو وحل الموضوع الفلسطيني على طريقة شارون ومن جانب واحـد، وأن الأمم المتحدة لا قيمة لها ولا تعني شيئًا، وأنه ينبغي تأديب أوربا لتخلفها عن تأييد ودعـم الضربة العسكرية الأمريكية للعراق، وأن فرنسا دولة عدوة، وأنه يجب اتباع من الإجـراءات التأديبية ضد فرنسا، وأن زمن الحرب الباردة قد انتهى، وأن على فرنسا أن تدرك ذلك وتغير خطابها السياسي، وأن أمريكا هي القوة الوحيدة في العالم الآن ولا يوجد منافس أو منازع لها، وأن احتلال العراق ليس إلا مقدمة تتبعها سوريا ثم السعودية كهدف استراتيجي، ومن ثم تكون مصر هي الجائزة، وأن فلسطين هي إسرائيل، والأردن هي فلسطين، والعراق هـو المملكـة

الهاشمية، وأنه من حق الولايات المتحدة ضرب أية دولة في العالم تعجز عن القيام بدورها في ملاحقة الإرهاب؛ لأن هذا العجز يؤدي إلى خطر على أمريكا في النهايـة!. ويـرى بريـل ضرورة تخويف روسيا حتى تقر بالقيادة لأمريكا وحدها، ويطالب الرجل بمضاعفة ميزانيـة الدفاع والمخابرات وإعادة ترتيبها بما يضمن الكفاءة في شن الحروب الوقائية أو الاسـتباقية، وقد يبدو للوهلة الأولى أن الرجل مصاب بجنون العظمة أو أن ما يقوله " هلوسات الغطرسة " كما وصفه البعض، أو إطلاق وصف أمير الظلام عليه كما أصبح مشهورا عنه، كل هذا قـد يكون صحيحا أو خاطئًا، أو صحيحا جزئيا أو خاطئًا جزئيا، ولكن المؤكد أنه حتى لـو كـان الرجل مجنونًا أو أميرا للظلام أو مصابا بهلوسات الغطرسة؛ فإن ما يقوله هو للأسف السياسة الحقيقية أو القريبة جدا من الحقيقة للمؤسسة الأمريكية الحاكمة وللمجمع الصناعي العسـكري المتحكم الحقيقي في أمريكا، فضلاً عن حكام البيت الأبيض وإدارة جـورج بـوش وصـقور وزارة الدفاع ، أي أن علينا أن نأخذ ما يطرحه الرجل بجدية مهما كان غريبا وفظا وشاذا !!

الشرق الأوسط الكبير

د- محمد مورو

الشرق الأوسط الكبير أو الشرق الأوسط الأوسع نطاقًا أحدث صيحة في عالم المبادرات الأمريكية والأوروبية لإعادة صياغة المنطقة بما يخدم المصالح الأمريكية والصهيونية والفرنسية عموما. المسألة إذًا ليست جديدة تماما ولكن فيها ما هو جديد أيضا فمثل هذه المشروعات والمبادرات لم تنقطع منذ حرب الكويت عام ١٩٩١ في إطار انفراد أمريكا بالهيمنة على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق والمنظومة الاشتراكية والتواجد الفعلي للقوات الأمريكية في المنطقة بعد حرب الكويت عام ١٩٩١ لتكمل مع إسرائيل حلقة الاحتلال والهيمنة، وقد شهدنا مثل تلك المبادرات منها ما يسمى بالسوق الشرق أوسطية ، وهي فكرة أمريكية صهيونية تستهدف إدماج إسرائيل في المنطقة وإفقاد العرب والمسلمين الهوية والثقافة والتميز الحضاري وبالتالي الانتماء إلى الشرق الأوسط أو عالم المصالح و(البيزنس) والسلام – وهو وهم طبعا-. ثم ما يسمى الانتماء لبحر المتوسط، وهي فكرة أوروبية تحقق أهدافًا قريبة من الأهداف السابقة، أي استبدال الانتماء العربي والإسلامي بالانتماء إلى ثقافة البحر المتوسط، وهذه بالطبع أقل خطرا من الشرق أوسطية رغم أنها تدمج إسرائيل أيضا في المنطقة، ولكنها تتعارض شيئًا ما مع المفهوم الأمريكي للمنطقة.

ثم بعد ذلك ظهرت مبادرة (كولن باول) للشراكة والسلام والتنمية، وقد تم رصد اعتمادات وأموال وإنشاء صحف وقنوات فضائية وتليفزيونية للتبشير بتلك القيمة وغيرها، ثم أخيرا مشروع بوش المسمى بالشرق الأوسط الأوسع نطاقًا، وهو يضم حسب تعريف بوش نفسه العالم العربي + إسرائيل + إيران، وباكستان ، وتركيا ، وأفغانستان؛ أي نطاق عربي إسلامي يقبل باندماج إسرائيل فيه وهو هنا يشبه مشروع الشرق أوسطية المعروف، ثم حديث عن التنمية ، وعن الرخاء وأرقام عن تدني الدخول ، وتدني مستوى المعيشة ، تفشي البطالة و الأمية، وكأن السيد الأمريكي اكتشف ما هو غير معروف لحالتنا. بديهي فإن الوعد هنا الرخاء الاقتصادي وهو وهم طبعا (فالحدأة لا تلقي بالكتاكيت)، المهم في المسألة أن ذلك كله بشرط دعم اقتصاد السوق، أي تسليك مواسير النهب والهيمنة وإعادة

هيكلة المجتمعات لإفقادها الهوية والثقافة، ثم حديث عن دور المرأة وتحريرها، وهو حديث ممجوج من كثرة تكراره وحق يراد به باطل، وكذا دعم مؤسسات المجتمع المدني طبعـا بشروط أن تكون تلك المؤسسات ناشئة في ظل العولمة ووفقًا لمفاهيمها وأجندتها وليست مؤسسات أهلية إسلامية كانت ولا تزال معروفة ومؤثرة، وأخيرا الحديث التقليـدي عـن الديمقراطية وحقوق الإنسان ونزاهة الانتخابات ووقف التعذيب والانتهاكات، وهو حديث منافق تماما لأنه يمس وترا حساسا وصحيحا، ولكنه نوع من الخيار بين الوهم والجحـيم؛ وهم إمكانية تحقيق الحرية عن طريق الاستعمار، وجحيم دعم الحكومات المستبدة نكاية في أمريكا. وينبغي بالطبع أن نكون موقفًا مركبا يرفض الاستعمار ويرفض الاستبداد في نفس الوقت.

دكتاتورية ونفاق

على كل حال فإن الحديث المنافق عن الديمقراطية وحقوق الإنسان يستدعي قدرا أكبر من المناقشة ووضع النقاط على الحروف، فبداية فإن الذي صنع الديكتاتورية وصنع التطـور الاجتماعي الصحيح في المنطقة هو الاستعمار ذاته وأمريكا وإسرائيل تحديدا، وجورج بـوش نفسه اعترف بأن أمريكا دعمت الاستبداد في المنطقة لمدة ستين عاما، وقد آن الأوان لوقـف هذا الخطأ والجزء الأول من كلام بوش صحيح؛ وبالتالي ينبغي لإصلاح الخطأ الاعتذار ودفع التعويضات للمتضررين وهم كثير من الذي انتهكت حرياتهم ومحاكمة المسؤولين عـن ذلـك أمثال كسينجر وكلينتون وبوش الأب وفيهم من لا يزالون أحياء مثلا !! أما الجزء الثاني مـن كلام بوش فهو نفاق محض ، ذلك أن أمريكا نفسها لا تطيق ولا تقبل حكومات منتخبة ومقبولة شعبيا ولا تقبل بديمقراطية حقيقية في المنطقة؛ لأن ذلك يقود مباشـرة إلـى ظهـور التيـار الإسلامي وثقافة المقاومة وهما خطر على المشروع الأمريكي الصـهيوني قطعـا ، ثـم إن التاريخ القديم والحديث بل والآتي للولايات المتحدة لا يبشر بذلك؛ فهي أولاً دولة قامت علـى إبادة شعب آخر ثم استرقت السود ثم مارست طوال تاريخها العدوان على الآخرين وارتكبـت من المذابح ما يكفي لتسويد صفحتها، ثم هي التي أسقطت الديمقراطيات ودعمـت المسـتبدين وتآمرت ضد زعماء وطنيين .. إلخ .. ثم هي نفسها التي تدعم إسرائيل التي تنتهك كل حقوق الشعب الفلسطيني يوميا على مدار الساعة، وهكذا فإن الحديث عن الديمقراطية أمريكيا هـو نفاق محض، أضف إلى ذلك أنه على مستوى اللحظة والراهن؛ فإن أمريكا قد ثبت كذبها في موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان في كل من أفغانستان والعراق فلم تحقق فـي أي مـن البلدين لا الرخاء ولا الأمان ولا الديمقراطية؛ بل العكس كان هو الصحيح على طول الخـط،

فالبطالة زادت والمعاناة الاقتصادية تفاقمت والأمن والأمان ضاعا تماما، فضلا عـن فقـدان الاستقرار والكرامة.

أمريكا فقدت المصداقية

وعلى مستوى الأحداث الجزئية ذات الدلالة؛ فإن قيام القوات الأمريكية بقتـل أسـرى قلعة جانجي في أفغانستان، وإصدارها الأوامر بقتل كل أسير ينتمي لطالبان والقاعدة، ثم مـا حدث ويحدث في معتقل جوانتانامو والتعذيب والمهانة في سجن أبى غريـب وغيـره مـن السجون في العراق، وكذا الممارسات القمعية والتمييزية والعنصرية ضد العرب والمسلمين في أمريكا كلها تقول بأن فاقد الشيء لا يعطيه وأن حديث أمريكا عن الديمقراطيـة هـو نفـاق محض.

في هذا الصدد فإن أحدا لا يصـدق أمريكـا حتـى الأمـريكيين والأوروبيـين بـل والمتعاطفين مع النموذج الأمريكي بين المثقفين العرب؛ فالمفكر الأمريكي (فوكوياما) صاحب نظرية " نهاية التاريخ " التي بشر فيها بسيادة الليبرالية الغربية يرى أن دعـوة أمريكـا إلـى الديمقراطية تفتقر إلى المصداقية، والصحفي البريطاني (روبرت فيسك) يقول الشيء نفسه مع إضافة أن أمريكا تدعم الطائفية وتمنع الديمقراطية في العراق؛ بل ويقول: إن الغرب نفسه هو الذي منع التطور الديمقراطي في المنطقة؛ فبريطانيا مثلاً هي التي منعـت بـالقوة التطـور الديمقراطي في مصر في الثلاثينيات من القرن الماضي. والدكتور (عبد المنعم سعيد) وهـو مفكر مصري وصحفي بالأهرام ورئيس مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية وهو بالمناسبة مع النموذج الأمريكي وضد المقاومة ومع التطبيع .. إلخ اكتشف أخيرا أن الاستثناء الأمريكي بخصوص الديمقراطية قد انتهى، وأن المدينة المضيئة على التل قد أصبحت معتمة!! وأن هناك أيديولوجية شوفينية بدأت تترعرع في أمريكا ذاتها.

الجديد في المبادرة

الجديد في مبادرة الشرق الأوسط الكبير هو أن الأمريكان قد لجأوا هذه المـرة إلـى إشراك الأوروبيين في المسألة، وهذا بالطبع جاء تحت ضغط المقاومة العراقية التي يمكـن أن تتحول إلى حالة عربية إسلامية وتكون خطرا على المشروع الغربي برمته وليس المشـروع الأمريكي فقط، وأمام مثل هذا الخطر؛ فإن أمريكا تتخلى عن غطرستها وتشرك الأوروبيـين معها والأوروبيون يتنازلون عن مصالحهم المتعارضة مع أمريكـا لمواجهـة هـذا الخطـر ويشاركون الأمريكيين في المسألة، وهذا ما يفسر قبول الأوروبيين بالمشاركة في المبادرة، بل

وتتخلي ألمانيا عن معارضتها لأمريكا عموما وهكذا أقوال وزير خارجيتها التي تصب في دعم أمريكا تماما، وهذا الموقف ليس جديدا لا على أوروبا ولا على أمريكا؛ فهناك بالطبع تناقضات مصالح بين هذه الدول وبعضها ولكنها تناقضات ثانوية في النهاية يتم تسويتها باقتسام الكعكـة أو زوالها بظهور خطر حقيقي عليها كلها مثل خطر المقاومة والتاريخ مملوء بنماذج لـزوال تلك التناقضات الثانوية مثل ترحيب فرنسا بالاحتلال الإنجليزي لمصر ١٨٨٢؛ وذلـك لـذبح الثورة العرابية لأنها كانت تشكل خطرا على المشروع الاستعماري الأوروبي بأكمله وقد قال ذلك مباشرة وزير خارجية فرنسا في إطار تهنئته للإنجليز بهزيمة عرابي ، والأمر نفسه حدث في الاتفاق الودي الفرنسي الإنجليزي عام ١٩٠٤ والذي ضربت فيه فرنسا الحركة الوطنيـة المصرية في ظهرها بعد أن أظهرت لها التأييد قبل ذلك وهو نفسه ما يفسر الموقف الفرنسـي "الضمير الفرنسي المطاط" في الموقف من العراق منذ عـام ١٩٩٠ وحتـى الآن والموقـف الألماني مؤخرا والموقف الروسي "السوفيتي" عام ١٩٦٧..، وغيرها من الأمور التـي تبـدو غير مفهومة بعض الوقت ما لم يتم وصفها في إطار نظرية التناقضات الثانوية التي تزول أمام التناقض الجوهري وهو التناقض بين الحضارة الإسلامية ككل والحضارة الغربية ككل!

صناعة خارجية مرفوضة

بقي أن نقول إن تلك المبادرات تأتي بطريقة فوقية، فلا الشعوب شاركت في مناقشتها – وهذا طبيعي – ولا حتى الحكومات الصديقة للغرب تم استشارتها وهذه إهانة لهـا! وهـي مبادرات على طريقة القص واللصق، ومهما كانت النية وراءها؛ فإن الجسم العربي الإسلامي سيرفضها بالضرورة بحكم التكوين الحضاري والثقافي وبحكم الحساسية التاريخية وبحكم أنها صناعة خارجية

الطريق الثالث بين الأجندة الأمريكية والأجندات الحكومية

د. محمد مورو

الإشكاليات المطروحة - فكريا وسياسيا - على الواقع العربى المعاصر، هى من النوع الصعب الذى لا يكفى فيه مجرد القبول او الرفض او اجراء نوع من الحساب الفكرى والسياسى البسيط، بل تقتضى قدراً هائلاً من الوعى واليقظة والتركيب المعقد والحساب الجدلى وإعادة الاعتبار الى الثوابت القومية والدينية والوطنية بدون الإخلال بتداعيات العصر، وليس العصرنة المقطوعة عن سياقها التاريخي، بمعنى الانجرار وراء القيم الامريكية بدعوى ان هذه هى موضة العصر.

الأحداث والافكار فرضت نفسها فرضا علينا فى الآونة الاخيرة، وخاصة تلك المفارقات المتعلقة بموضوع الديمقراطية والمقاومة، والمطالب الامريكية بالاصلاح السياسى فى نفس الوقت الذى نواجه فيه آلة الحرب

الامريكية والاسرائيلية التى تمارس العـدوان علينـا يوميـا وبصـورة واسـعة وخطيـرة ومؤلمـة معـاً. والمسألة تحتاج بالطبع الى رفع الالتباس حول الموضوعات الشـائكة الارهـاب، المقاومـة المشـروعة، الديمقراطيـة الأمريكية، حقوق الشعوب، المشروع الامريكى العدوانى فى جوهره والقيم المتصلة بالحرية والشفافية والتعددية، التمسك بقيم الاسـلام الصـحيحة ام الخضـوع لتفسـير امريكـى للاسلام،المواجهة ام الخضوع، الحركة ام السكون، حقـوق الشعوب فى العدل والحرية ام الخضـوع لمطالـب امريكـا بالديمقراطية والاصلاح السياسى ، وهكذا فنحن امام قضـايا متقاطعة ومتداخلة، شديدة التـداخل والتقـاطع والالتبـاس. اذا بدأنا بالاجندة الامريكية المعتمـدة رسـميا مـن الادارة الامريكية والمتمثلة فى وثيقة بـوش، وتصـريحات القـادة الاستراتيجيين الامريكيين السابقين والحاليين، فإننا لايمكن فى نفس الوقت ان نفصلها عن العدوان الامريكى على العـراق، والممارسات الصهيونية المدعومة امريكيا بالكامل، ورغبـة السادة الجدد فى الولايات المتحـدة الامريكيـة فـى اقامـة امبراطوريـــة امريكيـــة بـــالقوة والقهـــر!!

تتحدث ادبيات الاجندة الامريكية عـن محاربـة الارهـاب، ازاحة انظمة الحكم الاستبدادية التى تفـرز منـاخ العنـف والارهاب، فرصة الاصلاح الديمقراطى باعتبـاره رسـالة امريكية!! والمطالب الثلاثة بها قـدر هائـل مـن النفـاق، فالارهاب من وجهة النظر الامريكية ليس ما مارسته امريكا منذ نشأتها وحتى اليوم بحق الشعوب، ولكنه اى نـوع مـن المقاومة ضد المشـروع الامريكـى الصـهيوني، وعلـى الحكومات والدول والجماعات والافراد ان تتبنـى المفهـوم الامريكى الصهيونى للارهـاب، وان تقـف مـع امريكـا واسرائيل شكلا ومضمونا، والا فإن تلك الحكومات والـدول والجماعات والافراد اشرار ارهابيون يشـجعون الارهـاب ويستحقون بالتالى الطرد من الجنة الامريكية والدخول فـى نار العقاب الامريكى سواء بالضـرب بالقنابـل او تجميـد الارصدة او المطاردة القانونية!! الارهـاب فـى المفهـوم الامريكى الصهيونى هو ان تناضل ضد اسرائيل مثلاً وليس ما تقوم به اسرائيل من قمع يومى على مدى عشرات الاعوام وبصورة متصلة ضد الشعب الفلسطينى والشعوب العربيـة، وهكذا فإن على الدول والحكومـات والجماعـات والافـراد

التخلى مباشرة عن الكرامة والحقوق الوطنية والكـف عـن اشاعة التحريض ضد المشـروع الامريكـى الصـهيوني، والقبول به شكلا ومضمونا بل ودعمه احيانا حين الطلـب!! واذا كان الخيار هنا سهلا شيئا ما بالنسبة للجماعات والافراد فإنه شديد الصعوبة ـ لدرجة الاستحالة ـ بالنسبة للحكومات والدول، فهى لا تستطيع رفض الاجندة الامريكيـة لهشاشـة بنيتها من ناحية ولاستحالة ذلك بالنسبة للتوازنات الدوليـة، وهى فى نفس الوقت لا تجرؤ على قبولها علنا لأن ذلك يعنى خيانتها مباشرة لحقـوق الشـعوب والتـاريخ والجغرافيـا والمستقبل ويعنى اسـتفزازها للجمـاهير وفقـدان شـرعية وجودها بالتالي، وهكذا فإنها تشعر بأن مسـتقبلها غـامض، وان ممارسات مسك العصا من الوسط او المراوغة والنفاق لن تستمر طويلاً ولن ترضى السادة الامريكيين ولا الشعوب ايضا، وهكذا فان ا لحكومات فى مأزق تحسد عليه خاصة ان الممارسـات الامريكيـة والصـهيونية شـديدة الاسـتفزاز والوضوح ولا تحتمل التبرير والتأويل او تفهم وجهة نظرها، فالعدوان الامريكى والحصار على العراق مـثلاً والمطالـب الامريكية للعراق شديدة الاستفزاز وكذا فإن شارون يحـرق

كل اوراق التوت التى تتستر بها الحكومات عادة، بل يتعمـد اهانــة تلــك الحكومــات وكشــف عورتهــا!!
والاجندة الامريكية تتحدث ايضا عن الانظمـة الاسـتبدادية والفاسدة، وهى حقيقة لايمكن تجاهلهـا، ولطالمـا مارسـت الشعوب النضال ضدها مـن اجـل حكومـات ديمقراطيـة وشفافية، ولكن الامريكان انفسهم كانوا يدعمون ويروجـون لهذا الاستبداد وذلك الفساد، ولا شك ان الضغط الامريكـى على هذه النقطة يسيء الى تلك المعاني، بل يحـدث عكـس المطلوب وربما كان هذا هوالمقصـود بالضـبط، فتتخلـى الجماهير عن النضال ضد الاستبداد والفساد طالما ان ذلـك مطلب امريكي، لان المعاناة مـن الممارسـات الامريكيـة والصهيونية اعلى مما سواها طبعا ولكـن مـن الصـحيح والضرورى إحداث نقلة فكرية وسياسية وخيال شعبى قـادر على استمرار النضال ضد الاستبداد والفساد دون الوقوع فى الاجندة الامريكية والتمسك قبل ذلك وبعده بخيار المقاومـة والمواجهة للمشروع الصهيونى الامريكي، ولاشك ان هـذه اشكالية تواجه القوى والحركات والشعوب والافراد وينبغـى

بذل الجهد السياسى والفكرى والنضالى والحياتى لحل تلـك الاشكالية.

اما فرض الاصلاح الديمقراطى على طريقة الاجندة الامريكية، فهو يعنى اولاً تغيير انظمة الحكم بأنظمة جديـدة تتخلى تماما عن الثوابت الوطنية والدينية والقومية، وتتبنـى مفاهيم العولمة والامركة، وحقوق الانسان الفرد قبل المجتمع بما فيها حقوق الشواذ، وهى امور ملتبسة ومرفوضة، ولكن هذا لايعنى رفض الديمقراطية طبعا، ولعـل هـذه اشـكالية اخرى تواجه الشعوب، اما الحكومات فهى فى مأزق حقيقي، فقد اعتادت على الحكم المطلق، وهى غيـر قـادرة علـى الممارسة الديمقراطية الحقيقية لان هذه سوف تفرز مباشـرة وفورا القوى المقاومة والمناضلة والشعبية الرافضـة ايضـا للمشروع الامريكى - الصهيوني، ولعل هـذا مـا تحـاول الحكومات نقله الى الادارة الامريكية التى تفهم هذا بـالطبع، ولكنها تستخدم تلك الورقة كمجرد تمهيد لاقامة انظمة حكـم اكثر عمالة على غرار حامد قرضاى فى افغانستان او حتى اقامة حكومات برئاسة جنرالات امريكيين تـومى فـرانكس مثلاً مطروح لحكم العراق بعد نجاح العـدوان الامريكـي!

وهكذا فان الحكومات فى مأزق حقيقى فلا هى قادرة علـى رفض ذلك ولاهى مقتنعة بحقيقته ولا هى قادرة على تبنـى السياسة الامريكية على طول الخط، وبديهى ان هذا الامر لن يستمر طويلا.. ويجب على الشعوب ان تستعد وعلى قواهـا الحية ان تعمل.. وأن تعيد اكتشاف ذاتها وقدراتها وبرامجها، وأن تفرز مشروعا فكريا وسياسيا قادرا علـى حـل تلـك المعضلات والاشكالات وإقامة الحجة على الناس وفتح طرق الخيارات الصحيحة والمستقيمة والقادرة.. والا فان ضـبابا فكريا وسياسيا هائلا سوف يسيطر علـى المنطقـة الـى ان يقضى الله امراً كان مفعولا.

الصراع على المياه في الشرق الأوسط

د. محمد مورو(*)

إذا كان الصراع على البترول قد شكل مساحة كبيرة من معادلات وأحداث المنطقة منذ عقود كثيرة وحتى الآن، فإن الصراع على المياه يمكن أن يكون أشد حدة؛ ذلك أن المياه في التحليل النهائي أهم من البترول وأغلى؛ فهو سر الحياة {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: ٣٠].

ولا شك أن الإدراك المبكر لأهمية المياه، ومعرفة طبيعة الصراع القادم حولها سيؤثر على أمتنا إذا ما أحسنوا الاستعداد بكثير من الجهد والتضحيات، ويؤمّن لهم مستقبلاً معقولاً، أما إذا ظل العرب في حالة غفلة عن هذه التقنية الخطيرة فإن مجرد وجودهم على سطح الأرض سيصبح أمراً صعباً!

ومن المهم هنا أن نقرر حقيقة بدهية، أن هناك علاقة مباشرة بين الأمن العربي بعامة ومسألة تأمين مصادر المياه. وإذا كان الأمن العام لدولة ما هو الإجراءات التي تتخذها تلك الدولة لتحافظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل، فإن فهم الأمن على أنه موضوع الدفاع العسكري داخلياً وخارجياً هو أمر سطحي وضيق؛ لأن الأمن العسكري هو وجه سطحي ضيق لمسألة الأمن الكبرى كما يقول روبرت مكنمارا وزير الدفاع الأمريكي الأسبق؛ فهناك الكثير من الجوانب غير العسكرية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسألة الأمن القومي، ومن هذه الجوانب بالطبع مسألة الأمن الغذائي والاقتصادي ومسألة المياه على رأس تلك الجوانب.

وإذا أخذنا مسألة الأمن الغذائي كمحدد لفهم مستقبل العالم العربي لوجدنا أن الأمر مفزع؛ ذلك أنه إذا كان من يمتلك غذاءه يمتلك قراراً؛ فإن وجود فجوة غذائية في العالم العربي تصل إلى حوالي ٣٠ مليار دولار سنوياً هي الفرق بين الصادرات والواردات العربية مما يمثل مشكلة خطيرة، بل ونسبة الاكتفاء الذاتي من أهم السلع الاستراتيجية في مجال الغذاء لا تزيد عن ٣٩%، وهذه النسبة لها أهميتها؛ ونراها في حالة الدول ذات الأهمية في المنطقة العربية مثل مصر التي يبلغ اكتفاؤها الذاتي من القمح ٢٧%.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن السوق العالمية للقمح تتشكل من دول ذات توجهات سياسية ومتعارضة معنا، لأدركنا فداحة المشكلة؛ فالدول الكبرى المسيطرة على سوق تصدير القمح

هي «أمريكا، كندا، أستراليا، السوق الأوروبية المشتركة»؛ حيث يمكنها التكتل في احتكار للتحكم ليس في تصدير القمح فقط بل وفي أسعاره كذلك.

وهكذا فإن المسألة الغذائية تفجر بالضرورة مسألة الماء؛ حيث إن الماء هو العنصر الأساس للزراعة القادرة بدورها على سد تلك الفجوة الغذائية. وبالطبع لا تقتصر أهمية الماء على مسألة الزراعة؛ فالماء ضروري للتصنيع أيضاً، فضلاً عن أهميته لتلبية الاستهلاكات البشرية المباشرة من مياه شرب وغسيل وغيرها، وليس عبثاً بالطبع أن تكون معظم الحضارات قد نشأت حول مصادر المياه.

ومشكلة المياه في الوطن العربي ذات أبعاد كثيرة؛ فالوطن العربي يقع في الحزام الجاف وشبه الجاف من العالم، وتقل فيه الموارد المائية المتجددة عن ١% من المياه المتجددة في العالم، ونصيب الفرد العربي من المياه ١٧٤٤ متراً مكعباً سنوياً، في حين أن المعدل العالمي يصل إلى ١٢٩٠٠ متر مكعب سنوياً، ومعدل هطول الأمطار في الوطن العربي بين ٥ ـ ٤٥٠ ملم سنوياً، في حين يتراوح في أوروبا مثلاً بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ ملم سنوياً. وتمثل الصحارى في الوطن العربي مساحة ٤٣% من إجمالي المساحة الكلية للوطن العربي، وفي عام ٢٠٠٠م حيث بلغ عدد سكان الوطن العربي ٣٠٠ مليون نسمة فإن عجز الموارد المائية العربية يصل إلى ١٢٧ مليار متر مكعب؛ وذلك لأن حجم الموارد المائية المتاحة حالياً تبلغ ٣٣٨ مليار متر مكعب سنوياً لا يستثمر منها إلا ١٧٣ مليار متر مكعب! في حين أن الوطن العربي يحتاج لتلبية احتياجاته من المياه ـ إذا أحسن استخدامها، وتم عمل خطط لسد الفجوة الغذائية ـ إلى حوالي ٥٠٠ مليار متر مكعب من المياه سنوياً.

والموارد ومصادر المياه في الوطن العربي تتمثل في الأمطار والمياه السطحية «الأنهار» والمياه الجوفية، ولعل المشكلة حول المياه السطحية «الأنهار» هي الأهم؛ فالمياه السطحية المتاحة حالياً للوطن العربي تبلغ ١٢٧,٥ مليار متر مكعب سنوياً، تحوز ثلاثة أقطار عربية حوالي ٧١ % منها، هي مصر والعراق والسودان، ومن المفروض أن يزيد حجم الموارد السطحية ليصل إلى ٢٥٦ مليار متر مكعب من المياه؛ أي ضعف ما هو متاح حالياً عن طريق مشروعات الري والسدود مثل قناة جونجلي في السودان.

وإذا أدركنا أن ٦٧% من مياه الأنهار «المياه السطحية» في البلدان العربية تأتي من خارج بلادهم لعرفنا حجم ما يمكن أن يحدث من مشكلات إذا قام العرب بعمل تنمية أو سدود تؤدي إلى زيادة مواردهم، وعلى سبيل المثال فإن نهر النيل ينبع من إثيوبيا «النيل الأزرق»، وبحيرة فكتوريا «النيل الأبيض»، ويمر في تسع دول إفريقية هي «إثيوبيا، كينيا، أوغندا،

تنزانيا، رواندا، بوروندي، والكونغو والسودان ومصر»، ويقطع مسافة من أبعد منابعه على روافد بحيرة فكتوريا نيانزا في قلب إفريقيا إلى ساحل رشيد على البحر الأبيض المتوسط في مصر حوالي ٦٧٠٠ كم.

أما نهرا الفرات ودجلة فينبعان من الجبال الواقعة شمال تركيا، ويمر الفرات عبر سوريا ثم العراق. أما نهر دجلة فيمر من تركيا إلى العراق مباشرة.

وبالنسبة لنهر النيل ـ مثلاً ـ الذي تعتمد مصر عليه اعتماداً شبه كامل في اقتصادياتها وخاصة الزراعة؛ فإن نصيب مصر منه يصل الآن إلى ٥٥,٥ مليار متر مكعب سنوياً، والسودان إلى ١٨,٥ مليار متر مكعب سنوياً، وبديهي أن مصر والسودان يسعيان إلى زيادة مواردهما من مياه النيل عن طريق مجموعة من المشروعات، وهذه المشروعات لن تؤثر على حصة دول المنبع؛ لأن المياه قد تركت أراضيهم بالفعل من ناحية، ولأن هذه الدول لها مصادر مياه غنية جداً، فإثيوبيا مثلاً التي يأتي منها ٨٥% من مياه النيل المستخدمة في مصر ليست في حاجة إلى مياه النيل أصلاً؛ لأن مواردها المائية أعلى كثيراً من احتياجاتها، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة؛ حيث تسعى قوى عالمية وإقليمية لحرمان مصر من حصة كبيرة من المياه أو منها على الأقل من زيادة مواردها من تلك المياه؛ فإسرائيل تسعى إلى زيادة نفوذها في القرن الإفريقي ومنطقة البحيرات الكبرى، وكذلك أمريكا التي نجحت أخيراً في تحقيق أكبر قدر من النفوذ على كل من إثيوبيا وأوغندا والكونغو «ميذكابيلا» ورواندا وبوروندي.

والمخططات المعادية لمصر في هذا الصدد كثيرة؛ فالجيش الشعبي لتحرير جنوب السودان بقيادة جون جارانج المدعوم إسرائيلياً منع إنشاء قناة جونجلي التي كان من الممكن أن تزيد نصيب مصر والسودان من المياه، وهناك مخطط قديم يقضي بمحاولة تحويل مجرى النيل في إثيوبيا، وقد قام المكتب الأمريكي لاستصلاح الأراضي بعمل الدراسات الخاصة به إلا أنه بالطبع لم ينفذ، ولكنه يشكل فكرة في الأدراج يمكن تنفيذها فيما بعد للضغط على مصر، وهناك الآن عدد من الدراسات الجاهزة لإقامة سدود على النيل في إثيوبيا سوف يمولها البنك الدولي تؤثر على حصة مصر من المياه بنسبة ٢٠% سنوياً، أي ٧ مليارات متر مكعب من المياه، بل ووصل التفكير إلى حد أن هناك خطة تقضي بتحويل كل مصادر المياه في تلك المنطقة لتصب في منطقة البحيرات العظمى في وسط القارة كخزان عملاق للمياه، ثم بيع هذه المياه لمن يريد ويدفع الثمن كالبترول تماماً، ويمكن كذلك تعبئتها في براميل تحملها السفن أو عن طريق أنابيب لبيعها لدول خارج القارة، وتطالب إسرائيل أيضاً بمدها بنصيب من مياه

النيل عن طريق سيناء، وإلا قامت بإحداث متاعب لمصر في منابع النيل في إثيوبيا ومنطقة البحيرات.

وفي الحقيقة فإن المطامع الإسرائيلية في مياه النيل قديمة قدم المشروع الصهيوني ذاته، فقد تقدم الصهاينة في بداية هذا القرن بمشروع إلى اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر لهذا الغرض إلا أن ذلك المشروع قد رفض، وفي عام ١٩٧٤م قام مهندس إسرائيلي «إليشع كيلي» بتصميم مشروع لجلب المياه لإسرائيل من الدول المجاورة على أساس أن إسرائيل ستعاني من مشكلة مياه في المستقبل، ويتلخص المشروع بالنسبة لنهر النيل في توسيع ترعة الإسماعيلية حتى يزيد معدل تدفق المياه داخلها إلى ٣٠ متراً مكعباً في الثانية، ونقل هذه المياه عن طريق سحارة تمر أسفل قناة السويس، ثم تصب المياه على الجانب الآخر من القناة في ترعة مبطنة بالإسمنت لمنع تسرب المياه، وتصل هذه الترعة إلى ساحل فلسطين المحتلة وتل أبيب، ثم في خط آخر يتجه جنوباً نحو بئر السبع لعرب صحراء النقب، وتسعى إسرائيل وفق هذه الخطة إلى الحصول على ٨ مليارات متر مكعب من المياه سنوياً من النيل، وقد تكرر الحديث عن هذا المشروع فيما بعد خاصة بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩م.

وبالنسبة لنهر الفرات الذي ينبع من تركيا ويمر في سوريا والعراق، فإنه نشأت حول حصص المياه والتدفق في هذا النهر العديد من المشاكل بين كل من تركيا وسوريا والعراق، وتستخدم تركيا مسألة المياه للضغط السياسي على سوريا مثلاً بسبب قضية دعم سوريا للأكراد الأتراك، ومن الناحية الفنية فإن سوريا لديها عجز في المياه يقدر بحوالي مليار متر مكعب سنوياً، ومع قيام تركيا بمشروعات كبرى على نهر الفرات تقضي بإنشاء ١٣ سداً، نفذت بالفعل منها سد أتاتورك عام ١٩٩٠م؛ فإن معدل التدفق في النهر قد انخفض مما أثر على كل من سوريا والعراق، كما أن قيام سوريا بدورها بإنشاء سدود على الفرات يؤثر على العراق الذي يصل إليه النهر في النهاية، بل قد وصلت الأمور إلى حافة الصدام بين سوريا والعراق عام ١٩٧٤م.

وهناك مشروعات يتم التفكير فيها الآن خاصة بعد التحالف العسكري التركي الإسرائيلي بنقل المياه من تركيا إلى إسرائيل عبر أنبوب طويل يسير في البحر المتوسط إلى شواطئ إسرائيل، وهذا يحقق لتركيا موارد مالية من بيع المياه، ويحقق لإسرائيل تلبية حاجاتها من المياه بثمن بسيط، ولكن هذا بالطبع سيكون على حساب كل من سوريا والعراق.

كانت المياه من أهم العوامل التي نشأت بسببها الحروب بين العرب و (إسرائيل)، فالعمليات العسكرية الإسرائيلية على الحدود السورية اللبنانية عامي ١٩٦٤، ١٩٦٥م كانت بسبب الأطماع الإسرائيلية في مياه نهر الأردن ونهر بانياس ونهر اليرموك ونهر الحاصباني، كما كان من أسباب حرب ١٩٦٧م موضوع تحويل مجرى نهر الأردن، وفي عام ١٩٨٢م شنت إسرائيل حملة عسكرية على لبنان كان من أهدافها أطماع إسرائيل في نهر الليطاني.

وتسعى (إسرائيل) كما ذكرنا من قبل إلى الحصول على مياه نهر الفرات من تركيا مباشرة، وكذلك الحصول على حصة من مياه نهر النيل عن طريق قناة الإسماعيلية باتجاه النقب وساحل (إسرائيل).

وتعتبر المياه محوراً هاماً من محاور الفكر الصهيوني؛ فبعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م تقدم حاييم وايزمان رئيس المؤتمر الصهيوني آنذاك إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا طالباً تحسين حدود إسرائيل حسب وعد بلفور، لتضم حوض الليطاني وجبل الشيخ وحرمون أي تضم أنهار الأردن وبانياس واليرموك.

ويقول الصهيوني بلسان هوارس عام ١٩٢١م: «إن مستقبل فلسطين بأكمله هو بين أيدي الدولة التي تبسط سيطرتها على الليطاني واليرموك ومنابع الأردن».

وأعلن ديفيد بن جوريون عام ١٩٥٥م «أن اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل، وأننا إذا لم ننجح في هذه المعركة فإننا لن نبقى في فلسطين».

ومن المعروف أن الحدود الإسرائيلية المستهدفة طبقاً للخريطة المعلقة على الكنيست في إسرائيل هي من النيل إلى الفرات أي من ماء إلى ماء.

على كل حال فإن إسرائيل توفر حاجاتها المتزايدة من المياه التي تصل ٣,٥ مليار متر مكعب حالياً، وتريد إسرائيل زيادتها إلى ١٢ ملياراً للتوسع في مشروعاتها، وتحصل عليها الآن إما من سرقة مياه الآبار العربية بوسائل تكنولوجية معقدة داخل الأراضي المحتلة، أو من مشروعات تستهدف السيطرة على أكبر قدر ممكن من مياه الأنهار العربية وحرمان الآخرين منها خاصة على أنهار الليطاني والحاصباني وبانياس واليرموك والأردن. وبالطبع فإن الفجوة المائية بين ما تنهبه إسرائيل حالياً من المياه العربية وبين ما تستهدف نهبه يمكن أن يشكل عنصراً هاماً من عناصر اندلاع حروب قادمة في المنطقة.

العداء للسامية الأصل والصورة

د. محمد مورو

ظهر مصطلح العداء للسامية لأول مرة عام ١٨٧٩ على يد الصحفى الألمانى اليهودى فيلهيلم مار عندما أصدر كتابا بعنوان انتصار اليهودية على الألمانية وكانت تلك الفترة قد شهدت أحداثا اقتصادية ومضاربات عقب الحرب الفرنسية البروسية أدت إلى إفلاس كثير من الأغنياء الألمان فى بروسيا وفرنسا وعدد من دول شرق ووسط أوروبا، وحمل الأوروبيون وقتها المسألة والمسئولية على اليهود، الذين تم اتهامهم بأنهم متآمرون، وبدأت سلسلة من الاضطهادات ضدهم، وفى الحقيقة فإن الاضطهاد الأوروبى لليهود شكل مساحة كبيرة من التاريخ الأوروبى لأسباب كثيرة لعل أهمها الروح العنصرية الأوروبية التى لا ترى الحق فى الإنسانية إلا للأوروبي، والاضطهاد الأوروبى والعنصرية الأوروبية لم تطل اليهود وحدهم بل طالت المسلمين والزنوج والهنود الحمر، فالعنصرية جزء لا يتجزأ من الوجدان الأوروبى والقيم الحضارية الأوروبية.

ولعلنا نفهم المسألة إذا أدركنا أن حرب الاسترداد المسيحية الأوروبية للأندلس إسبانيا والبرتغال شهدت اضطهادا وإبادة لكل مسلم ويهودى على حد سواء، وقد استمرت تلك العملية بصورة أو أخري، ولكنها طالت اليهود فيما بعد أكثر لأن هؤلاء ظلوا كأقليات فى بعض الدول الأوروبية، ولعل تاريخ روسيا العنصرية وألمانيا النازية مفعم بحوادث الاضطهاد تلك، فى حين أن اليهود عاشوا فى بلاد مثل إيران واليمن والعراق ومصر والمغرب وليبيا وغيرها من البلاد الإسلامية بدون أى مشاكل من أى نوع، وحصلوا على امتيازات وثروات فى طول البلاد الإسلامية وعرضها حتى قيام إسرائيل حين فضل عدد منهم بسبب الغباء والتضليل الهجرة إلى إسرائيل، ولكن من بقى منهم فى إيران أو المغرب أو مصر أو العراق أو غيرها ظل يتمتع بحقوق المواطنة وروح التسامح الإسلامى المعروف حتى اليوم.

استخدمت الجماعات الصهيونية والموالون لها مصطلح العداء للسامية لترعب به كل من ينتقد اليهود أو الإسرائيليين أو الصهيونية، وذلك عندما بدأ التحالف الغربى الصهيونى المعاصر، ولكن حقيقة المصطلح والمشاعر مخالفة لما يستخدم فيه، والصورة المستعملة تخالف الأصل تماما.

العداء للسامية فى حقيقته هو عداء عنصرى أوروبى ضد كل الجنسيات السامية من عرب ويهود وغيرهم، وهو جزء من العنصرية الأوروبية المعروفة، ويمكن لأى متابع للثقافة الأوروبية فى كل عصورها بما فيه ما يسمى بعصر الاستنارة والتنوير أن يكتشف جذور وملامح تلك العنصرية ومنها العداء للسامية بالطبع، بل إن الدكتور عبدالوهاب المسيرى فى موسوعته عن اليهود واليهودية والصهيونية أثبت أن الألمان الذين كانوا يقتلون اليهود فى الحقبة النازية كانوا يستخدمون كلمة المسلمين للدلالة على هؤلاء اليهود وهو ما يكشف مضمون العداء للسامية، وكذا فإن الكاتب الفرنسى هانوتو عام ١٩٠٠ قد

زعم فى حواره مع الشيخ محمد عبده أن هناك عيوبا أخلاقية مثل الكسل فى الجنس السامى على عكس الآرمى لأسباب تتصل بالعقائد، ورد عليه الشيخ محمد عبده مفنداً ذلك ومدافعا عن العرب والمسلمين واليهود.

فى إطار الروح العنصرية والعداء للسامية حاول الأوروبيون التخلص من اليهود فى أوروبا - كزبالة بشرية - فنشأت فكرة، إنشاء وطن لهم فى فلسطين لتحقيق هدف التخلص منهم، ولاستخدامهم كجماعة وظيفية تقوم بدور الوكيل عن الغرب - ثم أمريكا - ومفرزة عسكرية متقدمة ورأس جسر للغرب فى قلب العالم العربى والإسلامى لمنع نهضته والكيد له وضربه كلما كان ذلك مطلوبا على يد هذه الجماعة الوظيفية، وهكذا نشأت فكرة الصهيونية أو إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فى أروقة أجهزة المخابرات ودوائر وزارات الخارجية الأوروبية منذ نابليون بونابرت الذى دعا إلى ذلك فعلا وحتى وعد بلفور ١٩١٧، وقد تلقف عدد من اليهود غير المتدينين الفكرة ودعوا إليها بدءا من هرتزل ١٨٩٧ وانتهاء بوايزمان وبن جوريون حتى تأسست الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ وهكذا فإن الذين تلقفوا الفكرة من اليهود الصهاينة إنما ساعدوا الغرب وكانوا أداة له للتخلص من اليهود فى أوروبا والنكاية فى العالم العربى وتحويل هؤلاء اليهود الصهاينة إلى جماعة مرتزقة تقوم بدور العدوان لحساب الغرب، وهكذا فإن إنشاء دولة إسرائيل فى حد ذاته هو نوع وتجسيد للعداء للسامية وأحد إفرازات هذا العداء وأكبر تجلى له، وقد أدرك هذا الأمر عدد من اليهود غير الصهاينة الذين رفضوا قيام إسرائيل ولا يزالون يدعون إلى إزالتها، ورفضوا الفكرة الصهيونية من أساسها باعتبارها فكرة معادية لليهود واليهودية وأوامر الرب على حد سواء، والأمر كذلك بالفعل، ولعل جماعة ناطورى كارتا بمن فيها من يهود وحاخامات خير مثال على ذلك.

نحن كعرب وكمسلمين لسنا معادين للسامية، لأننا لن نعادى أنفسنا، بل العداء للسامية فى جوهره موجه لنا نحن، وإسرائيل هى التجسيد الأكبر للعداء للسامية، وهكذا فإن النضال من أجل إزالة إسرائيل هو جوهر ومضمون النضال ضد فكرة العداء للسامية ونحن أيضا لسنا معادين لليهود واليهودية، لكم دينكم ولى دين ، ومطالبون بالعدل مع غير المسلمين والتسامح معهم ولكننا فى نفس الوقت شديدو العداء للإسرائيليين وكل من يعيش فى فلسطين المحتلة من اليهود ما عدا اليهود من أصل فلسطينى وهم عدة آلاف فقط وندعو اليهود الذين يعيشون فى فلسطين المحتلة إلى مغادرتها والعودة من حيث أتوا، وندعو الدول العربية والإسلامية إلى فتح أبوابها لعودة من يريد العودة من اليهود من إسرائيل للعيش فى تلك البلاد وذلك لحل المشكلة الفلسطينية ومن لا يريد أن يترك فلسطين لأهلها، فإنه يستحق بالتالى القتل وهو مجرم وسفاح، ومغتصب، وهكذا فنحن ندعو إلى الكفاح المسلح لتدمير إسرائيل وتدمير هذا الكيان الاستعماري، ونؤيد العمليات الاستشهادية ضد كل إسرائيلى فى فلسطين المحتلة، لأنه ببساطة مغتصب يستحق القتال والقتل، ولن تسقط عنه صفة المغتصب ما لم يرجع من حيث أتى أو أتى آباؤه ويترك فلسطين لأهلها الشرعيين.

لا يعنينا بالطبع مناقشة ما إذا كان اليهود حقا يتآمرون على الشعوب ويستحقون بالتالى الاضطهاد الذى وقع عليهم، أم أن ذلك كان نوعا من العداء الوجدانى الداخلى المتصل بالمسيحية أو غيرها لليهـود بسبب موقفهم من المسيح، كما لا يعنينا إن كانت البروتوكولات المنسوبة لهم صحيحة أم ملفقة ولا يعنينا الحديث عن موضوع استخدام دم مسيحى لفطير صهيون يوم عيد الفصح، أو غير ذلك مما يقـال عـن اليهود، الذى يعنينا أننا نرفض الظلم الذى وقع على أى إنسان حتى لو كان يهوديا، ونقبل أن يحاكم كـل من يتآمر على شعب من الشعوب وينال عقابه فردا كان أو جماعة، ويعنينا أيضا أن ندافع عـن حقوقنـا المشروعة فى فلسطين بكل الوسائل بما فيها العمليات الاستشهادية ضد كل ما هو إسرائيلى وفى كل مكان فى العالم، ويعنينا أن نفهم أن إسرائيل فكرة صهيونية، وإفراز غربى أيضا وألا تخدعنا تصريحات هنـا وهناك عن حقيقة أن إسرائيل مجرد عصا يمسك بها الغرب وأمريكا لقمعنا ونهبنا والقضاء على حضارتنا وربما وجودنا وأنه يجب تحطيم العصا ومن يحملها أيضا، وأن المعركة طويلة وصعبة وقاسية، وفى كل الأحوال نحن ضد العنصرية ولا نقبل أن نمارسها أو يمارسها أحد علينا أو على غيرنـا، وضـد الظلـم والعدوان وضد المشروع الصهيونى الأمريكى الغربى الذى هو معاد للسامية فى جوهره، وليس من العدل ولا الإنصاف ولا المصلحة لنا أن نتورط فى الدفاع عن هتلر أو الفرح بتصريحات لوبان ضد اليهـود أو غيرها من الممارسات العنصرية الأوروبية لأنها تشملنا أيضا.

هكذا فإن العداء للسامية كان هو السبب فى ظهور إسرائيل ودعمهـا واسـتمرارها، لأن العـداء للسامية وجدان غربى موجه ضد العرب والمسلمين قبل اليهود.

التشكيك في المقاومة

د-محمد مورو

ترتفع من آن لآخر نغمة التشكيك في جدوى المقاومة العراقية أو الفلسطينية أو أي مقاومة ، ومن الغريب أن مفردات التشكيك وأساليبه وأهدافه واحدة ؛ بل هي نغمة تتكرر بصورة رتيبة ومملة وداعية للازدراء .

إذا أخذنا المقاومة العراقية مثلاً ؛ نجد أنه تم التشكيك ابتداء في إمكانية اندلاع هذه المقاومة ، وكانت الأسباب تدور حول أن الشعب العراقي قد فقد قدراته وحيويته بسبب الديكتاتورية ، أو أنه مرحب فرح بالغزو والاحتلال الأمريكي الذي خلصه من الاستبداد، وسيفتح أمامه طريق الديمقراطية والرخاء ؛ ولكن الذي حدث أن المقاومة العراقية اندلعت بأسرع مما يتصور أكثر المتفائلين تفاؤلاً ، وتصاعدت وأثبتت وجودها ؛ بل حولت حياة الاحتلال وجنوده إلى جحيم. ومرة أخرى يتم اتهام المقاومة بأنها مأجورة لصدام حسين ، الذي يعطيها من الأموال التي اختلسها من أموال الدولة ، وحتى لو كان هذا صحيحا – وهو غير صحيح-؛ فالأمر لا يدعو إلى النقد ، بل الفخر لأن من الأفضل إنفاق تلك الأموال على مقاومة الاحتلال ، بدلاً من تركها لتنهبها سلطات الاحتلال ، ثم إنه ليس هناك أفضل ولا أشرف من الإنفاق على مقاومة المحتل ودعم نضال شعب ما ، وبدهي أن حجم المقاومة ونوعية عملياتها وأساليبها لا يمكن أن تكون إلا تعبيرا عن إرادة شعب وكرامة أمة ، وليست قدرات وأموال فرد ، فلما سقطت هذه الفرية بعد أن تم القبض على صدام حسين ، وروج وقتها المرجفون أن المقاومة ستموت بالسكتة القلبية؛ فإذا بها تتصاعد كما ونوعا .

لما استمرت المقاومة وسقطت الأوهام حول طبيعة المقاومة كان لا بد لدوائر التشكيك أن تبحث عن أسلوب آخر ومنطق آخر وحجج جديدة، وهي أساليب وحجج اتسمت بطابع الهجوم الاستراتيجي، أي التشكيك في المقاومة وفي ترحيب الشعوب بها، وفي طريقة التغطية الإعلانية لها وفي أهدافها ومستقبلها.

فلأن جماهير العالم الإسلامي والعربي محبطة وعاجزة ومقهورة ومغلوبـة علـى أمرها؛ فهي ترحب بالمقاومة وتفخم من أعمالها وتعلق الآمال عليها ، وهذا ليس صـحيحا تماما؛ فالترحيب بالمقاومة ليس فقط من منطق الإحباط ، بل من منطق التضامن العربـي والإسلامي والوجدان المعادي للاستعمار والمفعم بحب المقاومة والاستشـهاد ، ووسـائل الإعلام العربية في منطق المشككين هي بدورها بالغت في أعمال المقاومة ووفـرت لهـا تغطية فوق العادة ، وذلك كنوع من إرضاء الجمهور المتلقي واجتذابه والعزف على أوتار الإحباط بقوة أكثر من أن تسمح به الظروف والإمكانيات أو الواقع ومعطياته ، وأن هـذه المبالغة يمكن أن تنقلب إلى العكس وتتسبب في مزيد من الإحبـاط إذا مـا انحسـرت أو تراجعت المقاومة أو إذا عجزت عن تحقيق ما تصبوا إليه من أهداف ...

المقاومة تفرض نفسها

ومنطق المشككين هنا يستخدم الكذب والخداع وعدم الترابط وافتراض أشـياء غيـر حقيقية والبناء عليها وعلى غيرها من الأساليب المراوغة ؛ فوسائل الإعلام العربية في مجملها تقدم أقل القليل عن المقاومة ، وليس المبالغة ؛ بل إن أخبار المقاومة تفرض نفسها فرضا على تلك الوسائل، ولا يمكن بأية حال من الأحوال اتهام أمريكا وحلفاءهـا وعملاءهـا وأحزابهـا ومفكريها وكتابها وصحفييها بالعجز المالي أو المادي لدرجة أن تحدث مبالغة عكسية مثلاً في أخبار المقاومة . واهتمام وسائل الإعلام بأخبار المقاومة هو عمل مهني بحت فليس هناك خبر أو موضوع يمكن أن يكون أهم من المقاومة في تلك الظروف. إن مسألة رد الفعل العكسي إذا ما انحسرت المقاومة أو عجزت عن تحقيق أهدافها منطق يخالف منطق المقاومـة وفلسـفته تماما، والمقاومة أولاً وأخيرا تندلع من أجل الكرامة، وليس حولها وهـم إمكانيـة الانتصـار السريع، والوجدان العربي والإسلامي لايربط الجهاد والنضال بالنصر فهو إما نصر أو شهادة، ولكننا مع ذلك نثق أن المقاومة يمكن أن تضع اللبنات الأولى ليس لانتصار شعب العراق؛ فقط بل للصمود العربي والإسلامي بالكامل.

منطق المشككين يعزو الحماس الجماهيري للمقاومة بأن أعداء أمريكا فـي المنطقـة يروجون للمقاومة لأنها وسيلتهم لإلحاق أكبر قدر من الخسائر بالأمريكيين، وينسـى هـؤلاء المشككون أن الاتحاد السوفيتي قد سقط، وبالتالي فإن العداء لأمريكا في المنطقة ليس لحسـاب طرف ثان، بل هو بسبب ونابع من الممارسات الأمريكية ضد شعوبنا، بل أكثر من هذا فـإن المدينين بالحماس للاتحاد السوفيتي والمنظومة الشيوعية السـابقة هـم الآن أكبـر مروجـي الخضوع لأمريكا والتحالف معها والتبرير لها والترحيب بها، أما أعداء أمريكا فهم كل الشعب

العربـي والإسـلامي باسـتثناء أصـحاب المصـلحة أو الحكـام لا أكثـر ولا أقـل!! .
من وسائل التشكيك في المقاومة العراقية الحديث باستمرار عن الموضوع الطائفي والعرقي ، واستخدام أرقام قد تكون صحيحة وقد تكون مبالغ فيها ؛ فحسب هـؤلاء أن العـراق يضـم مجموعة من الأعراق والأديان وأن الأكراد الذين يبلغون ٢٠% من السكان رحبوا بـالاحتلال ويتحالفون معه ، والشيعة الذين يقدرهم هؤلاء بـ ٦٠% قبلوا بالتعاون مع الأمريكان وشاركوا في مجلس الحكم الانتقالي الذي شكله الحاكم المدني الأمريكي "بول بريمر". وهناك الأشوريون والكلدانيون والمسيحيون والتركمان وإن الذي يقاوم فقط هم جزء من العرب السنة أي جـزء من أقل من ٢٠ % أي لا يمكن أن تصل نسبة المـرحبين بالمقاومـة إلـى ١٠%.... ولأن المقاومة تحتاج مثل السمك إلى الماء، أي إلى احتضان جماهيري؛ فإن غياب هذا الاحتضان الجماهيري سيجعل المقاومة تحتاج إلى إمدادات بالأموال والأسلحة. ولأن المـال والسـلاح المتوافر حاليا سينفد سريعا؛ فإن من الصعب استمرار المقاومة.

أرقام غير صحيحة

وبداية فإن الأرقام التي فاقت دوائر التشكيك ترددها هي أرقام ليست صحيحة تمامـا، والتعامل مع العراق كأعراق وأديان فقط أمر تنقصه الدقة؛ فالكرامة الوطنية والإسلامية تهـم الجميع عربا وأكرادا وسنة وشيعة، وحتى لو سلمنا جدلاً بأن هناك فقط ١٠% مـن الشـعب العراقي الذين يرحبون بالمقاومة؛ فإن معنى ذلك أن الجحيم ينتظر الأمريكـان وأن مسـتقبل المقاومة عظيم ومشرف، لأنه إذا كانت مقاومة تستند إلى ١٠٪ فقط من السكان قد استطاعت أن تحقق هذا القدر الهائل من النجاح وأنزلت كل هذا الحجم من الخسائر في صفوف الأمريكـان وحلفائهم وغيرت عملياتها بالشجاعة والجرأة والذكاء والدقة ، فما بالك لو شارك كل الشـعب العراقي أو قطاع واسع منه ، وهذا أمر بالطبع مرشح للحدوث؛ لأن الاحتلال ستنفضح أهدافه مع الوقت ، وستتآكل الأحلام والأكاذيب حول دوره التحريري ، وعقدة الاستبداد أو الاضطهاد الطائفي ستقل مع الوقت طبعا. وهكذا فإن تردي الأوضاع المعيشة والبطالـة فـي العـراق مرشحة للزيادة، وكلها عوامل ستزيد في المقاومة والترحيب بها، ثم إن الأجنـدة الأمريكيـة ستصطدم حتما مع طموحات زعماء الشيعة والأكراد، ولابد أن نفصل بين أحلام وأوهام قـادة أكراد أو شيعة، ومطالب ومشاعر الجمهور الكردي أو الشيعي، خاصة أن الشـيعة عـرب، والأكراد سنة وأن العرب السنة هم قاعدة التلاحم، فهم عرب مع الشيعة وسـنة أحنـاف مـع الأكراد والحقيقة أنه لا يمكن فهم مدى التعاطف والتلاحم والاحتضان الـذي يكنـه الشـعب العراقي حاليا للمقاومة ورجالها؛ إلا أن ذلك لا يقتصر على نسبة الـ ١٠% المزعومة، بـل لا

بد أنه يضم قطاعا واسعا من الشعب رغم أنف القيادات الطائفية. وإلا أمكن لتلك المقاومة أن تحقق مثل هذه العمليات المتميزة ضد الوجود الأمريكي والإنجليزي والأسباني والإيطالي والبولندي والياباني وهلم جرا !! ولما أمكنها أن تستخدم المدفعية والصواريخ ومضادات الطائرات والعمليات الاستشهادية والعربات الملغومة ، وتلغيم الطرق والوصول إلى مقر قيادات القوات أو المعسكرات شديدة الحراسة لولا الاحتضان الشعبي غير العادي. وأما مسألة أن الأموال والأسلحة اللازمة لاستمرار المقاومة فهي أراجيف مردود عليها؛ لأن المقاومة هي التي توفر السلاح بطرقها الخاصة، والقول بأن وجود السلاح والمال هو الذي يصنع المقاومة؛ فكيف بإمكانيات١٠% من السكان قد وفرت كل هذا الكم من السلاح والمال؟! وكيف يا ترى يكون عندما ينخرط الشعب في المقاومة بعد تآكل الأوهام والأحلام؟!! والمقاومة أولاً وأخيرا إرادة وليست أسلحة وأموالاً، فالمقاومة تعبر عن إرادة شعب ، وليست حرب بين جيشين مثلاً ، ووسائل المقاومة عادت بسيطة ولكنها مؤثرة وهي تعتمد أولاً وأخيراً على الإنسان أكثر من اعتمادها على السلاح والذخيرة.

وصاية الاحتلال الأمريكي

من أراجيف المشككين أيضا أن القوى السياسية المؤثرة في العراق لا تريد أن ينسحب الأمريكان، لأنها تدرك أن الوجود الأمريكي في العراق حالياً يحمي العراق من حرب أهلية، ومن التحول إلى صومال آخر؛ وبالتالي فإنها سوف تتشبث بالوجود الأمريكي، وهو كلام يثير الغيظ أكثر ما يثير التأمل؛ فلو كان حال القوى السياسية العراقية كذلك لكان عليها أن تغلق أحزابها وتنصرف ما دامت غير قادرة على الحوار والتعايش وليس أن تتشبث بالأمريكان وتمسك بذيلهم..، ولا يمكن الفهم أن بلدا عريقًا كالعراق لا يمكن أن يعيش بدون احتلال!! وأيا كان البديل فإن الاحتلال مرفوض ولتكن المشاكل ما تكون فإنها سوف تنتهي يوماً ويعبر البلد مشاكله ويعبر بأي ثمن ؛ أما أن يظل تحت وصاية الاحتلال فهو أمر لا يليق بأحد أن يقوله أو يفعله أو يؤمن به.

ويروج المشككون أيضا أنه رغم ما يقرب من العام على اندلاع المقاومة فإنه لا يوجد بيان أو وثيقة تحدد برنامج المقاومة وتصورها لشكل الحكم والمستقبل بعد إخراج الاحتلال، وأنها مقاومة بلا قائد واحد يمكن أن يلتف الشعب حوله ، وأن افتقاد المقاومة لهذين الشرطين فإنها ستنهار حتما ...

والحديث عن عدم وجود قائد معروف للمقاومة ، فهذا يرجع أولاً إلى أنها تتكون من العديد من الفرق السياسة والوطنية والإسلامية ، يجمعها جميعا الرغبة في التخلص من الاحتلال والدفاع عن الوطن والكرامة وبدهي أن تكون هناك جماعات كثيرة وقيادات كثيرة متوسطة ، وأن استمرار المقاومة سيجعلها تصل إلى ذاك الشرط . وحتى لو لم تصل إلى ذاك فهو ليس شرطاً مقدساً لا يمكن لمقاومة أن تتواجد بدونه ، وليس شرطاً تطبيق تجارب معينة وتعميمها على كل النماذج والتجارب. إن عدم وجود وثيقة تحدد البرنامج وشكل الحكم بعد الاستقلال ، فهذا هراء ينبغي ألا تقع فيه المقاومة الآن ؛ بل إن وثيقتها الوحيدة والممكنة حالياً وبرنامجها الذي لا برنامج سواه هو مقاومة الاحتلال بكل الوسائل والطرق حتى يندحر ويزول وبعدها لكل حادث حديث .

محيط المساندة للمقاومة

بقي أن نرصد تلك الذريعة الممجوجة حول أن تلك المقاومة لا تملك تغييراً إقليميا ، مثلما كانت فيتنام مثلاً حيث كان هناك محيط معاد للأمريكان ومتعاون مع المقاومة الفيتنامية مثل كامبوديا ولادس وروسيا والصين ، فضلاً عن الدعم الدولي من المنظومة الاشتراكية والأحزاب الشيوعية ، وهذه حجة لو كانت صحيحة لكانت لصالح المقاومة العراقية؛ فإنها رغم هذا الظرف غير المواتي اندلعت سريعاً وصمدت وتصاعدت وأنجزت، ولكن بالإضافة إلى ذلك فإن المحيط الشعبي العربي والإسلامي منحاز للمقاومة ، وهو أفضل من الدعم الحكومي أو الرسمي غير الموجود والذي كان سيفرض على المقاومة توازنات تؤثر عليها سلباً ، كما أن المقاومة تحظى بدعم عالمي من كل المستضعفين في العالم ، وهم الأغلبية ، ومن كل القوى المناهضة للعولمة والمناهضة لأمريكا والمناهضة للمشروع الصهيوني في الهيمنة على العالم

اغتيال الشيخ ياسين

د/ محمد مورو

جاءت العملية الصهيونية باغتيال الشيخ المجاهد أحمد ياسين، وهو الشهيد الفلسطيني العربي المسلم -الشهيد الحي- قبل اغتياله وبعد اغتياله؛ لأنه كان شهيدا يمشي على الأرض، جاءت هذه العملية الغادرة لتذكرنا بحقائق لن تغيب عنا -إن شاء الله-، ولن تغيب عن كل شرفاء هذه الأمة.

فالشهادة قدر الشرفاء، وقدر المجاهدين، وهي تكريم من الله تعالى لمن يستحقها (ويتخذ منكم شهداء) والشيخ المجاهد أحمد ياسين – رحمه الله - استحق الشهادة بجدارة، بجهاده في سبيل الله، ثم الوطن والأرض والعرض، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا، وقد نال الشيخ أحمد ياسين هذه الشهادة مع عددٍ من رفاقه المجاهدين.

-إن العدو الصهيوني، بل العدو الصهيوني الأمريكي هو تجسيد للخسة والغدر، وأنه كان وسيكون دائما - بحكم الطبع والتكوين والأهداف - إرهابيا عدوانيا، ولا سبيل هناك لمواجهةٍ إلا بالمقاومة كخيار صحيح ووحيد، وهل تكون العملية الغادرة ضد الشيخ ياسين في فجر يوم الاثنين ٢٢ مارس ٢٠٠٤عند خروجه من أحد مساجد غزة بعد أدائه مع رفاقه صلاة الفجر- درسا لهؤلاء الذين ما يزالون ينخدعون بإمكانية السلام والتعايش مع الكيان الصهيوني؟!

-إن الجماهير التي خرجت لوداع الشيخ ياسين في غزة، أو التي خرجت في مظاهراتِ احتجاجٍ في طول العالم العربي والإسلامي وعرضه إنما تؤكّد تقديرها وتحيتها لكل مجاهد، وتعلن انحيازها لخيار المقاومة ورفضها لمسيرة الخضوع والإذعان، وكذلك هو استفتاء على أن الشيخ ياسين شخصيا هو الإنسان والمجاهد والرمز الأسمى فلسطينيا وعربيا وإسلاميا، وهو الزعيم الحقيقي لتلك الجماهير.

-أن متابعة شارون شخصيا للقوات الصهيونية أثناء تنفيذها لتلك العملية الغادرة، وأنه شخصيا هو الذي أعطى التعليمات بذلك، وكذا موافقة مجلس الوزراء الإسرائيلي على تصفية كل الرموز السياسية لحركتي حماس والجهاد، وكل المجاهدين والمناضلين، وكذا تلقي شارون التهاني من الإسرائيليين عقب العملية، ثم تهنئته هو شخصيا للذين قاموا بالعملية إنما تؤكد أن

الكيان الصهيوني لا يريد السلام، ولا يفهم سوى لغة الدم، كما أن هذا كله هو نوع من الصفعة للحكّام العرب، وكل الذين يقابلون شارون أو يستقبلون الإسرائيليين من أي صنف ونوع، وهل الحكام والمطبعون يرعوون عن هذه الإهانة لهم، وينحازون إلى صفوف أمتهم ووجدان جماهيرهم وشعوبهم، وأن روح الشماتة والفرح على وجوه الإسرائيليين عقب الإعلان عن العملية إنما تدل على الخسة والنذالة، وسوف يندمون كثيرا إن شاء الله على ذلك (ليضحكوا قليلاً ويبكوا كثيرا).

عدوان على كل مسلم

إن العملية الغادرة ضد الشيخ ياسين ورفاقه هي عدوان على كل عربي ومسلم وفلسطيني؛ بل على كل مستضعف في العالم؛ بل على كل شرفاء هذا العالم، ذلك أن الشيخ ياسين لم يكن رمزا لحركة حماس فقط؛ بل لكل المقاومة الفلسطينية، ولكل الشعب الفلسطيني، ولكل عربي ومسلم، ولكل مستضعف في العالم، ولكل من يحلم ويريد مناهضة الهيمنة الأمريكية والاستكبار الدولي، ولكل من يحلم بعالم نظيف جميل وعادل. وهكذا فإن الانتقام للشيخ ياسين لن يكون قاصرا على حماس فقط، ولا المقاومة الفلسطينية فقط، بل سيمتد ليشمل كل عربي ومسلم في فلسطين وخارجها، وهكذا فإن تغيرا نوعيا متوقعا على مستوى المقاومة والمناهضة للمشروع الأمريكي الإسرائيلي بعد اغتيال الشيخ ياسين.

-إن اغتيال الشيخ المجاهد أحمد ياسين ورفاقه لن يفتّ في عضد المقاومة، ولا حركة حماس؛ بل سيؤجج الغضب، ويساهم في خروج المارد من القمقم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلَبٍ ينقلبون) ومن المتوقع أن تتسع روافد المقاومة عموما وحماس خصوصا.

-يمكننا أن نقول بدون إجهاد الذهن والتفكير إن عملية اغتيال الشيخ ياسين سوف تكون ذات آثار وخيمة على الكيان الصهيوني، وإنها نوع من الحماقة والفشل الإسرائيلي والشاروني، وهو معروف بـ"الغباء الاستراتيجي" لأن الشيخ ياسين رجلٌ قعيد يسمع بصعوبة ويعاني من عددٍ كبير من الأمراض لم يكن له نشاطٌ حركي بالطبع في الآونة الأخيرة؛ بل كان فقط يذهب إلى المسجد ويعود بمعونة عدد من أبنائه ومحبيه، وهكذا فإن التأثير الحركي لغياب الشيخ ياسين على حركة حماس لن يكون مؤثرا. وفي المقابل فإن الشيخ ياسين كان رمزا تاريخيا، وهو من -وجهة نظري- من أهم الشخصيات التاريخية الفلسطينية ذلك أنه أحدث نقلة نوعية في النضال الفلسطيني في وقت حرج للغاية، ولولا هذه النقلة في حركة كبيرة مثل حماس لكانت المقاومة، وخيار المقاومة، ومعادلات القضية كلها في موقفٍ حرج .. صحيح أن حركة الجهاد الإسلامي سبقت في هذا الطرح حركة حماس، ولكن دخول حماس في تلك المعادلة -

بما لها من ثِقَلٍ عددي وإمكانياتٍ ضخمة- أحدث تعديلاً هائلاً في طرفي المعادلة لصالح خيار المقاومة، وهذا محسوب للشيخ أحمد ياسين -رحمه الله- شخصيا؛ ذلك أن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين كان قد قرر عدم المشاركة في انتفاضة ١٩٨٧ ولكن الشيخ ياسين قرر العكس، واتخذ القرار على مسؤوليته الشخصية، وإن هذا الموقف التاريخي للشيخ ياسين لم يكن فقط مفيدا لخيار المقاومة، ولا مفيدا للقضية الفلسطينية فقط؛ بل إنه كان أحد الدوافع الهامة التي زادت من شعبية جماعة الإخوان المسلمين في كل مكان في العالم، لأن حركة حماس أصبحت فخرا للجميع، وبالتالي فإن الإيجابية الحماسية انعكست على سمعة الإخوان المسلمين عموما باعتبار حركة حماس أحد روافد جماعة الإخوان المسلمين.

-الشيخ ياسين إذن رمز تاريخي كبير على مستوى حركة الإخوان المسلمين، وعلى مستوى المقاومة الفلسطينية، وبالتالي كان يملك الزخم الجماهيري القادر على القبول بأي حل براجماتي، ولعل اغتياله في ذلك الظرف، وبتلك الطريقة سيحرج إلى أمد بعيد كل دعاة الحل البرجماتي داخل صفوف حماس والمقاومة؛ فلم يعد هناك أحد بحجم أحمد ياسين قادر على القبول بحلول براجماتية، كما أن الذي حدث لأحمد ياسين وتقطيع جثته أشلاء على يد القوات الإسرائيلي، سيردع أي أحد يفكر في تلك الحلول البراجماتية، وبدهي أن كل ممارسات إسرائيل وشارون قد أحرقت الأرض تحت دعاة البراجماتية.

مرحلة جديدة من النضال

وهكذا فإن فلسطين بعد ٢٢ مارس لن تكون مثلها قبل ٢٢ مارس، ولا المقاومة بعد هذا التاريخ ستكون مثلما كانت قبله ولا حركة حماس كذلك، وستثبت الأيام أن إسرائيل سوف تدفع ثمنًا غاليا لهذه العملية الغادرة، بل أمريكا أيضا) والله من ورائهم محيط). عملية الاغتيال إذًا عنوان على حماقة وفشل شارون؛ فهو استهدف من العملية حفظ ماء وجهه وهو الفاشل في منع العمليات الاستشهادية، والذي يفكر في الهروب من غزة، ولا يريد أن يقال إنه خرج منها مدحورا مذموما كما خرج باراك من لبنان. ولكن على كل حال؛ فإن عملية اغتيال الشيخ ياسين ليست عملية نوعية هامة رغم قيمة الرجل الكبرى؛ فقد كان الرجل سهل المنال لظروفه الصحية، ولحرصه على أداء الصلاة في المسجد؛ وبالتالي فإن اغتياله لم يكن صعبا، بل هي عملية جبانة وغادرة، وإسرائيل تريد أن توصل رسالة إلى قادة المقاومة والدول العربية أنها لن تتورع عن عمل أي شيء، وإذا كان اغتيال الشيخ ياسين من اغتيال الرمز الأكبر فلسطينيا، وهي عملية كان يعرف شارون أنها غير مبررة دوليا، فإن معنى ذلك أن شارون يقول إنه سيفعل كل شيء مهما كان ذلك استفزازيا للفلسطينيين أو مدان من العالم وأنه

لم يعد يهمه شيء ؛ وهذا شكل من الحماقة والغطرسة أيضا؛ فـالقرار الإسـرائيلي بتصـفية الكوادر السياسية لحركات المقاومة سيدفع بصفوف جديدة لقيادات تلـك الحركـات، سـتكون بالضرورة أكثر راديكالية وخبرة، لأنها ظهرت وتربت في أتون المعركة.

معركة أمريكية إسرائيلية ضد المقاومة

يصنف الدكتور إبراهيم البحراوي الخبير الاستراتيجي المعروف مواقف الإسـرائيليين من تلك العملية؛ فهناك قسم يرى أنه لو كان اغتيال الشيخ ياسين سيؤدي إلى إصـابة حركـة حماس بالشلل لوافق على عملية الاغتيال، ولكن الاغتيال سيؤدي إلى العكس، أي إلى زيـادة نشاط حركة حماس لأن حماس مرتبطة بشبكة أوسع من الإسلاميين في جميع أنحـاء العـالم؛ وبالتالي فإن اغتيال الشيخ لن يؤدي إلا إلى المزيد من عملياتها) هـذا رأي الـوزير افراهـام بوراز). وقسم آخر يرى أن العملية ضارة تكتيكيا ومؤثرة على المدى الطويل .. وهـذا رأي الوزير "نتنياهو" فهو يرى "أن حماس سترد في المدى القصير بعمليات تهز الأمن الإسـرائيلي لكن عملية الاغتيال ستحقق الفائدة لإسرائيل في المدى البعيد على أساس أن هذه العملية تبعث برسالة إلى كل من يعمل ضد أمن إسرائيل وهي رسالة تقول إن إسرائيل لن تضع أي حسابات لقيمة الشخص ولا لمكانته وهـذا مـا يجعـل قـادة حمـاس يرتـدعون فـي المسـتقبل". ونقلاً عن د. إبراهيم البحراوي أيضا؛ فإن المحلل العسكري الإسرائيلي الجنرال جودا عـوفير يرى أن الشيخ أحمد ياسين سيكون وهو ميت أقوى مئة مرة عما كان عليه وهو حي؛ فلقد كان حيا فقط يحرك تنظيم حماس أما وهو ميت فإنه سيحرك أناسا عاديين سيدفعهم الغضب لمشهد بدنه المحترق وهو خارج المسجد إلى التحرك. ويرى الدكتور بوعاز جانور الخبيـر بمعهـد دراسات الإرهاب أن المشكلة الأمنية التي خلفها اغتيال الشيخ تتمثل في الناس العاديين الـذين سيتحركون بالدافع الذاتي بعيدا عن الرقابة المفروضة على حركة التنظيمات، وهؤلاء يمثلون خطرا لا يمكن توقع تحركاته، وفي الاتجاه نفسه يرى الدكتور رؤبين باز المحلل السياسي أن عملية الاغتيال تحمل لإسرائيل مخاطر أوسع؛ فالشيخ ياسين كان يعارض قيام حماس بأيـة عمليات ضـد المصـالح الإسـرائيلية خاصـة أن بطـن إسـرائيل عاريـة فـي العـالم. عملية اغتيال الشيخ ياسين هي جزء من الحرب العالمية ضد حماس وهي معركـة أمريكيـة إسرائيلية، وهي جزء من معركة بدأت منذ وقت طويل ضد كل القوى الحيـة فـي الشـعب الفلسطيني، وإذا كانت إسرائيل قد اغتالت عشرات من قادة المقاومة من قبل أمثال: أبي جهاد، الشقاقي ، أبي علي مصطفى ...إلخ؛ فإن إسرائيل أعلنت الآن بوضوح أنها سوف تغتال كـل قادة المقاومة من حماس والجهاد وكتائب الأقصى والجبهة الشعبية وحتـى الـذين يتحـدثون

للفضائيات منهم، وذلك كنوع من التصفية النهائيـة لتلـك الحركـات بجناحيهـا العسـكري والسياسي، أو تنظيف غزة تمهيدا للانسحاب منها وتسليمها بالتـالي للعناصـر الموصـوفة بالاعتدال إسرائيليا من السلطة الفلسطينية، وهكذا فإن المعركة باتت مفتوحة ومعلنة، وبـدهي أن قادة المقاومة لن يخيفهم الموت لأنهم يؤمنون بأن هناك قدر يحكم مسألة الموت (فإذا جـاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)، وأن التراجع لن يوقف العـدوان الإسـرائيلي بـل سيزيده، بالتالي فإنه لا مفر من المقاومة كخيار وحيد وصحيح.

مشروع المقاومة

مع كثرة الحديث عن مشروعات الإصلاح ، وكثرة الأطروحات التى تنافس حالة التخلف والانحطاط العربى والإسلامى ، فإن من الضرورى علميا وموضوعيا وشرعيا تحديد نقطة الإنطلاق الصحيحة ومن ثم البرنامج الملائم للإقلاع من تلك الحالة التي تعانى منها أمتنا

إذا كان من الضرورى بداية -لوضع تصور صحيح للإقلاع والإصلاح أن نحدد طبيعة الجماعة البشرية التى نحن بصدد تحديد أمراضها ومن ثم وضع الوصفة الصحيحة لعلاجها ، وكذا طبيعة التحدى والأمراض التي توجهها تلك الجماعة البشرية ، أى الانطلاق من نقطة مبدأية وهى أننا لا نتعامل مع جماعة بشرية مصمتة ليس لها سمات ولا خصائص وكذلك أننا لا نتعامل مع مجموعة أحجار أو أشياء مادية تخضع فقط لقانون وسنن الفيزياء والكيمياء ... إلخ ، ، لكان علينا فى البداية تحديد من هى هذه الجماعة البشرية التي نحن بصددها ، وبدون الدخول فى تفصيلات كثيرة فنحن أمام جماعة بشرية -العالم العربى والإسلامى- لها تاريخ وحضارة وثقافة عميقة جدا -وبصرف النظر عن أيجابية أو سلبية تلك السمات الثقافية والحضارية لتلك الجماعة- فإن هذه الجماعة تتأثر بالضرورة بتلك السمات الثقافية والحضارية ومن ثم فإن تجاهلها يؤدى مباشرة إلى الفشل بل تكريس الحالة التى نريد علاجها ، هذه الأمة إذن أمة إسلامية شئنا أم أبينا ، وبالتالى فإن المكون الرئيسى والأساسى لوجدان وثقافة هذه الأمة هو الإسلام كدين وحضارة وثقافة بالنسبة للمسلمين (الأغلبية الساحقة) وكثقافة وحضارة بالنسبة لغير المسلمين داخل تلك الأمة ، وهكذا فإن شرط النجاح الأول لأى مشروع هو إسلاميته ونحن فى الحقيقة أمام أمة هى الأعمق ثقافيا وحضاريا بلا إستثناء -بالنسبة لكل الجماعات البشرية (١٤ قرنا على الأقل واتساع جغرافى وامتداد زمانى وثقافي وتأثير واضح للإسلام لا تخطئه عين أى مراقب- وهكذا فإن وهم تغييب الإسلام والحضارة والثقافة الإسلامية -بوعى أو بدون وعى- كرها أو رغبا هو قفزة فاشلة فى المجهول والفراغ ، ولن تحدث مطلقا مهما فعلنا أو فعل غيرنا ، إنها محاولة محكوم عليها بالفشل ونتيجتها الحتمية ضياع الوقت والجهد ومسخ ذلك الكيان جزئيا ومن ثم تعطيله عن التصدى الصحيح والكفء للتحديات والأمراض ، وهذا بالتحديد هو السبب الأساسى لفشل كل مشروعات النهضة على الأساس غير الإسلامى (العلمانى الليبرالى) العلمانى القومى ، العلمانى الاشتراكى بكل درجاته) والنتيجة هى ما نشاهده الآن من نتائج تلك المحاولات التى استقطعت من عمرنا وجهدنا الكثير بلا طائل ، بل بنتيجة عكس المطلوب تماما ، الإسلامية إذن هى الشرط

الأولى لأى مشروع للإصلاح ، ولكن العنوان لا يكفى فلابد من تحديد ما تحت العنوان وما بعـد العنوان وإذا قلنا أن هذه الأمة غير قابلة للذوبان الحضارى لأنها الأعمق حضاريا وثقافيا ، فـإن هذا يقود إلى الإيمان باستحالة هزيمتها هزيمة عسكرية وسياسية نهائية ، وإذا بدأنا مـن تحديـد أسباب التراجع وقلنا أن المنحنى الإسلامى صعد منذ البعثة المحمدية ثم ساد العالم ، ثم ثبت هـذا المنحنى ، ثم نزل وأننا الآن فى حالة نزول حضارى -هزيمـة تكنولوجيـة واضـحة- يجـب الاعتراف بها أولا ، ثم العمل على تجاوزها ثانيا ، وإذا بحثنا عن سبب نزول هذا المنحنى -وقبل ذلك سبب صعوده ، لكان من الممكن تلخيص المسألة فى كلمة واحدة ، هى كلمة الجهاد ، فطالما قامت هذه الأمة بالجهاد ، كواجب شرعى وفعل حضارى لإنقاذ المستضعفين فى العـالم- كلمـا صعد المنحنى الحضارى لأمتنا وكلما تخلينا عن هذا الواجب وأبطلنا هذه الفريضـة أو اكتفينـا بالدفاع توقف صعود المنحنى ثم ثبت ثم نزل ، ومن ثم فإن الصعود مرتبط باستعادة هذا الفعل ، وفى الحقيقة أن كثيرا من الأطروحات -بعضها إسلامى طبعا- حين تتجاهل هذا البعد ، وتتحدث مثلا عن التنمية الاقتصادية ، الإصلاح السياسى- التربية ...إلخ ، فإنها تكرس التخلف ، لن نحقق الوحدة مثلا ، ولا الإصلاح الاقتصادى ، ولا الإصلاح السياسى إلا إذا جاهدنا والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا وهكذا فإن الجهاد هو كلمة السر الصحيحة والوحيدة ، الجهاد هو شرط التقدم الاقتصادى والاجتماعى وشرط التنمية الحقيقية وشرط كل شئ صـحيح وجميل ، فإذا أردنا أن نحقق زراعة أو صناعة أو تعليم أو تربية أو حتى تفوق فنى وأدبى فـإن الجهاد هو الشرط الأول ، وهذا المعنى الصحيح للآية المذكورة سابقا ، وللحديث الشريف كـذلك يجب بالطبع إدراك بعد الهزيمة التكنولوجية ، والاعتراف بها ويجب أن ندرك أن علينا فى البداية أن نقلل سرعة نزول المنحنى الحضارى لأمتنا ، وأن نوقف هذا النزول تماما ، ثم تحدث إنقلابـا فى المنحنى ثم نصعد من جديد إن شاء الله ، وبدون هذه المراحل فإننا نقفز فى الهـواء - وهـذا لعمرى كان خطأ الحركات السياسية الإصلاحية عموما والإسلامية منها خصوصـا حتـى الآن ، يجب تقديم اجتهاد فكرى وحركى وفقهـى يلائـم هـذا الظـرف ويحقـق أقصـى قـدر مـن فريضة الجهاد .

سندخل مباشرة فى بعض الأطروحات المراوغة ، التى تقول أحداها مثلا إننا أمة متخلفة ومهزومة (وهذا صحيح) وأن المواجهة ليست حلا (وهذا غير صحيح) ، ومن ثم فعلينـا إتبـاع الأسلوب الألمانى أو اليابانى فى الإصلاح ، أى ترك موضوع المواجهة والجهاد نهائيا والتفـرغ للبناء والإنتاج فى محاولة لسد الفجوة التكنولوجية ومن ثم الاقتصادية والسياسية والاجتماعيـة ،

وهذا طرح خاطئ لعدة أسباب ، فالمعركة ضد الألمان واليابانيين لم تكن معركة حضارية ولا ثقافية بل عسكرية وسياسية ، أما نحن فالمعركة ضدنا بالإضافة إلى كونها عسكرية وسياسية واقتصادية فإنها أيضا حضارية وثقافية ، نحن لسنا فقط إزاء مشروع استعمارى اقتصادى وسياسى ، بل إزاء مشروع حضارى يستهدف القضاء على أمتنا ، وهناك وجدان صليبى يحرك الأعداء ضدنا ، والمواجهة مع الغرب الصليبى لم تنقطع قط فى الزمان ولا المكان بدءاً من حياة الرسول وحتى اليوم، مرورا بالمواجهة فى الأندلس والمغرب العربى (حرب الألف عام كما يطلق عليها المؤرخون المغاربة - ومرورا بحروب الفرنجة على المشرق العربى الإسلامى ١٠٩٥م - ١٢٩٥م وكذا مرورا بالمواجهات التى خاضتها الدولة العثمانية ، ثم الاستعمار والصهيونية وحتى احتلال أفغانستان والعراق ، فالمسألة هنا أننا أمام عدو لن يقبل بغير الاجتثاث لأمتنا ، ولن يتركنا نبنى ونعمر فهو لن يقبل لنا النهضة على الأساس الإسلامى أو حتى العلمانى أو على أى أساس ، ونحن أمة وسط ثقافيا وجغرافيا ولسنا جزراً منعزلة ، وبالتالى فالقياس الألمانى واليابانى قياس مخادع وخاطئ ، بالاضافة إلى أن أمريكا والغرب كان لهم مصلحة فى تقدم ألمانيا الغربية فى إطار الصراع مع المنظومة الاشتراكية ، وكذا فى تقدم اليابان حتى لا ينفرد الاتحاد السوفيتى أو الصين بالتمدد فى آسيا وموضوع القياس اليابانى والألمانى خطأ مبدأى بالنظر لظروف وطبيعة الصراع مع الغرب ، وهو أكثر خطأ بعد سقوط الاتحاد السوفيتى السابق والمنظومة الاشتراكية لأنه ليس هناك استقطاب يسمح بهامش من المناورة يمكن أن نفلت بها من موانع الغرب وعراقيله على نهضتنا وهكذا فإن القياس الألمانى واليابانى يحتم المواجهة والجهاد والمقاومة .

من الأطروحات الأخرى المرواغة ، أننا أمة لا قيمة لها وأن الدخل القومى الأمريكى مثلا ١٣ تريليون دولار ، أما الدخل العربى والإسلامى السنوى فهو قليل جدا - العربى ٧١٧ مليون دولار ، أى أصغر من رأسمال شركة ميكروسوفت مثلا أو نوكيا للهواتف المحمولة أو دولة واحدة مثل إسبانيا ، وهذا صحيح ، ومن ثم فإن الغرب لا يضعنا فى اعتباره وليس طامعاً فينا أو لا نشكل له أى نوع من التهديد ، ولعل حجة هؤلاء هى نفسها تنسف منطقهم ، فمادمنا بلا قيمة ولا نشكل خطرا فلماذا تم زرع إسرائيل ، ولماذا تم احتلال أفغانستان ثم العراق ؟.. هل لتدفق البترول مثلا ؟.. وهذا البترول لهم طبعا ، ولكن تدفقه كان مضمونا بدون مخاطر هذا الاحتلال على الأمريكان وحلفائهم ، بل إن أحد الزعماء العرب قال ذات يوم مستغربا ، إنهم يأخذون البترول وحتى صدام حسين شخصيا كان مستعدا لأن يضخ لهم البترول ، إذن فالمسألة لها بعدها الحضارى والثقافى والتاريخى بالإضافة إلى بعدها الاقتصادى والسياسى أما مسألة أننا

لا نشكل خطراً عليهم ، فهذا كلام جزئى ، نعم ربما لا تشكل خطرا حقيقيا أو كبيرا الآن ولكـن هناك ما يسمى بالقوة الكامنة ، والمنظومة الإسلامية الثقافية تمثل خطراً شديداً علـى المنظومـة الغربية الرأسمالية لأنها تشكل البديل الأيديولوجى لكل مستضعفى العالم للثورة على الرأسمالية بعد فشل الماركسية ولا هوت التحرير المسيحى ، وبديهى أن الماركسية ولاهوت التحرير المسـيحى كان لابد أن يفشلا أمام الرأسمالية لأنه من الناحية العلمية والموضوعية فإن الماركسية ولاهـوت التحرير المسيحى قد خرجا من نفس الأرضية الحضارية التى أفرزت الرأسمالية ومن الطبيعى أن هذا سبب جوهرى وبنيوى للفشل ، أما الإسلام فهو منظومة ثقافية مختلفة أولا -ليست نابعة مـن المنظومة الحضارية الغربية وهى ذات تراث ونصوص منحازه للفقراء .. ثانيا وبالتـالى قـادرة على تقديم التبرير النظرى للثورة على الرأسمالية ، وهى ذات خطاب عالمى ثالثا وبالتالى فهـى يمكن أن تصلح كأيديولوجية أو جذر ثقافى للبشر المستضعفين والمتضررين من الرأسمالية (وهم أكثرية العالم) سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، ثم إن الخطـاب الإسـلامى خطـاب غيـر عنصرى ، أضف إلى ذلك أن الرقعة الجغرافية المتوسطة وذات الاتساع الكبير التى يشغلها العالم الإسلامى -وكثافته السكانية الكبيرة والواعدة ، ثم ثقافة القتال والجهاد ، والاعتماد على مـدد الله يمكن أن تشكل مصدرا لا ينضب للمجاهدين والمناضلين ، وهكذا فإن خوف الغرب وأمريكا مـن الإسلام والمسلمين له أسبابه القوية والخطيرة أيضا ، وحديث المفكرين والسياسيين الغربيين عـن الخطر الأحقر ليس وهما ولا خداعا ، بل إدراك مبكر أو تقليدى لما يمكـن أن يمثلـه الإسـلام والمسلمون إذا ما ساءت ثقافة المواجهة والمقاومة وثم استعادة فعل الجهاد الجميل .

لماذا نقول مشروع المقاومة ، ولا نقول مثلا مشروع الإصلاح السياسى أو الاقتصادى أو التربية أو غيرها ؟!.. ذلك كما قلنا لأننا أمة لن تنهض ولن تتقدم إلا بالجهاد ، وذلك لأننـا أمـة مستهدفة ، والسيف فوق رءوسنا ، فهل نخدع أنفسنا مثلا ؟.. وقد بـان الأمـر الآن ، فأمريكـا وبريطانيا والحلفاء جاءوا بجيوشهم والانطباق الكامل بين إسرائيل وأمريكا أصبح واضحا للعيـان لا تخطئه عين وخاصة بعد ما يسمى (بوعد بوش) الصادر مع شـارون فـى مـؤتمر صـحفى ٢٠٠٣/٤/١٤ ، وهو مفهوم من قبل ولكن ذلك لمن يريد حجة دامغة بدون جهد!!..

وكذلك لأن الله تعالى وضع لنا الحل الصحيح فى القرآن الكريم يا أيها الـذين آمنـوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، نفس أن يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين .

وهذه الآيات تنطبق على حالتنا الراهنة تماما ، حيث أنه لم يحدث تحالف -فضـلا عـن موالاة- بين اليهود والنصارى إلا فى السنوات الأخيرة ، بل كان العداء بين الطرفين هـو سـيد الموقف دائما لدرجة ظهور ما يسمى بالمسألة اليهودية أو العداء للسـامية فـى الفكـر الغربـى واليهودى على حد سواء ، المهم أن هناك الآن موالاة - والموالاة أعلى من التحالف بين الغـرب وإسرائيل وهناك احتلال أمريكى لمناطق وبلاد عربية وإسلامية ومنطق الذين لا يريدون المقاومة ولا القتال ولا الجهاد ولا الاستشهاد يسارعون بينهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائـرة أى نخـاف منهم لأنهم أقوى منا بمراحل -نعم هذا صحيح- ولكن لنا أدواتنا ووسائلنا لخـوض المواجهـة ، بالمقاومة الشعبية التى أثبتت نجاحها فى فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان ، وبسلاح الاستشهاد الذى لم يجدوا له علاجا ، ولن يجدوا إن شاء الله -حتى الآن- وحتى بصرف النظر عن النتـائج فإن الله تعالى طلب منا ذلك وفضح منطق المسارعين فيهم ، وبشرنا بأن الفتح أو أمر من عنـده سوف يأتينا ، ونحن بالتالى نطرح المقاومة ومشروع المقاومة والمواجهة كحل صحيح وكفريضة شرعية ، وكتوجيه قرآنى ، وكذلك من الناحية العلمية والموضوعية فهو سلاح وطريقة وأسـلوب أثبت نجاحه ، فالمقاومة العراقية أثبتت حتى الآن أنه رغم كل الظروف الصعبة وغير المواتيـة نجحت فى تعطيل المشروع الأمريكى ، وفى سبيلها لإنهائه إن شاء الله ، نفـس الأمـر بالنسـبة لمشروع المقاومة فى فلسطين الذى جاء أيضا فى ظروف غير مواتية ، ومع ذلك هـز الوجـود الإسرائيلى هزا ، وألقت بظلال من الشك حول المشروع الصهيونى ذاته كما اعترف بذلك قـادة العدو وكبار مفكريه والأمر ذاته بالنسبة للمقاومة فى لبنان .

مشروع المقاومة إذن أثبت أنه يمتلك مقومات النجاح وإذا أدركنا أننا فى حالـة هزيمـة تكنولوجية وأنه من المستحيل عمليا مواجهة آلة الحـرب العسـكرية والسياسـية والاقتصـادية الأمريكية والصهيونية بالجيوش أو الدول أو المؤسسات الرسمية "وكل التجارب دلت على ذلـك" فإن التجارب ذاتها دلت على أن المقاومة الشعبية استطاعت أن تبرز وتأخذ مكانها ، وهى سوف تحقق أولا نوع من التصدى والصمود يمنع وصول المنحنى الحضارى الإسـلامى إلـى نقطـة السقوط النهائية ، والمقاومة سوف تزيد وعى الشعوب بالتحديات التى تحيط بها ، وتـوقظ هـذه الشعوب وتعالج الأجزاء المريضة فى الجسد العربى والإسلامى ، وبالتالى يزداد هذا الجسد حيوية ، ولا شك أن ذلك سوف يزيد قدرة هذه الشعوب على انتزاع حقوقها السياسية ، ومن هنـا فـإن مشروع المقاومة هو المقدمة الأولى والصحيحة والجوهرية للإصلاح السياسـى ، وعلـى نفـس النمط هو المقدمة الأولى والصحيحة للتقدم الاقتصادى وإشاعة روح الوحدة والتكافـل والحيويـة

والإيجابية ، بل سوف تفجر طاقة الابتكار العلمى والتكنولوجى أيضـاً ، وهكـذا فـإن مشـروع المقاومة وإشاعة ثقافة المقاومة هو الأسلوب الصحيح شرعيا وواقعيا ، وفى أسوأ الحالات فـإن التخلى عن الجهاد والمقاومة يعنى الإبادة والقتل والتدمير والنهاية الحضارية وتحولنا إلى عبيد أو قتل الجزء الأكبر منا وتحويل الباقى إلى عبيد أما المقاومة فهى إما نصر وإما شهادة ، وحتى لو كانت النتيجة هى الهزيمة فإن خسائر الهزيمة لن تكون أسوأ من حالة الانبطاح ، وعلـى الأقـل هناك الكرامة ، وهناك التجربة التى يمكن تكرارها مع الأجيال القادمة ، أى المحافظة على الجذوة مشتعلة تحت الرماد .

ولن تكون مغرقين فى الوهم أو التفاؤل حين نقول أن مشروع المقاومة لن يحقـق فقـط العزة والكرامة لنا ، بل سيكون بداية لتحرير العالم كله من الهيمنة والظلم الأمريكى الصهيونى ، وهذا سوف يرفع قيمة أطروحاتنا الثقافية عالميا ، بل يمكن أن يتحول الإسلام إلى أيديولوجية لكل المستضعفين والمناهضين للرأسمالية والعولمة ، وحتى بمنطق الدعوة المباشـر فـإن المواجهـة والمقاومة ستكون طريقا صحيحا لدخول الناس فى دين الله أفواجا .

حرب على الجمعيات الخيرية.. أم حرب على الإسلام ؟!

د. محمد مورو

المتتبع للإجراءات الأمريكية، ومن ثم الغربية، وما يفرض منها على بعض الحكومات العربية والإسلامية أن تتخذه حيال الجمعيات الخيرية الإسلامية؛ يكتشف للوهلة الأولى أن المسألة عميقة جدا واستراتيجية، وليست مجرد رد فعل طارئ سيأخذ مداه ثم يهدأ ويسكن، وأن الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية هي حرب عالمية على الإسلام دينًا وحضارةً وقيمًا وسلوكًا وجهادا.

وهل من المفيد هنا أن ننقل عن فضيلة الشيخ (صالح الحصين) الذي نقله بدوره عن واحد من الباحثين الذي وضع فرضية مبدئية وأدخلها في حاسوبه الشخصي، وظل يرصد الأحداث وتصريحات السياسيين التي لها صلة بهذه الفرضية، وكان يدهش كيف أن الوقائع ظلت تؤيد فرضيته؛ لقد بنى هذه الفرضية في شكل هرم كتب على ثلثه الأعلى الجهاد، وعلى ثلثه الأوسط المؤسسات الخيرية والمؤسسات المالية، وعلى قاعدته القيم والمبادئ، وقد افترض أن الغارة على الإسلام في صراع الحضارات سوف يكون هدفها الأول الجهاد، وهدفها الأخير القيم والمبادئ، مرورا بالمؤسسات الخيرية والمالية.

وهل تلك الفرضية التي افترضها هذا الباحث من الدقة والذكاء بحيث تلخص المسألة كلها: حقيقتها، أهدافها، آلياتها؟.

وقبل أن نسهب في شرح ذلك يجب أن نضع بعض الملاحظات حول الحرب الأمريكية والغربية على الجمعيات الخيرية..

- فمن ناحية؛ فإن خطاب العولمة المزعوم وخطاب قادة الفكر والسياسيين في الغرب؛ بل حتى مشروعات ومبادرات الإصلاح المزعوم التي يتقدم بها الرؤساء والباحثون، ومراكز الأبحاث ودوائر وزارات الخارجية...إلخ، وآخرها مبادرة الشرق الأوسط الكبير ؛ كلها أكدت على ضرورة دعم ما يسمى بالمجتمع المدني –غير الحكومي – باعتباره إحدى ركائز الديمقراطية وأحد أهم بنود الأجندة العالمية حاليا، وبدهي أن من يدعم المجتمع المدني لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يمنع هو هذا المجتمع المدني أو يصادر جمعيات خيرية هي إحدى تجليات هذا المجتمع المدني المزعوم، أو يدعو الحكومات العربية والإسلامية إلى بسط سيطرتها على تلك الجمعيات.. إنها مناقضة صارخة، وازدواج معايير واضح، وهذا يكشف

حقيقة الأجندة الأمريكية الغربية بخصوص هذا المجتمع المدني المزعوم؛ فالمطلوب دعم الجمعيات والهيئات والمؤسسات غير الحكومية التي تعمل وفق الأجندة الغربية، والتي تتلقى تمويلاً من الجهات الغربية، أي التي تعمل في إطار خدمة المشروع (الأمريكي- الصهيوني) بوعي أو بدون وعي؛ أما من يعمل مستقلاً في التمويل، مستقلاً في الأهداف، غير منضبط تماما على نغمة الأجندة الأمريكية فهو مرفوض ومتهم بالإرهاب، وسوف تصدر القرارات بمنعه ومصادرته وهكذا فإن الحرب الأمريكية الغربية على الجمعيات الأهلية الخيرية الإسلامية كشفت ضمن ما كشفت عن نفاق أمريكي وغربي واضح.

- ليس المطلوب إذًا جمعيات تساعد الفقراء، أو تعين المحتاجين أو تحفر الآبار في إفريقيا وآسيا، أو تساعد ضحايا العدوان الصهيوني على الفلسطينيين، أو تبني المساجد أو ترعى الأيتام؛ بل المطلوب جمعيات تهدم القيم عن طريق تحريض المرأة على الخروج على تعاليم الإسلام، أو التمهيد للقبول بإسرائيل بدعوى القبول بالآخر، أو الترويج للقيم الأمريكية بدعوى أنها قيم عالمية..

خدمة المشروع الأمريكي

وهكذا فإن أول أهداف الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية هو منع امتداد المجتمع الأصلي الصحيح وإزاحته ليحل محله المجتمع الأهلي المزيف والعميل. هذا بالطبع لخدمة المشروع الأمريكي، وهو أيضا إحساس داخلي عميق بخطورة المجتمع الأهلي الإسلامي ممثلاً في الجمعيات الخيرية، لأن آلية العدوان الأمريكي قادرة على السيطرة على كل ما هو حكومي ومعروف ومبرمج، أما العمل الأهلي فهو الأكثر صعوبة والأقدر على الاستمرار وخلق حالة من المقاومة أو الصمود أو الرفض، وتحقيق نوع من المناعة للمجتمعات..

- إن استخدام عنوان الإرهاب كذريعة للحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية أمر لم يكن لينطلي على أحد؛ فالكلمة نفسها تستخدم بمناسبة وبدون مناسبة لوصف كل مناهض لأمريكا وإسرائيل ؛ بل أصبحت الكلمة والتهمة تستخدم من قبل كل من يريد استعداء أمريكا وإسرائيل والغرب، أو إرهاب الآخرين وتخويفهم وإسكاتهم على جماعة أو دولة أو فرد، وبدهي فأن الحرب على الإرهاب لا علاقة لها بالعمل الخيري أساسا، ويمكن حساب فرد أو مجموعة على ما قامت به بافتراض هذا صحيحا دون المساس بالفكرة أو العمل الخيري عموما. على كل حال؛ فإن ما لاحظناه حول استخدام كلمة الإرهاب بطريقة فجة وممجوجة

ومزدوجة المعايير ومنافقة هو في حد ذاته دليل على تهافت التهمة الموجهة للجمعيات الخيرية الإسلامية.

- يربط البعض عادة بين الحرب على الجمعيات الإسلامية أو الإسـلام أو المظـاهر الإسلامية وبين أحداث ١١سبتمبر٢٠٠١، وهو ربط غير صحيح من وجهة نظرنا؛ فلا علاقة سببية بين الاثنين؛ بل يمكن القول إن الحادث قد استخدم كذريعة أو تبرير أو مناسبة لتصعيد الهجوم على المظاهر الإسلامية، والحقيقة أن هناك وجدان صليبي غربي معروف، وهو يمثل الظاهرة الرئيسة في التاريخ، وحتى الآن قد تخفت أحيانًا بسـبب وجـود تناقضـات ثانويـة (كالتناقض السابق بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا)، ولكن ما أن يتم حـل هـذه التناقضـات الثانوية حتى يبرز التناقض الأساسي والجوهري، وهكذا فإن الحرب على الإسلام والظـواهر الإسلامية لم تتوقف منذ ظهور الإسلام وحتى اليـوم، وهـذه طبيعـة الصـراع الإسـلامي الشيطاني، ولكن المناسبة الأكبر لتسارع وتيرة هذه الحرب هو سـقوط الاتحـاد السـوفييتي السابق والمنظومة الشيوعية وليس أحداث ١١سبتمبر

- إن من المعروف في قواعد مناهضة أية فكرة أو حركة ضرورة ضـرب حلقاتهـا الوسيطة باعتبارها الرابط بين الجذر والثمار المرجوة؛ لأن مـن المسـتحيل عمليـا اقـتلاع الجذور، أو أن ذلك صعب جدا.

أما قطع الساق فهو الطريق الأسهل لمنع ظهور الثمار، وهكذا ووفقًا لفرضية الباحث المذكور سابقًا من أن الجمعيات الخيرية هي الحلقة الوسيطة بين القيمة والجهاد؛ فإن ضـرب الإسلام يقتضي ضرب تلك الحلقة الوسيطة.

- وهل من المفيد هنا انطلاقًا من النقطة السابقة أن نبحـث عـن الأسـباب العامـة والخاصة الاستراتيجية والتكتيكية لضرب الجمعيات الخيرية الإسلامية، فهي تأتي في الصراع الحضاري الممتد في التاريخ والجغرافيا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؛ أي فـي إطار الصراع بين فكرة التوحيد والعدل والحرية واللاعنصرية والتسامح، وبين العنف والقهر والنهب والوثنية والعنصرية والظلم وازدواج المعايير، وهي تأتي في محاولة فـرض قبـول الرأسمالية على العالم، وذلك أنه بعد انهيار الشيوعية وثبوت فشلها نظريا وفلسفيا وتطبيقيـا؛ فإن المنظومة الإسلامية هي الوحيدة المرشحة لمناهضة الرأسمالية؛ ليس بالنسـبة للمسـلمين فقط؛ بل بالنسبة لكل سكان العالم المتضررين من الرأسمالية، لأن الإسـلام يمتلـك خطابـا عالميا، ويمتلك خطابا منحازا للمستضعفين والفقراء، وينصفهم ولا يظلمهم، ويمتلـك خطابـا

غير عنصري، وهو بهذه المثالية يمكن أن يكون أيديولوجية للمستضعفين في العالم، والراغبين في مناهضة العولمة والرأسمالية، بالإضافة إلى كونه دينا، ومنظومة قيمية للمسلمين تحول دون خضوعهم أو قبولهم بالانصياع للقيمة الغربية والأمريكية، وهكذا فهو الأساس الصحيح لظهور الرفض والمقاومة، وعدم الانصياع وتعطيل مشروع الهيمنة (الأمريكي- الصهيوني) على العالم، وبالتالي فإن ضرب وتصفية الجمعيات الخيرية الإسلامية هو نوع من الحرب الاستباقية ضد الدور الإسلامي المتوقع، وهو نوع من الحرب الدعائية الإعلامية غير المباشرة، فبدلاً من أن تقوم تلك الجمعيات بتزويد المجتمعات الإسلامية بقدر أكبر من القدرة على الاستمرار والصمود، ونشر القيمة الإسلامية، وبدلاً من أن يتم الحديث عن الإسلام باعتباره يرعى اليتيم، ويساعد الفقير، ويبقي بئر الماء، ويساعد على التعليم؛ يتم الحديث عنه فقط - زورا- بلفظ الإرهاب والعنف والبربرية؛ وبالتالي تنجح الحملة العالمية الأمريكية الصهيونية في تشويه صورة الإسلام وحصاره.

في مواجهة التنصير والتغريب

بالإضافة إلى ذلك فإن العمل الخيري الإسلامي هو نوع من المانع الضروري لشل قدرة جماعات التنصير والتغريب عن العمل، والتي تخدع الناس وتحاول شراء وجدانهم بالمساعدات، ومن المعروف أن هناك علاقة جدلية بين التنصير والاستعمار فكلاهما يخدم الآخر، وكل منهما يؤدي إلى الآخر، وبالتالي فإن إزاحة العوائق من أمام المنصّرين هدف أمريكي استعماري صهيوني مباشر واستراتيجي، وفي هذا الصدد؛ فإن الحرب على الجمعيات الخيرية يصبح ضروريا لنجاح مخطط التنصير بالطبع فإن العمل الخير الإسلامي به أخطاء ولكن الأخطاء يمكن إدراكها ومعرفتها وحلها ولن يخلو عمل بشري من الأخطاء قط، ونزعم أن العمل الخيري الإسلامي هو الأفضل من حيث شفافيته، ولكن الأخطاء فيه بالنسبة للجمعيات الخيرية اليهودية أو المسيحية، ورغم كل الفضائح والجرائم التي ارتكبتها الجمعيات المسيحية واليهودية؛ فإن أحدا لم يطالب بإلغائها أو تصفيتها وهكذا فإن تهافت مبررات الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية بينت أن المسألة حرب على الإسلام تأخذ أشكالاً متعددة؛ منها الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية! .

الجريمة

د-محمد مورو

يعجز القلم على نقل الإحساس الداخلي لأي عربي أو مسـلم أو حتـى أي إنسـان محترم تجاه ما قامت به سلطات الاحتلال الأمريكي والبريطاني تجاه الشعب العراقي؛ بـل قل تبكي المآذن والقباب والمحاريب على ما حدث، وإذا كان تراثنا الإسلامي العظيم يقول إن حرمة الإنسان أعز على الله من الكعبة فإن هذا يوضح إلى أي مدى كان عمق المهانـة والذل الذي شعرنا بها جميعا تجاه ما حدث للعراقيين في معسكرات الاعتقـال . فالصـور التي نشرتها صحيفة "الديلي ميرو" البريطانية والتي تم نقلها على نطاق واسع في صفحات الإنترنت وفي قنوات التليفزيونية الفضائية تعبر عن حقيقة التوحش الأمريكـي والغربـي ومدى المهانة والضعف التي نعاني منها، ويجب هنا أن نلفت النظر إلى أن تلك الممارسات كانت معروفة قبل أن تنشرها صحيفة "الديلي ميرو" وقد سجلتها اعترافات بعض الأسـرى المفرج عنهم أو ما سجلته تقارير لجان حقوق الإنسان، ولكن السؤال هو: لماذا نشرت تلك الصحيفة المذكورة هذه الصور، أو لماذا سمح لها بذلك؟ هل هو من بقايا الضمير الغربـي .. ربما ـ لكن الأكثر أهمية هو أن الدوائر الاستكبارية أرادت أن تدرس رد الفعل العربي والإسلامي والعالمي على جريمة بمثل هذه الخسة والوحشية، فإذا كان رد الفعل ضعيفًا أو محتملاً بالنسبة لها ـ وهو ما حدث ـ فإن ذلك يجعلها تجهز للمرحلة الثانيـة أو التاليـة للعدوان ... فهل يكون ذلك باتجاه هدم الأقصى، أو شيء قريب من هذا ـ محتمل جدا!!.

المقاومة هي الحل

الجرائم المنشورة ـ ناهيك طبعا عن غير المنشورة هي بالتأكيد أكبر وأسـوأ، تـدور حول تبول جندي أمريكي على أحد الأسرى العراقيين المقيدين في الأغلال وهو ما يعنـي أن الأمريكيين ينظرون لنا على أننا دون البشر؛ بل دون الحيوانات أصلاً، وهي النظرة التي تبرر لهم ما يفعلونه أو سوف يفعلونه بنا، وتمهد لعمليـات الإبـادة والاسـترقاق المتوقعـة لنـا . وكذا تعذيب الأسرى بوضع سجائر مشتعلة في أجزاء حساسة مـن أجسـادهم، أو تعـذيبهم بالكهرباء في أماكن حساسة من أجسامهم أيضا، أو إجبارهم على ممارسة الشذوذ الجنسـي أو تمتع المجندين والمجندات الأمريكيين بحركات شاذة يمارسونها مع الأسرى أو يتفرجون على ممارستها، والجدير بالذكر هنا أن الجنود البريطانيين فعلوا الشيء نفسه، وهو مـا يؤكـد أن

الانحطاط الأخلاقي ليس قاصرا على الأمريكيين فقط؛ بل هو سلوك وسـمة غربيـة، وكـذا النظرة الدونية لنا كبشر هي تعبير عن نمط حضاري غربي كامل وليس أمريكي فقط، وفـي النهاية فإن أمريكا هي آخر صور الانحطاط الحضاري الغربي، وهو ما يعني أننا أمام تحـد غير مسبوق؛ فإما المقاومة حتى ولو كانت نتيجتها الموت، وإما الموت أيضا مع العـار، ولا ننسى في هذا الصدد حالات الاغتصاب التي تعرضت لها العراقيات وهو ما تم نشره قبل ذلك وشكك فيه البعض، ولعل ما يحدث في العراق وقبلها في فلسطين يؤكد حقيقة انحطاط الغرب بكل مدارسه وجنوده ، وليس اليمين الأمريكي فقط، بل حزب العمال "البريطاني" وقبله الليكود والعمل في إسرائيل وهلم جرا ..

شذوذ القاعدة

لا يمكننا بالطبع أن نفهم الحديث المنافق عن أن ذلك سلوك فـردي لمجموعـة مـن الجنود، فإحداهن كانت برتبة جنرال أمريكي أي أن السلوك يعبر عن خلفية فكريـة وثائقيـة معينة تطال القاعدة العريضة – هناك شذوذ على القاعدة واستثناءات طبعا تمثل الضـمير أو بقايا الضمير الغربي – ولكننا عادة نستنتج النتائج والدلالات من القاعدة الأوسع والمحصـلة والمجرى الرئيس للظاهرة، وطوال فترات الاستعمار الغربي لبلادنا حدثت انتهاكـات بشـعة مارستها حكومات جمهورية وملكية، يمينية ويسارية .. الخ .... ويجـب عـدم قطـع الصـلة الإحصائية والدلالات بين ما حدث في العراق، وما كان يحدث في الـبلاد المسـتعمرة مـن الجزائر إلى مصر إلى ليبيا إلى فلسطين إلى سوريا .... الخ.

ومما يدعو إلى الاستفزاز أن أحد عملاء الاحتلال الأمريكي في العراق قال تعليقًا على ما حدث في معسكرات الاعتقال على يد القوات الأمريكية والبريطانية أن ذلك كـان يحـدث أيضا في سجون صدام حسين، وهب أن ذلك صحيحا، فهل يبرر الخطـأ، وإذا كـان صـدام حسين معرض الآن للمحاكمة، فهل نتوقع محاكمة كل من جورج بوش وتوني بلير ورامسفيلد بتهمة مجرمي الحرب، أشك بالطبع وحتى لو تم إعدام هؤلاء فإن ذلك لن ينسي الذل والعـار الذي لحق بنا، والذي لا حل له سوى المقاومة والتحرير ومواجهة التحدي الغربي بكامله، فإما الموت واقفين ، وإما النصر و ليس العار والانكسار والذل بحثًا عن حياة شكوك في الحصول عليها أصلاً!! .

وبمناسبة الحديث عن أن ذلك كان يحدث في سجون صدام فإن المقاومة تكمن في أن الدوائر الأمريكية والبريطانية ومن لف لفّهم من عرب أمريكا كان قد برروا العـدوان علـى

العراق بأسلحة الدمار الشامل العراقية، وثبت أن هذه أكبر كذبة أمريكية وبريطانية معاصرة، فلما سقطت تلك الكذبة، قالوا إننا جئنا لإنقاذ العراقيين من التعذيب والقهر والديكتاتورية، فـإذا هم أنفسهم يمارسون أبشع أنواع التعذيب والقهر والديكتاتورية، بل وأكثرها نذالة وانحطاطاً - فماذا بقي لهم لكي يتذرعوا به؟ أليس هذا كافيا للذين تورطوا في التعـاون مـع الأمريكـان وخاصة في مجلس الحكم أن يراجعوا أنفسهم؟ ما معنى استمرار حزب الـدعوة، والمجلـس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، والإخوان المسلمين؟ بل وكل القوى السياسية المشـاركة في الحكم - ثم معنى مراهنة السيستاني وقطاع كبير معه على مسألة الانتخابات تحت أسـنة الاحتلال الأمريكي!! أليس هذا نوعا من الانسحاق والاستذلال بلا حدود، لمـاذا لا يصـطف الجميع في خندق المقاومة العراقية الباسلة ... لو كان هناك نخوة أو دين أو عروبة أو وطنية للآخرين إلا بالمقاومة ، والمقاومة فقط .

حضارة عنصرية

حديث البعض عن صدمته ، فيه قدر من المراوغة؛ فالحقيقة أن كل تـاريخ أمريكـا، والمجرى الرئيس في تاريخ الحضارة الغربية يقود إلى تلك الجرائم ويؤدي إليها، فهي حضارة عنصرية قامت ولا تزال على إبادة الآخر وقهره وتعذيبه ونهبه، والمسلمون حاليا هـو هـذا الآخر المستهدف، ولعل ما حدث في العراق وقد أصبح معروفًا بفضل الصور المتسربة يؤكد على أن أشياء أسوأ وأكثر حدثت في أفغانستان، وحدثت وتحدث في معسكر جوانتانامو، ولكن الحصار الأمني والمعلوماتي حول ما يحدث هناك ما زال لم يخترق، بل إن العجيب أن أمريكا استقدمت أحد خبراء التعذيب في معسكر جوانتانامو للاستفادة بخبرته في العراق ولكن مـن هؤلاء المساكين في جوانتانامو. ودماؤهم وأعراضهم وما لحق بهم من تنكيل وتعـذيب فـي رقبة الحكومات العربية والإسلامية وفي رقبة العالم المتمدن!!

لماذا تفشل مشروعات الإصلاح

د/ محمد مورو

منذ أن طرح الرئيس الأمريكي جورج بوش ما أسماه الشرق الأوسط الكبير والـذي من المفترض أن تتبناه مجموعة الدول الثماني الكبار في العالم في مؤتمرها القادم، منذ ذلـك الحين تبارت حكومات وجماعات ورموز ثقافية وسياسية في طرح تصورات وعقد مؤتمرات وإصدار توصيات حول مشروعات للإصلاح، ولكن الحقيقة أن كل هذه المبـادرات محكـوم عليها بالفشل لأسباب كثيرة واقعة في بنية هذه الحكومات والجماعـات الثقافيـة والسياسـية ولأسباب تتصل بإغفال العنصر الرئيس للإصلاح والنهضة، وهو نفس العنصر الذي فشـلت بسبب غيابه كل مشروعات النهضة العربية والإسلامية التي شهدتها تلك البلدان في غضـون القرنين المنصرمين.

بداية فإن مشروعات الإصلاح القادمة من الخارج هي بالضرورة فاشـلة، لأنهـا أولاً تفتقد للمصداقية وتتسم بالنفاق ، وأهدافها لا علاقة لها في الحقيقة بموضوع الإصلاح أصلاً ، بل نكاد نقول إن الغرب وأمريكا لا يريدون لنا الإصلاح والديمقراطية والنهضة أو أي شيء إيجابي أصلاً ، لا على الأساس الإسلامي ولا حتى على الأساس العلماني ولا على أي أساس ، المطلوب فقط هو إعادة هيكلة مجتمعاتنا بما يضمن الخضوع والانصياع الكامل للمشـروع الغربي الأمريكي الصهيوني، لا أكثر ولا أقل، ونلاحظ في هذا الصدد أن مشـروع الشـرق الأوسط الكبير الذي تم طرحه مؤخرا لم يكن مشروعا أو مبادرة؛ بل كان نوعا مـن الحكـم والعقاب أو عقد الإذعان فهو لم يناقش الحكومات المعنية ولم يهتم بأخذ رأيها ؛ بـل وضـع المشروع هكذا وعليهم التنفيذ، فضلاً عن أن أي مشروع للإصلاح ما لم يستند إلى إرادة شعبية حقيقية فلن ينجح.

وبدهي أن الممارسات الأمريكية والغربية مع شعوبنا تاريخيا وعقائديا ووجدانيا كلهـا تقود إلى نفرة الشعوب من أي شيء يأتي من هناك، أو على الأقـل الشـك فيـه والارتيـاب بمضمونه وأهدافه، ويكفي أن مشروع الشرق الأوسط الكبير اهتم بإدخال إسرائيل قسراً فـي المنظومة العربية الإسلامية، وهذا مستحيل حتى ولو استند إلى قوة هائلة لأنه ضـد حقـائق التاريخ والجغرافيا والدين والوجدان، وهكذا فإن مثل هذه المشروعات تولد ميتـة وأعتقـد أن الذين جاءوا بها يعرفون هذا ولا يريدون إلا نوعاً من الضغط على الحكومات بها للمزيد مـن الانصـياع والإذعـان والانبطـاح ووضـع الحكومـات فـي حالـة رد فعـل.

من جانب آخر؛ فإن الضجة الهائلة والتحليلات المستمرة في الصحف والفضائيات والجلسـات الثقافية والسياسية والاهتمام المبالغ فيه من الحكومات والمثقفين بالموضوع يعكس قدرا هـائلاً من الخلل، ولن يكون التفكير في الإصلاح مجديا إذا تم بناء على ضغط خـارجي، ومجـرد الرقص على أنغام الخارج هو في حد ذاته خلل كبير وأحد أسباب الفشل؛ نعم لقد تأخرنا كثيرا في الإصلاح ، نعم نحن في حالة مزرية، وهذه جريمة ارتكبتها الحكومات والقـوى السياسـية والجماعات الثقافية على حد سواء؛ فالحكومات أدمنت الاستبداد والفساد، وهذه جريمة تستحق عليه المحاسبة، والقوى السياسية لم تمتلك الشجاعة الكافية، ولا الرؤية الصحيحة لمواجهة هذا التحدي لا نستثني من ذلك أحد هذه القوى السياسية مهما كانت مستبعدة أو حتى تعرضت لقهر هائل، هو قهر غير مبرر وهو مجرم ويستحق الإدانة ولكن ذلك لا يعفيها من المسؤولية، ربما يقال مسؤوليتها ولكنه لا يعفيها من المسؤولية، والجماعات الثقافية ارتضت فـي مجملهـا أن تكون بوقاً للحاكم أو ترديدا ومرجعاً لصدى الخـارج، وبحثـت عـن المنـافع والمناصـب والمؤتمرات بالتقرب من المؤسسات الحاكمة أو عن الشهرة والجوائز بالتقرب إلى المؤسسات الغربية حتى لو كان الثمن مثلاً سب الدين أو التخلي عن الثوابـت؛ بـالطبع لكـل ظـاهرة استثناءاتها ولكنها استثناءات تؤكد القاعدة ولا تلغيها.

إذا تابعنا ردود الأفعال الحكومية تجاه مبـادرة الشـرق الأوسـط الكبيـر؛ نجـد أن الحكومات أصيبت فجأة بحمى الإصلاح والحديث عنه. والقول إنها كانت تؤمن به وتعـد لـه وتجهز أدواته ولكنها تحتاج إلى وقت، وهو كذب صريح (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عـدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين). ثم عادت تلك الحكومات تتحدث عن الخصوصية.. وهو حق أرادوا به باطل؛ لأن الخصوصية لا تعني الظلم والفساد والتعذيب في السجون وانتهاك حقوق الإنسان، ثم لاذت الحكومات بمجموعة من المثقفـين للتحـدث عـن الإصلاح وتضع لهم أجندات بهدف امتصاص الضغط الخارجي ليس إلا؛ وانبـرت جماعـات المثقفين كل يدلي بدلوه، وكأن الإصلاح، والقضاء على الفساد، وتحقيق الحريـات واحتـرام حقوق الإنسان أو حتى تداول السلطة وتغيير الدساتير مسألة صعبة، وهي ليست صعبة بالطبع، وهي خطوة ضرورية طبعاً، ولكنها لن تحقـق الإصـلاح هكـذا فجـأة وبعصـا سـحرية. وفي هذا الصدد يمكن أن نرصد مؤتمر المثقفين في مكتبة الإسكندرية، الذي تم طبعاً برعايـة حكومية سواء اعترف بذلك من اعترف أو أنكر من أنكر، ووصل المؤتمر إلـى عـدد مـن التوجيهات حول: الدعوة إلى تداول السلطة، وحرية تكوين الأحزاب السياسية، وإلى تحريـر الصحافة والإعلام، والتوقف التام عن اعتقال الناس في الدول العربية بسبب آرائهم، وإصلاح المؤسسات والهياكل السياسية والإدارية، والفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذيـة فصـلاً واضحاً صريحاً.. أو غيرها من التوجيهات التي كان من الممكن لطالب حقوق مثلاً أن يـدلي

بها بسهولة، ولو كانت المسألة ليست مجرد امتصاص الضغط الأجنبي لقال هؤلاء المثقفـون إنهم في حالة اعتصام مستمر وإضراب الطعام مثلاً حتى يتم الإفراج عن المعتقلين السياسيين في مصر، أو إلغاء قانون الطوارئ مثلاً. وهكذا فإن التصرف كرد فعل للضـغط الأجنبـي، وعدم الندم الثقافي على ما فرطنا في حق الوطن طويلاً وافتقادنا لدور المثقف كضمير للمجتمع ورائد للتغيير والتنبيه للمخاطر كزرقاء اليمامة لن يؤدي بالطبع إلى نجاح تلك الخلطـة غيـر السرية.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام هي أن مبادرة جماعة المثقفين بالإسكندرية لـم تتطـرق إلى موضوع الاحتلال الأمريكي للعراق والممارسات الإسرائيلية بخصوص الفلسـطينيين ، أو الـرفض الصـريح لقبـول إسـرائيل فـي منظومـة الشـرق الأوسـط. وهكذا؛ فإن هناك شبهات واضحة حول الهدف الحقيقـي مـن تلـك المبـادرات: الأهـداف الشخصية، والأهداف ذات الصلة بالحكومة، والأهداف ذات الصلة بإرضاء الأمريكان وتقـديم الـبعض أنفسـهم لهـم كبـديل.. وكلهـا تعرقـل الإصـلاح وتفقـده مصـداقيته. بقي أن نقول إن كل مبادرات الإصلاح من الخارج أو الداخل فشلت وستفشل لعدم إدراكها أن المنوط بالإصلاح هم الناس.. الأمة.. الجماهير، وأن هؤلاء ليسوا قِطَعاً من الحجر؛ بل لهـم تركيبهم الوجداني والعقائدي . جزء من هذا التركيب الحضاري والوجداني أننا أمة لا تـنهض ولا نصلح إلا بالمقاومة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ، وإننـا نـنحط علـى مسـتوى الاقتصاد والسياسة والحرية والاجتماع وكل شيء بترك المقاومة "ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا" ، وإن الطريق الصحيح للإصلاح يبدأ بمقاومة المشروع الأمريكي الصهيوني فـي المنطقـة، وبدون ذلك فإنه لن يكون إلا قبض الريح وحصاد الهشيم وبناء على غير أساس مهما كانـت المطالب والمبادرات والمؤتمرات والتوصيات براقة ولامعـة ، وحتـى لـو خلصـت نوايـا الحكومات والمثقفين والجماعات السياسية .. فبغير المقاومة لا إصلاح ولا تقدم ولا نهضة

أمريكا تطلب العالم لبيت الطاعة

د. محمد مورو

إما أن تكون مع الولايات المتحدة الأمريكية فأنت إذن فى محور الخير المطلق، أو لا تكون معها - حتى لو أردت أن تكون محايدا - فأنت فى محور الشر المطلق، ولا يوجد طريق ثالث.

والحقيقة أن فى المسألة نوعاً من الخطأ المقصود أو غير المقصود، فالمسألة لا علاقة لها بظهور مفاهيم جديدة، أو سيادة اليمين الأمريكي، أو ظهور نزعة عنصرية، ولكنه نوع من التطور الطبيعى له أسبابه الموضوعية فى البنية الأمريكية منذ نشأتها وطوال تاريخها وممارساتها انتهى لأسباب موضوعية أخرى إلى صعود اليمين الأمريكي، أو ظهور النزعة العنصرية الحالية، والرغبة فى الهيمنة على العالم وتقسيم العالم بهذه الطريقة البدائية، وانتهى إلى نشر القوات الأمريكية فى معظم أنحاء العالم والسعى للمزيد من نشر تلك القوات واحتلال العراق وإطلاق يد الإرهاب الصهيونى بلا حدود فى الموضوع الفلسطيني. نحن إذن أمام كيان عنصرى وامبريالى وامبراطورى منذ اللحظة الأولي، لأنه قام أساساً على فكرة تفوق الرجل الأبيض، وحقه فى السيطرة على أمريكا وإبادة سكانها الأصليين باسم الصليب وباسم التقدم وباسم رسالة الرجل الأبيض!! وهكذا فالعنصرية جزء لا يتجزأ من البنية الأمريكية منذ اللحظة الأولي، ثم الاسترقاق الواسع النطاق للسود الأفريقيين واستخدام سواعدهم فى بناء الاقتصاد والرخاء الأمريكي، وأمريكا باعتبارها وارثة القيم الغربية ما انفكت أن أصبحت مثل أوروبا عنصرية - استعمارية ، ولأنه كان هناك صراع مستمر، ونوع من توازن القوي، أدى إلى تضامن الدول الأوروبية فيما بينها على النهب والمستعمرات والأسواق، ثم تضامن المنظومتين الرأسمالية والاشتراكية، فإن الفرصة لم تأت أصلا لظهور المفاهيم الامبراطورية والعنصرية والاستعلائية المباشرة لعدم وجود المناخ الصالح ولا الانفراد لدولة واحدة، اللهم إلا فى حالات سبقت ظروفها الموضوعية ففشلت مثل ألمانيا النازية، أو إيطاليا الفاشية.

وعندما انتهى النفوذ الاستعمارى لمعظم الدول الأوروبية وسقط هذا النفوذ فى الفم الأمريكي، باستخدام وسائل قديمة وجديدة، ثم سقطت المنظومة الاشتراكية وتفكك الاتحاد السوفيتى السابق، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى الدولة الوحيدة المنفردة بالقوة فى العالم، فهى الأقوى عسكريا، الأغنى اقتصاديا، المهيمنة إعلاميا، ومع التطور الهائل فى

وسائل القوة والمواصلات كان من الطبيعى أن تتطور السياسات والمفاهيم بحكم الصـيرورة الطبيعية إلى المفاهيم الامبراطورية، ومحاولات غزو العالم الذى بدأ منذ حرب الخليج الثانية، ثم غزو أفغانستان ثم العراق..وهكذا.

فالمسألة لا علاقة لها إذن بصعود نوع من القوى السياسـية فـى أمريكـا، بـل إن الظروف الموضوعية هى التى أفرزت صعود تلك القوى والسماح لها بممارسـة برنامجهـا الامبراطوري، ولأن الولايات المتحدة الأمريكية دولة مؤسسات، فإنه حتى ولو كان الـرئيس غيـر الـرئيس والإدارة غيـر الإدارة، فـإن الأمـر لـم يكـن ليختلـف كثيـراً. ولعل هذا فى حد ذاته رد على هؤلاء الذين يقولون: إن أمريكا تغيرت، أو تنكرت لمبـادىء المؤسسين والآباء الكبار حين تمارس التمييز ضد العرب والمسلمين، أو تعاملهم بهذه الطريقة فى المطارات والموانىء، أو تقول ما تقول تبريرا لعدوانها المستمر على أكثر من دولة فـى العالم، والصحيح أن أمريكا هى أمريكا كما هى فى حقيقتها، وهذه هـى الصـورة الطبيعيـة والمتوقعـة لهـا فـى إطـار تركيبتهـا مـع إدراك الظـروف الموضـوعية. وإذا كان ذلك كذلك، فعلينا أن نبحث فى التوصيفات المختلفة التى تصف الحالـة الأمريكيـة، وإحدى هذه التوصيفات تقول: إن أمريكا تعيد عصر الامبراطورية الرومانية، وهذا صـحيح إلى حد كبير، فالامبراطورية الرومانية حققت نوعا من العولمة أو السيادة المطلقة على العالم القديم، لصالح وحساب الرومان فقط، وكان سكان الامبراطورية ينقسمون إلى سـادة رومـان وعبيد هم باقى السكان، ولغة التفاهم الوحيدة بين الطرفين هى الطاعة المطلقـة، أو العصـا الغليظة، وهو نفس الأمر فيما يخص أمريكا، وكذلك فإن العالم القديم كان يعيش فى ظل مـا يسمى بالسلام الرومانى وهو ما تريد أمريكا أن تفعله، بمعنى دخـول الجميـع فـى السـلام الأمريكي، وهو طبعا كما كان السلام الرومانى نوع من الخضوع الكامـل للقـوة الأمريكيـة ونمط الحياة الأمريكية وما تقرره أمريكا من إسقاط هذا النظام أو هذا الرئيس أو تجميد أموال تلـك الهيئـة أو غـزو ذلـك البلـد، أو تحديـد الطيـب مـن الشـرير!! والمشكلة أو الفارق النوعى هنا بين الامبراطورية الرومانية والامبراطوريـة الأمريكيـة، أن الأخيرة تمتلك أدوات قوة عسكرية واقتصادية ومواصلاتية أعلى بكثير جـدا ممـا امتلكتـه الأولي، وهذا يعنى أن الخضوع سيكون أكثر قسوة، ولكن فى نفس الوقت فإن الامبراطوريـة الرومانية كانت تواجه شعوبا وأمما فى طور التكوين ولم تكن شخصيتها الحضارية قد تبلورت بعد، وهذا سهل لها مهمة الإخضاع، وهو هنا على العكس، فإن الأمريكان يواجهـون أممـا وحضارات وثقافات مكتملة التكوين ولن يكون خضوعها سهلا، ولعل هذا بالتحديد ما يجعـل الولايات المتحدة تسابق الزمن لضرب الحضارة العربية الإسلامية فى القلب واحـتلال قلبهـا

بقسوة وكثافة، وكذا محاولات احتواء الصين وروسيا والهند، والسيطرة على البترول للـتحكم فى الاقتصاد الأوروبى والياباني، أى منع تلك الحضارات والقوى من الاستمرار وتقزيمها أو قتلها إن أمكن!

من المفيد هنا أن نتأمل الورقة الأمريكية أو التقرير الذى أطلق عليه البعض مـذهب بوش وهو تعبير حقيقى وواضح عن كل ما سبق، والوثيقة أو الاستراتيجية الأمنية الجديدة أو استراتيجية الحرب الوقائية أو سياسات الردع والاحتواء، والتى أصـدرها البيـت الأبـيض، وكتب مقدمة لها الرئيس بوش بنفسه، وساهم فـى صـياغتها كبـار العقـول الاسـتراتيجية الأمريكية، هذه الوثيقة تتضمن عدة مبادئ خطيرة، منها ضرورة العمل الوقائى ضد أى خطر على أمريكا، حقيقى أو محتمل، وأنه لم يعد بوسع الولايات المتحدة الانتظار كما كانت تفعـل فى السابق، لا نستطيع السماح لأعدائنا بتسديد الضربة الأولى لنا، وأن ذلك يعنى أن علينا أن نبادر بضرب أى خطر محتمل حتى لو أبدت الجهات الدولية الأخرى بما فيها الأمم المتحـدة معارضتها، وكتب بوش أيضا فى مذهبه الجديد من المسلم به وكإجراء دفاعى عن النفس فإن الأمريكيين سيتخذون إجراءات ضد تلك التهديدات المتنامية قبل أن تستكمل هذه الجهات بنـاء قوتها، وأنها لن تتردد فى التصرف منفردة وسوف تمارس حق الدفاع عـن الـنفس بـإجراء مسبق!! .. ووعد بوش بإجراء تغييرات هيكلية فى القوات المسلحة الأمريكية ليتسنى لها شن الحرب النبيلة المقدسة على الإرهاب والخطر المحتمل فى كل مكان آسيا وأمريكـا الشـمالية والجنوبية وأوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط .

وهكذا فنحن أما استراتيجية جديدة سوف تشكل تصرفات الولايـات المتحـدة لعقـود مقبلة، تقضى بأن أمريكا وحدها تحدد من هو الخطر عليها، الحقيقى أو المحتمل ومن حقها أن تضربه قبل أن يصبح خطرا، وهو مبدأ امبراطورى خطير يجعل تدخل الولايات المتحدة فى أى مكان لا يحتاج إلا إلى أن تقرر الولايات المتحدة ذلك فقط لا غير، وكذلك إصرار الوثيقة على أن الولايات المتحدة ستتصرف منفردة حتى لو عارضت ذلك الهيئات والجهات الدوليـة بما فيها الأمم المتحدة، بمعنى إما أن تصبح الأمم المتحدة بوقا وذيلا، وإما فلا حاجة لها، وهذا معناه أن أمريكا أعطت لنفسها الحق فى تحديد الخطأ والصواب، المشروع وغير المشـروع، وأعطت نفسها الحق فى تنفيذ ما تراه ملائما، ومعناه أن العالم كله مطلـوب لبيـت الطاعـة الأمريكي.

الوثيقة التى جاءت فى ٣٥ صفحة ومقدمة كتبها الرئيس بوش بنفسه أو بمعنى أصـح وقعها باسمه، حددت العدو فى أنه الإرهاب ومن يحمى أو يؤوى أو لا يقاوم الإرهاب، وهـذا

معناه كل العالم تقريبا، لأن الإرهاب يمكن أن يوجد حسب المفهوم الأمريكى فـى كـل مـن يعارض سياسة الولايات المتحدة أو يناهض الصهيونية مثلا، والتعريفات بـالطبع مطاطـة، واليوم على قائمة الإرهاب عشرات المنظمات وآلاف الأشخاص وغدا المزيد وهكذا، وهـى تهمة مطاطة طبعا تبرر العدوان اليوم مثلا على العراق وسوريا ولبنان والسـعودية وإيـران وباكستان واليمن والسودان وغيرها، فكل هذه الدول بها إرهابيون، وغدا مصـر والجزائـر والمغـرب وتـونس وجنـوب أفريقيـا وفنـزويلا وأندونيسـيا وهلـم جـرا!!

وإذا كان الإرهاب وحده لا يكفى فإن الوثيقة حددت دوراً أمريكياً فى نشر القيم الحضارية - الحرية وحقوق الإنسان - فى العالم ومناهضة الديكتاتوريات والتمييز الدينى وغيرها، وهـو نفس مضمون رسالة الرجل الأبيض الذى برر بها الأوروبيون استعمار آسيا وأفريقيا وتنظيم المذابح والتدمير والوحشية والنهب وتقطيع الأوصال، وهو نفس الأمر المتوقع على يد السـيد الأمريكى حامل شعلة الحرية، والحرية منه براء.

الوثيقة تشير بوضوح إلينا، كعرب ومسلمين، كأول هدف، ولكنها لا تنسى الصين - التى حسب الوثيقة تهدد جيرانها فى آسيا والمحيط الهادى من خلال تطوير قدراتها العسكرية المتقدمة، وأنه على أمريكا أن تسعى للحد من ذلك، وهو أمر يمكن القياس عليه، بأنـه غيـر مسموح لأى دولة فى العالم أن تبلغ مبلغا معينا مـن القـوة العسـكرية أو الاقتصـادية وإلا ستتعرض لتدخل الولايات المتحدة التى سوف ترى فى ذلك تهديدا للجيـران يجـب وقفـه!! الوثيقة بالطبع، تدعو إلى المزيد من فتح الأسواق، وحرية التجارة والانفتاح الثقافي، وهى كلها تعبر عن حقيقة السماح لأمريكا بأكبر قدر من النهب وتـدمير البنيـة الثقافيـة للحضـارات والشعوب الأخري.

الوثيقة واضحة لمن أراد أن يعرف إلى أين يسير العالم وماذا ستفعل أمريكا به اليوم أو غدا أو بعد غد.

فإما أن تكون عبداً لأمريكا وإما أن تستحق الموت أو العقاب.. وعليك أن تختار!!

الأصولية قلب الحزب الجمهورى

وحرب بوش الصليبية د. محمد مورو

عندما يستخدم الرئيس الأمريكى جورج بوش عبارات من امثال حـرب صـليبية ـ محور الخير والشر، الحرب التى يؤيدها الرب اوغيرها من العبارات فانه لايكشف فقط عـن عنصريته وسطحيته، ولكنه يمارس نوعاً من الدجل والمراوغة، ذلك انـه يحـاول اسـتخدام المسيحية والعبارات المقتبسة من الانجيل لتبرير عدوان بربرى وحرب همجية ستودى بحيـاة عدد هائل من البشر بلا مبرر حقيقي

الحقيقة فإن كلمة الصليبية منذ استخدامها على يد قادة الحمـلات الصـليبية الاولـى ١٠٩٦ ـ ١٢٩٥ جسدت ولاتزال هذا النوع من الدجل، فالصليبية هـى المسـيحية الغربيـة المزيفة، والمسيحية الغربية والشرقية وكل مسيحية حقيقية براء منها، وهكـذا فـنحن امـام مصطلح يسيء الى المسيحية ويجسد روح العنصرية الغربية وهو محمل بإيماءات تاريخيـة ومعاصرة سيئة بالضرورة والتعامل مع هذه الصليبية الجديدة، لايكون بتجاهل المصطلح كما يفعـل الـبعض والقفـز عليـه ولكـن بإدراكـه اولاً ووزنـه ثانيـا ومواجهتـه ثالثـا. وفى الحقيقة فإن التبرير المسيحى ـ والصحيح الصليبى ـ الذى يستخدمه جورج بـوش قـد اصبح حقيقة لاينكرها احد، ورصدتها ابحاث ودراسات وكتب ومجلات وصحف فى امريكـا وخارجها، واذا كانت مجلة دير شبيجل الالمانية قد استخدمت مصطلح او عبارة حرب جورج بوش الصليبية فإن مجلة نيوزويك الامريكية نشرت موضوعا عن نفس القضية تحت عنـوان بوش والرب وقد قام الكاتب كارين يوريش بتحليل مضمون عدد من خطب الـرئيس بـوش وتوقف امام الجمل التى تتحدث عن الايمان المسيحى الذى يغطى به جورج بوش جرائمـه، وهى تكشف فى نفس الوقت عن الخلفية العقائدية ـ الحقيقية أو المزيفة ـ التى تشكل البنيان التحتى لثقافة وأخلاق وتصورات جورج بوش والتى تؤثر بصورة او اخـرى فـى سـلوكه السياسي. ففى خطاب القسم الذى القاه فى ٢١/١/٢٠٠١، قال بوش بوسع مـلاك ان يركـب الزوبعة وان يوجه هذه العاصفة وهى جملة مقتبسة من كتاب ايوب وحزقيال، وفى خطابه الى الكونغرس ٢٠/٩/٢٠٠١ قال لطالما كانت الحرية والخوف والعدالة والوحشية فى حرب ونعلم ان الرب ليس على الحياد بينها ، وفى حفل تخريج دفعة عسكرية فى ١/٦/٢٠٠٢ فى اكاديمية ويست بيونت العسكرية قال نحن فى صراع بين الخير والشر وستسمى امريكا الشر باسمه ، وقد استنتج كاتب المقال كارين يوريش من ذلك الى ان تلميحات بوش عن الخير والشر التى تـــزداد باســـتمرار هـــو نـــوع مـــن التـــأثر بمـــا ورد فـــى الكتـــب المقدســـة.

وفى خطاب الامة ٢٩/١/٢٠٠٣ قال جورج بوش الحرية التى نناضل من اجلها ليست هدية امريكا الى العالم، بل هى هدية الرب الى البشرية وهى مأخوذة من انجيل يوحنا، وفى تعليقه على انفجار المركبة الفضائية كولومبيا ١/٢/٢٠٠٣ قال لم يعد طاقم المركبة كولومبيا الى الارض بسلام، ولكن بوسعنا ان نحمد الله على انهم رحلوا جميعا بسلام الى بيتهم . وهى عبارة تستخدم فى الجنازات المسيحية.

وترصد مجلة نيوزويك كذلك مداومة الرئيس بوش على قراءة عظات انجيلية قصيرة فجر كل يوم، اى انه يبدأ بها يومه المبكر، ويحرص على النوم مبكراً لتحقيق هذه العادة اليومية، والعظات الانجيلية مكتوبة بقلم مبشر مسيحى عسكري، وهو اوزوالد شيمبرز الذى صاحب الجنود الاستراليين والنيوزيلنديين الذين ذهبوا الى فلسطين عام ١٩١٧ لانتزاعها من يد الاتراك، وهو مايريد ان يفعله بوش بالعراق مثلا وفيما يستمر الحوار والجدال فى امريكا والعالم والامم المتحدة عن العدوان الامريكى على العراق ان الارهابيين يكرهون حقيقة ان نعبد الرب العظيم، بالطريقة التى نراها مناسبة ، وأن الولايات المتحدة الامريكية مدعوة الى ايصال هدية الحرية التى منحها الرب لكل انسان على وجه المعمورة ، وقال ايضا انه خلف كل حياة كل تاريخ يكمن هدف حددته يد اله عادل وامين وان صح ذلك فلا مجال لأن تفشل امريكا ، ويرى جورج بوش انه لم يكن ليصبح رئيسا لأمريكا لولا الرب . ويصف احد الذين يحضرون التقاء بوش بالمرشدين الروحيين وهو امر يتكرر كثيراً داخل البيت الابيض - تشارلز ستروبل - لا اتصور المسيح يدعو حشداً يهتف له الى الحرب كماى فعل الرئيس بوش .

وكانت علاقة جورج بوش الابن برجال الدين المسيحيين البروتستانت من هؤلاء الذين يتسمون بالتشدد ويعكسون تعصبا ضد الاديان الاخرى واهتماما بالنبوءات التى جاءت فى التوراة العهد القديم عن احداث نهاية العالم مما يسمى بالاصولية المسيحية قد توطدت خلال مشاركته فى حملة والده الرئاسية عام ١٩٨٨، وقد كان هؤلاء يشكلون فى ذلك الوقت الحركة الانجيلية المتصاعدة والمتدخلة فى الشئون السياسية، ثم اصبحوا فيما بعد قلب الحزب الجمهورى الذين اصبحوا الاكثر دعما لجورج بوش الابن، وقد لعب المبشر الواعظ بيلى جراهام دوراً هاما فى انطلاق جورج بوش، وحينما استعد جورج بوش لترشيح نفسه عام ١٩٩٩ جمع جورج بوش كبار القساوسة فى قصره لينال بركتهم وأخبرهم ان الرب دعاه لينشد منصبا ارفع، وعندما وصل الرئيس الامريكى جورج بوش الى البيت الابيض اصبحت الاجواء المهيمنة على مقر الرئاسة تتسم بجو من الصلاة، وصحيح ان وجود جماعة للصلاة فى البيت الابيض امر عادى تم فى ظل كل الحكومات على اساس ان هناك تأثيرا كبيرا للدين فى الحياة والسياسة الامريكية لدرجة ان الكاتب الانجليزى كين تشيستيرتون قد وصف امريكا

بأنها امة بروح كنيسة، الا ان المسألة تفاقمت فى ظل جورج بوش الابـن بصـورة مذهلـة، مجموعات تلاوة الكتاب المقدس باتت الآن فى كل زوايا البيت الابـيض، وزوجـة رئـيس الموظفين فى البيت الابيض اندروكارد قسة فى الكنيسة المعمدانية، اما والد مستشارة الامـن القومى كونداليزا رايس فكان مبشرا فى الاباما.

*****

وفى الحقيقة فان وجود وقوة اليمين المسيحى الاصولى فى امريكا ليس امـراً جديـداً الاصولية الانجيلية ، ولكن الجديد فى المسألة هو ان تلك الاصولية اصبحت هى قلب الحزب الجمهوري، وفى قلب مؤسسة الحكم وأثرت بالتالى فى المفـاهيم والاسـلوب، وصـحيح ان امريكا تحكمها مؤسسات تعبر فى النهاية عن المجمع الصناعى العسكرى الا ان هذا المجمـع يستخدم الآن منطق التبرير الدينى الصليبية الجديدة ويستخدم بالتالى نفوذ الاصولية الانجيليـة فى تبرير حروبه وعدوانه والتبشير بمفاهيم الامبراطورية العنصـرية الامريكيـة، وترصـد المؤلفة الامريكية جريس هالسل فى كتابيها اللذين ترجمهما الى العربية الاستاذ محمد السماك بعنوانى النبوءة والسياسة ثم يد الله قصة صعود هذا التيار وأثـره علـى الحيـاة الامريكيـة والسياسات الخارجية، ويفسر الكتابان كثيرا من المواقف الامريكية الخارجية خصوصـا مـا يتصل منها بالشرق الأوسط والصراع العربـى الصـهيوني، وتـرى المؤلفـة ان للتفسـير البروتستانتى للعهد القديم عن نبوءات نهاية العالم اثرا كبيرا على الموقف الامريكـي، نظـراً لتأثر المسئولين الامريكيين بتلك الرؤى والنبوءات، فمساعدة اسرائيل واجب ديني، وصـحيح ان هناك عنصرية امريكية ومسيحية تكره اليهود، ولكن ذلك يعبر عن نفسه بتجمـيعهم فـى فلسطين، اى التخلص منهم، وفى نفس الوقت فإن قيام اسرائيل مقدمة ضرورية لتحقيق نبوءة معركة هرمجدون، وفى الاطارنفسه يأتى العدوان على العراق، وتضـم تلـك الحركـة الآن حوالى ربع الراشدين من الشعب الامريكى تقريبا على حد تقدير وليم مارتن اسـتاذ العلـوم الاجتماعية فى جامعة رايز ويرى داميان طومبسون مؤلف كتاب نهايـة الوقـت – العقيـدة والخوف فى ظل الالفية ان نسبة نمو المسيحية الانجيلية فى امريكا تزيد على اى اتجاه دينـى آخر فى العالم ، ويقدر العالم الامريكى البروفيسور جون جرين من جامعـة اكـرون ان ٦٢ مليون امريكى يعكسون ايمانا بتلك الاصولية الانجيلية التى تريد دفع العالم الى الحـرب فـى معركة فاصلة يموت فيها ٣ مليارات من البشر ويموت فيها ٨ ملايين يهودى وهـذه العقيـدة ذاتها كانت موجودة لدى رؤساء امريكيين قبل بوش مثل جيمى كـارتر ورونالـد ريجـان، فالرئيس جيمى كارتر ديمقراطى كان يرى ان اقامة اسرائيل هو تحقيـق للنبـوءة التوراتيـة والتنفيذ الجوهرى لها، وكان الرئيس ريجان من اكبر المؤمنين بنبوءات التوراة لدرجة انه كان

يرى انه سيشهد بنفسه معركة هرمجدون وقد ظل ريجان رئيسا لأمريكا ثمانى سنوات وكـان الاكثر شعبية بين الرؤساء منذ فترة طويلة. وهذا اليمين الدينى الامريكى عموما والبروتستانتى خصوصا يرى ان هناك واجبا دينيا على كل مسيحى ان يدعم اسرائيل، وانه اذا فشـلنا فـى حماية اسرائيل فلن نبقى مهمين فى نظر الله .

******

اذا كان هذا التفسير الخاطئ والعنصرى والدموى للعهد القديم يقود خطى قطاع كبير وفاعل من الامريكيين - بمن فيهم رؤساء - ، ويقود الى حد كبير خطى الرئيس بوش ويقدم له التفسير والتبرير اللازم للاستمرار فى العدوان فإن من البديهى ان ذلك لايتفق مع تعـاليم المسيح ولا يتفق مع اى دين او أخلاق، لأن تصوير الامر بهذه الصورة يعنـى ان المسـيح جنرال دموى بخمسة نجوم، وفى رأى الدكتور جيمس. ر. جراهام وهو مربٍ ولاهـوتى ان نظام التفسير الاصولى الانجيلى البروتستانتى هو نظام جديد لتفسير النبوءات لايزيـد عمـره على ١٥٠ عاما وهذا يعنى ان كنيسة المسيح لم تأخذ بوجهة النظر هذه طوال ١٨٥٠ سـنة، وهذا النظام التفسيرى يقضى على وحدة الكتاب المقدس ويظهر الله بصورة غير عطوفة على الانسانية ولا محبة لها، وأن هذا ينتهك معنى المسيحية، ويحول المسيحيين الى رهـائن لمـا يفعله يهود اليوم أوما لايفعلون، وان هذا التفسير يضع اسرائيل فوق الكنيسة وفـوق تعـاليم المسيح ذاته وأن هذا التفسير لايمت بصلة الى الكتاب المقدس

مستقبل الاحتلال الأمريكي للعراق

د/ محمد مورو

في تحليل لا يخلو من الدلالة، توصل الخبير العسكري الصهيوني زئيف شيف إلى أن الجيش الأمريكي قد مني بالهزيمة في العراق على يد المقاومة العراقية، وأن آثار تلك الهزيمة سوف تكون بعيدة المدى وستؤثر على إسرائيل أيضا. وقال المحلل العسكري الإسرائيلي: "إن سيطرة الجيش الأمريكي على المدن الكبيرة قد أصبحت أضعف مما كانت عليه منذ عام، وأن الوحدات العسكرية العراقية التي شكلتها أمريكا في العراق قد تفككت وانضم عدد من أفرادها إلى المقاومة، وأن التنقل بالطرق بين المدن العراقية بات أقل أمانًا، وأن الاتصالات اللاسلكية بين قوات الجيش الأمريكي ومختلف المراكز تتعطل باستمرار، وإذا ما تقوقع الأمريكيون في معسكرات بعد قيام الإدارة العراقية فإن الأراضي العراقية بين المدن العسكرية سوف تكـون في أيدي الثوار، وأن مثل هذا التدهور يذكرنا بوضع الفرنسيين في مرحلـة مـا فـي الهنـد الصينية، وأنه إذا فقد الأمريكيون تأييد الغالبية الشيعية؛ فإن حربهم في العراق سوف تصـبح مشكلة المشاكل، وأن الإدارة الأمريكية يبدو عليها التخبط الاستراتيجي، وبعد لجوء واشـنطن للأمم المتحدة لكي تساعدها في الخروج من مأزقها بالعراق لم يعد واضحا ما الذي ينبغـي أن يعتبر كنصر أمريكي، ولا يقل في ذلك أهمية تقييم وتقدير الدلالات الاستراتيجية في حالة مـا سجل إخفاق ذريع للأمريكيين بالعراق، إنها ستكون دلالات كونية بعيدة المدى سـوف تـؤثر على إسرائيل أيضا".

الفشل الأمريكي ..حقيقة معروفة

الهزيمة الأمريكية في العراق أو الفشل الأمريكي الذريع فـي العـراق بـات حقيقـة معروفة يعترف بها كبار القادة والمحللـين فـي أمريكـا ذاتهـا وفـي إسـرائيل" الحليـف الاستراتيجي". يعترف بها البعض مباشرة -خارج الإدارة الأمريكية- ويتحـدث بهـا داخـل الإدارة الأمريكية كبار رموزها ولكن بطريقة غير مباشرة؛ فالرئيس الأمريكي جورج بوش لم يعد يتحدث عن انتصار أمريكي؛ بل عن تبرير استمرار الجـيش الأمريكـي فـي المسـتنقع العراقي رغم الفشل قائلاً "إن الجيش الأمريكي صامد في العراق، ولن يتركها للإرهابيين ولن يفر أمام الأشرار"، وهو بهذه الطريقة يخاطب طرفين: الطرف الأول هو الجمهور الأمريكـي

على أساس أن الخسائر الكبيرة في العراق ثمن لعدم انتصار الإرهـابيين، وبالتـالي تشـكيل مخاطرة كبيرة على أمريكا في الخارج والداخل أيضا، أي أن الجـيش الأمريكـي يخـوض المعركة ضد الإرهاب خارج الأراضي الأمريكية بدلاً من خوضها داخل أمريكـا، وبالتـالي فعلى الجمهور الأمريكي تحمل الخسائر وانتظار النعوش العائدة. والطرف الثاني: هم العملاء في العراق حتى لا ينهاروا فجأة عند إحساسهم باقتراب الانسحاب الأمريكـي مـن العـراق وتركهم في العراء أمام الشعب العراقي الثائر عليهم ليواجهوا عقوبة الخيانة، وهـو إحسـاس أصـبح قويـا لـدى الأطـراف المتعاونـة مـع أمريكـا فـي العـراق. أمريكا تحاول التخلص من الفشل بأكثر من طريقة، وكل هذه الطرق فشلت أو محكوم عليهـا بالفشل؛ فليس هناك تغيرا نوعيا مثلاً إذا ما كان من يحكم العراق لحساب أمريكا هو مجلـس الحكم أو الحكومة المعينة من الأمم المتحدة، أو حتى حكومة منتخبة؛ فإذا انسـحبت القـوات الأمريكية إلى قواعد داخل المدن، فأيا كان الوضع السياسي العراقي؛ فإن الثوار سيسـيطرون على المدن والطرق، ويصبح مأزق الأمريكان في قواعـدهم أسـوأ، وإذا اسـتمرت القـوات الأمريكية داخل المدن فإن شيئًا لم يتغير، وسواء كانت سلطات الاحتلال تدار مـن المنطقـة الخضراء أو من سفارة ترفع العلم الأمريكي فإن شيئًا لم يتغير، ولا تنطلي هذه اللعبـة علـى المقاومة.

تصاعد المقاومة

والمقاومة بدورها تزداد قوة مع التخبط الأمريكي الاستراتيجي، ومع كـل محـاولات التجريب من مجلس انتقالي، إلى حكومة معينة، إلى حكومـة منتخبـة؛ فالأوضـاع الأمنيـة والاقتصادية تتدهور. وهذا يؤثر على كل الشعب العراقي سنة وشيعة وغيرها، وكل هذا يصب لصالح المقاومة، والتململ داخل الشيعة وظهور قوى شابة مثل الصدريين (نسبة إلى مقتـدى الصدر). وأيا كانت درجة ترددها فإن سقوط الضحايا من الشيعة مـع الأزمـة الاقتصـادية والسياسية سيدفع القطاع الأكبر منهم للخروج على قيادات الحوزة الصامتة باتجاه المقاومـة، وهو أمر خطير جدا، بالنسبة للأمريكان، والحديث عن حكومة إفساد أو القضاء على اسـتبداد النظام السابق لم يعد حديثًا جديا، لا داخليا ولا خارجيا بعد فضيحة التعذيب الأمريكي للمعتقلين العراقيين في السجون العراقية، وخاصة سجن أبي غريب، أما اللجوء إلى الأمم المتحـدة، أو محاولة توريط أطراف عربية أو دولية في المستنقع العراقي؛ فإن الأمر قـد فـات وانتهـى، والجميع يخشـى ثمنًـا باهظـاً إذا فعـل ذلـك علـى يـد المقاومـة العراقيـة الباسـلة. على كل حال فإن مظاهر وأعراض الفشل الأمريكي باتت واضحة، ولعل من أهمها الخلافات

والصراعات داخل معسكر الأمريكان أنفسهم (الصدام مع الجلبي مثلاً) وهو نوع من التعبير عن الضيق الأمريكي بالذين ورطوهم في المستنقع.

الانسحاب.. ليس سهلاً

ولكن؛ هل ينسحب الأمريكان؟ الأمر ليس بهذه السهولة، وإذا كانت كل العناصر التكتيكية تقول إن الانسحاب الأمريكي من العراق بات محتوما، فإن هناك عوامل استراتيجية أخرى تعطل صدور هذا القرار من المؤسسة الأمريكية الحاكمة "وهي فوق الحزبين الجمهوري والديمقراطي على حد سواء وأقوى من أي رئيس أمريكي" . هذه العوامل الاستراتيجية لا تتصل بهيبة أمريكا مثلاً أو خسارة الحرب ضد الإرهاب؛ فهذه أمور يمكن احتمالها، ولكنها تتصل بمستقبل إسرائيل، ومن المعروف أن اللوبي الصهيوني قام بدور كبير في جر إدارة الرئيس بوش إلى غزو العراق، وبديهي أن هذا اللوبي لا يريد الانسحاب الأمريكي من العراق؛ لأن ذلك معناه انتشار روح عالية من المقاومة إلى داخل فلسطين والعرب والمسلمين ما يشكل أكبر الخطر على وجود إسرائيل ذاته، وكذلك فإن القوى الحاكمة في الغرب عموما، وفي أمريكا خصوصا ترى أن الانسحاب من العراق يعني خسارة الغرب كله وليس أمريكا أمام العرب والمسلمين، الأمر الذي لم يحدث منذ مئات السنين، وربما يؤدي إلى بداية صعود المسلمين ونهاية الغرب.

وفي هذا الصدد فإن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عبر عن نفس المعنى بقوله: "إن معركتنا في العراق معركة استراتيجية يجب أن ننتصر فيها بأي ثمن"، وقوله: "لو قدر لبريطانيا الانسحاب من العراق فإن المتشددين سيطلبون خروج القوات الأجنبية من أفغانستان، ومن ثم الشرق الأوسط كله"، وقوله: "إن هزيمة أمريكا في العراق هزيمة للغرب كله". ثم قول هنري كيسنجر -أحد حكماء الغرب-: "هل تعرفون معنى الهزيمة في العراق؟! إن معناه خسارة الغرب لكل ما حققه في خمسة قرون".

الفلوجة تكتب المستقبل

د- محمد مورو

ليس هناك مكان في العالم أجمل من الفلوجة، وليس هناك مدينة عربية في جمال تلك المدينة الساحرة، وليس هناك من المجاهدين أو المناضلين من ترتفع قامتهم إلى قامات رجال الفلوجة ولا نسائها ولا أطفالها.. تقف الفلوجة -مدينة المآذن الشامخة- المجاهدة بين مدن مثل حطين وعين جالوت وترتبط بحبل سري بجنين، ولذا فإن المناضلين الفلسطينيين الذين خرجوا في مظاهرات تضامن مع المقاومة العراقية كانوا على حق حين قالوا إن بغداد هـي القـدس والفلوجة هي جنين، وإذا كانت جنين هي مدينة الصمود والملحمة في وجه الاجتياح الفلسطيني فإن الفلوجة تجاوزت كل المدن الرائعة والجميلة، ونحن لا نقلـل مـن جهـاد أهـل جنـين وبطولاتهم ولا الثمن الغالي الذي دفعوه من الشهداء والجرحـى والمبـاني المهدمـة والألـم والحصار، ولكن للفلوجة سياق آخر ومذاق آخر؛ إنها صمدت أمـام أكبـر آلـة عسـكرية استكبارية في التاريخ.. لم تقاتل وتقتل الكثير من الأمريكيين فقط ولكنهـا استعصـت علـى السقوط زمنا أطول من أي زمن آخر ومكان آخر، ولذا فإن الفلوجة عروس المجاهدين وقلعة الإسلام ومفخرة العرب في كل زمان ومكان.

الفلوجة هي المكان الأكثر زخما في المقاومة العراقية منذ بدأت هذه المقاومة، ولـيس في الأيام الأخيرة فقط، وكانت الفلوجة دائما هي ترمومتر المقاومة ومقياس الصمود العراقـي أمام جحافل الغزو الأمريكي البغيض.. الفلوجة هي أكثر الأماكن العراقية حتى الآن اشـتباكا مع الأمريكان أو تكبيدهم الخسائر، وتكاد تكون المدينة العراقية الوحيدة المحررة منـذ بـدأت المقاومة؛ حيث دائما ما اضطرت القوات الأمريكية إلى الخروج منها والاستقرار في مواقـع خارج المدينة منذ وقت طويل، وهي المدينة التي قدمت كل أنواع المقاومة من مهاجمة قوافل العدو أو إسقاط مروحياتـه أو حـرق مركباتـه أو عمـل كمـائن علـى الطريـق...إلـخ مدينة الفلوجة التي يبلغ عدد سكانها ٢٠٠٠٠٠ نسمة استطاعت أن تهزم أمريكا.. نعم تهـزم أمريكا؛ لأنها استعصت دائما على الخضوع لأمريكا وقوات أمريكا ولنا أن نتصور مقاومـة أهالي الفلوجة– المدينة الصغيرة– إذا تكررت في كل مكان بالعراق؛ فإذا كان عـدد سـكانها ٢٠٠٠٠٠ أي حوالي ٨% من عدد سكان العراق، أي أن سكان ومدن العراق لو فعلت مثـل

الفلوجة لخرج الأمريكان بعد يوم واحد؛ حيث لا طاقة لهم بهذا النوع من المقاومة ولا تحمل مثل تلك الخسائر، وهكذا فإن المثلث السني العراقي هو رأس المقاومة وعمودها الفقري، والفلوجة هي ذروة سنام المقاومة بلا منازع؛ ولذا فإن الحقد الأمريكي عليها لا يوصف، وهذا يوضح ويبين لماذا تعرضت الفلوجة للحصار والضرب بطائرات الـ"إف ١٦" والهليوكوبتر وبالدبابات والصواريخ وبكل شيء تقريبا.

بداية السقوط الأمريكي

الفلوجة تكتب المستقبل بالفعل لأن مثل المقاومة العراقية هو الفعل العربي الإسلامي النبيل الأكبر والأبرز، والفلوجة هي عنوان تلك المقاومة، وعلى المستوى العراقي؛ فإن الفلوجة هي من رفعت هامات العراقيين، وأعادت إليهم العزة والفخار والاستعلاء، ولذا فهي قاعدة المستقبل والاستقلال للعراق، وعلى المستوى العربي والإسلامي؛ فإن الفلوجة هي عنوان المقاومة العربية والإسلامية ضد المشروع الأمريكي، وهي الجزء الحي في الجسد العربي مع أجزاء أخرى طبعا، ولكن الفلوجة هي الأكثر حيوية؛ وبالتالي فإن إعادة الحيوية إلى الجسد العربي الإسلامي وإقلاعه من وهدة الانحطاط والمرض يبدأ من الفلوجة، ولن يكون غريبا أن يقرأ أحفادنا في المستقبل المتوسط أو البعيد أن عصر العالمية الإسلامية الثانية بدأ من الفلوجة، أو أن المنحنى الإسلامي الذي كان هابطا قبل ظاهرة المقاومة العراقية قد بدأ انقلابه باتجاه الصعود من جديد في مدينة الفلوجة الباسلة بدءا من عام ٢٠٠٣- ٢٠٠٤؛ بل يمكن أن يؤرخ لبداية السقوط الأمريكي ونهاية مشروع الاستكبار الدولي والمخطط الصهيوني الأمريكي على أرض الفلوجة، وانطلاقًا منها، وهكذا فالفلوجة هي رمز عراقي ورمز عربي ورمز إسلامي ورمز عالمي له شأنه وأي شأن.

ومن البدهي أننا لن نفعل مثل الآخرين ونبكي على الفلوجة وشهداء الفلوجة والمجازر الأمريكية في الفلوجة وقصف المساجد والمباني وتدمير البيوت والأشجار والمدارس.. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتحققوا الكرامة والعزة بدون شهداء وضحايا؟!

فريضة الدم

ومهما كان عدد الشهداء والضحايا والخسائر والآلام؛ فإنها فريضة الدم والاستشهاد وهي فريضة لابد منها؛ بل هي شرط النصر والصمود والصعود والإقلاع- بإذن الله تعالى-. وإذا كانت جنين وأمثالها هي النموذج لقدرة الإنسان على مواجهة الآلة؛ فإن الفلوجة هي

الأكثر وضوحا والأعمق في هذا الإطار لأنها مدينة صغيرة "٢٠٠ ألف نسمة" وهـي تواجـه أكبر قوة غاشمة في التاريخ وليس بعد أمريكا قوة حتى الآن، وبالتالي فإن درس الفلوجة هـو الدرس الأوضح الذي لا يمكن بعده أن يكابر أحد أو يغالط أحد في أننـا أمـة قـادرة علـى المواجهة والصمود، وأن أصغر قرية في العالم وبالذات العالم العربي والإسـلامي لأسـباب حضارية وثقافية ودينية مرتبطة بالجهاد والاستشهاد قادرة على مواجهة أمريكـا والصـمود أمامها؛ بل وإنزال أكبر الأذى بأمريكا، وبالتالي؛ فإنه يمكن أن نؤرخ بما قبل الفلوجة، وما بعد الفلوجة حيث ستصبح نموذجا يقتدى لكل المدن والقرى والجماعات البشـرية الطامحـة إلـى مواجهة الاستكبار الدولي ومناهضة أمريكا..إن الفلوجة هي عزنا جميعا؛ ولذا فهـي تسـتحق الدعم العراقي والدعم العربي والدعم الإسلامي؛ بل والدعم العالمي لأنها اختارت لنفسـها أن تكون رأس الرمح في مشروع المقاومة والنهوض العراقي والعربي والإسلامي والعالمي.

مفاوضات خاطئة

من العناوين الخطأ والممارسات الخطأ يمكننا أن نرد ما سـمي بوفـد المفاوضـات العراقي الذي تكون من بعض أعضاء مجلس الحكم الانتقالي -ذراع أمريكا في العـراق- أو بعض المنتسبين للأحزاب الإسلامية أو بعض علماء الدين ورغم ما يمكن أن يقال عن حسـن النية في هذا الصدد؛ فإن الوساطة والمفاوضات هنا هي الطريق الخطأ ذلك أن الفلوجة حـين اختارت طريق الجهاد والمقاومة؛ فإنها كانت تعرف أنها صعدت الجبل والطريـق الصـعب، وأن الفلوجة حين فعلت ذلك لم تكن تتصرف كرد فعل - مثلا- على اعتقال زعـيم مـا، أو البحث عن مقعد في مجلس الحكم أو طلب إصلاحات أو مكاسب فئوية أو غيرها، ولكنها كانت هي المبادأة بالجهاد والثورة؛ وبالتالي فبأي وساطة وعلى أي أرضية يمكننا أن نتحـدث عـن هدنة صحيحة أو خاطئة؟ وهذه الهدنة في رأينا هي ما يحتاجه الأمريكـان لالتقـاط الأنفـاس وإحضار المزيد من التعزيزات؛ وبالتالي فالوساطة بهذه الطريقة مهما كانت النوايا طيبة هـي ممارسة غير صحيحة؛ وتفتقر إلى الرؤية الاستراتيجية الصحيحة، وإن كان لا بد من جهد فهو جهد الدعم بلا حدود ولا شروط وإشعال الأرض تحت أقدام الأمريكان في كل مكان بـالعراق لتخفيف الضغط على الفلوجة وليس شيئًا آخر.

ارفع رأسك فأنت في الفلوجة

تكتب المدن عادة في مداخلها مرحبا بك في مدينة كذا ولكن الفلوجة وحدها وهذا مـن حقها كتبت في مداخلها "ارفع رأسك فأنت في الفلوجة" ومن حق الفلوجـة أيضـا أن يصـفها

الكتاب والصحفيون الذين كتبوا عنها بأنها قلعة الأسود أو أن تصـفها صـحيفة "الجارديـان" البريطانية بأنها مقبرة الأمريكان، وإذا كان الأمريكان قد اعترفوا بـ ٧٠ قتيلاً وعدد أكبر من الجرحى في مواجهة ٦ أيام فقط في الفلوجة وإذا كانـت العربـات والـدبابات والطـائرات المروحية المحطمة في مداخل الفلوجة وحولها وداخلها كلها تشهد بشراسة المقاومة ونجاحاتها الهائلة؛ فإن ظهور المقاتلين في الفلوجة يمسكون المصحف الشريف بيد والبندقية أو أي سلاح باليد الأخرى هو دلالة هامة على البعد الإسلامي والعقائدي في الصراع ضد أمريكـا، وهـو شرط ضروري للصمود والانتصار.. فمن العناوين العلمية البحتـة -وفقًـا لعلـوم السياسـة والاجتماع- فإن طبيعة التحدي وطبيعة العدو وطبيعة المعركـة تقـول إن غيـاب العامـل الإسلامي في أي مواجهة كفيل بفشلها؛ لأن طبيعة المعركة تفرض ذلك بالإضافة إلى مدد الله تعالى الذي يأتي للمؤمنين المجاهدين الذين بذلوا كل الجهد، والحديث عن مدد الله تعالى فـي الفلوجة أصبح حديثًا متواترا لدرجة أنه حتى الصحف ذات الميول غير الإسلامية باتت تعترف به، وتنقله على لسان المقاتلين في الفلوجة من قبيل الأمانة الصحفية. وقـد رصـدت وسـائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة أن الأمهات يحرضـن الأولاد علـى الجهـاد ضـد الأمريكان ويدفعنهم قائلات: "اذهب وعاون أباك..اذهب قرب أخيك.. الله أكبر.. إلى الجهـاد لقتل وطرد الأمريكان" والمساجد كلها تكبر وتدعو إلى الجهاد وتقرأ سورا من القرآن الكريم، وخطبة الجمعة في الفلوجة ومنذ فترة طويلة كانت بمثابة الشرح السياسي لبرنـامج المقاومـة العراقية في كل العراق، وليس في الفلوجة وحدها، وقد تم اعتقال أكثر من إمام وخطيب وشيخ في الفلوجة على يد قوات الاحتلال منذ بدء المقاومة.

وهكذا فإن المواقف كلها تقود إلى المقاومة والصمود الناجح، ولم يكن غريبا أو عجيبا أن تصل التعزيزات بالآلات من قوات العدو لتشديد الحصار على الفلوجة ومحاولة اقتحامها.

بعد صمود الفلوجة كل هذا الوقت حتى لو سقطت لا يمكن الحديث عن القضاء على المقاومة العراقية، وبعد ممارسات أهل الفلوجة وما صدر عنهم من مواقف وبيانات وخطب جمعـة لا يمكن الحديث عن أن مشروع المقاومة هو مشروع حرب أهلية أو طائفية أو مسـألة إعـادة النظام السابق أو إعادة الديكتاتورية أو غيرها من محاولات تشويه الوجه الجميل والمضـيء للمقاومة، وإذا كانت الفلوجة معروفة بمدينة المساجد، وعلماؤها من أبرز من شارك في الثورة العراقية ضد الاحتلال الإنجليزي في عشرينيات القرن الماضي فإنه حري بها أن تحمل شعار المقاومة والصمود

مستقبل الحركة الإسلامية فى مصر

د. محمد مورو

النقد والنقد الذاتى واجب اسلامي، فالتوبة الفردية التى يمارسـها المسـلم او طلـب المغفرة والاستغفار، نوع من النقد الذاتي، والتوبة الجماعية التى يمارسها المسلمون فى صلاة الجماعة او فى الحج او غيرهما من المناسك هى نوع من النقد الذاتى ايضا، والتوبـة هنـا، سواء الفردية او الجماعية ليست مجرد التوبة عن الخطايا والذنوب الاخلاقية فقط، بـل هـى التوبة ايضا عن الاخطاء الاجتماعية والسياسية ايضاً، والآيات التى نزلت بعد غزوة احد مثلاً هى نوع من التحليل النقدى لأسباب الهزيمة، وقيام احد الصحابة فى غزوة بـدر - اى فـى معركة وفى اشد حالات الطوارئ - يلفت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم الـى ضـرورة تغيير موقع نزول المقاتلين للسيطرة على الماء هى نوع من النقد والمراجعـة التـى تؤكـد ضرورة ذلك لأنها تمت فى حالة الحرب، ومع قيادة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى وجود كبار الصحابة، والخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمارس النقد الذاتى علناً مـن فوق المنبر أمام جموع المسلمين قائلا اصابت امرأة وأخطأ عمر وهذه الحادثة ايضا تدل على ان من حق ومن واجب الرجال والنساء نقد الحكام علنا مع مـا فـى ذلـك مـن احـراج! والمسلم مرآة اخيه، ورحم الله امرأ اهدى الي عيوبي، وهذه دعوة الى النقد، والنقد يكون سرياً او علنيا فرديا او جماعيا على مستوى الفرد والمجتمع والحركة والامة.

نحن نؤمن بأن مستقبل هذه الامة، بل مستقبل العالم كله مرتبط بالاسـلام والحركـة الاسلامية، فالاسلام هو وجدان الامة ومحركها، وهو دينها وثقافتها وحضارتها، ولن تتحـرك تلك الأمة وبالتالى تواجه التحديات او تتقدم او تخرج من ازمتها الطاحنة، الا بالاسلام كدين، وكثقافة وكحضارة وكأيديولوجية ايضاً، واذا كان الاسلام كذلك، فان الحركة الاسـلامية مـن المفروض ان تكون طليعة هذه الأمة والمعبر عن وجدانها، وقاطرة للتغيير وخميرة النهضة، وبالتالى فإن برنامجاً صحيحاً واستراتيجية صحيحة، وتكتيكا صحيحا ضرورة من ضرورات تلك الحركة، وضرورة من اجل مستقبل الأمة، وكذلك فان الاسلام كمنظومة فكرية وسياسـية واجتماعية قادر على حل مشاكل العالم، وقادر على انقاذ المهمشين والمستضعفين وقادر على وقف الاستكبار والظلم فى العالم، وهو البديل المرشح الآن بعد فشل الماركسـية لأن يكـون ايديولوجية الفقراء والمستضعفين فى مواجهة الاستكبار العالمي. ولأن الأمر كذلك فان الحركة الاسلامية تحتاج الآن بالتحديد لنوع من النقد والنقد الذاتي، يمارسه ابناء الحركـة فـرادى او

مجتمعين، او الاستفادة من التجارب والخبرات وطرح الاسئلة الصريحة والقاسية والبحث عن الخلل وتحديده وعلاجه.

ومن هذه الاسئلة.. هل وصلت الحركة الاسلامية فى مصر الى طريق مسدود ولماذا لم تصل الى اهدافها بعد كل هذا الزمان وكل هذه الجهود والتضحيات، هل كان الخلـل فـى المنهج او فى الممارسة، أو فى عدم كفاءة القيادات وهل كانت الاطروحـة الفكريـة نفسـها صحيحة، ولابد ان نقول هنا أن ماسوف نقدمه من نقد او تحليل فى هذا الاطار هو نوع مـن الاجتهاد بمعنى انه رؤية فيها صواب وخطأ والعظمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، ويجب ان نقول هنا ايضا، ان التركيز على الاخطاء والخطايا لايعنى ان ا لحركة لم يكن لهـا منجزات او ايجابيات، بل لها الكثير بالطبع، ولا يعنى ايضا ان اسباب الفشل كانت فقط بسبب العوامل الداخلية ولكن ايضا كان هناك عوامل خارجية بعضها عالمى وبعضها محلـى مـن مؤامرات ومطاردات وتضييق وغيرها، ولكن مع كل قسوة ذلك، فاننا نرى ان لا حركة هناك تهزم من الخارج مهما كانت التحديات، بـل تـأتى الهـزائم عـادة مـن الخلـل الـداخلي. سنحاول الاجابة عن السؤال المطروح بقوة الآن على الساحة، وهو هـل وصـلت الحركـة الاسلامية ـ وتحديداً فى مصر ـ الى طريق مسدود، ونجيب بصراحة نعم لأن الحركة بكل تياراتها لم تعد قادرة على تطوير نفسها او معاودة الانتشـار او الوصـول الـى اى نتـائج استراتيجية، بل بعضها اعترف بخطئه فى مجمل ممارساته السابقة، وهو اعتراف يدل علـى الشجاعة، ويدل على ممارسة المراجعة والنقد الذاتى الجماعي، وهو امر محمود بالطبع، ولكن الطريقة الفكرية التى تمت بها المراجعة وكذلك الاراء التى وصلت اليهـا تلـك المجموعـة لمواجهة المستقبل والحاضر تعبر فى جانب منها عن نفس الأزمة الفكرية، اى انهـا قـرأت الواقع خطأ مرتين، وليس هنا مجال مناقشة ارائها الجديدة نقطة نقطـة، ففيهـا الكثيـر مـن المنطلقات الصحيحة والبديهيات التى كانت غائبة ولكنها افتقرت الى تحديد الخطـأ المنهجـى الذى هو اصل الفشل والتخبط فى كل الحركات والممارسات، ومن ثم وقعت فى اخطاء فادحة اخرى عند تطبيق مفاهيمها الجديدة على الواقع الحالى والمستقبل.

والخطأ المنهجى اذا ما تم وضع اليد عليه، فسوف يريحنا كثيراً من القضايا الجانبية، فالعيب لم يكن فى مشروعية الحركة كما يزعم البعض، ولا فى عدم كفـاءة القـادة او عـدم اخلاصهم او انتهازية بعضهم، ولا فى التقاعس عن تقديم التضحيات، ولكنه كان خطأ بنيويا، ذلك ان الحركة لم تسأل نفسها فى البداية، من نحن، وماذا نريد، وعلى اى ارضية نتحـرك؟ هل نحن دين جديد، ام فرقة دينية جديدة، ماهى العلاقة الصحيحة مع الأمـة والمجتمـع، او سألت نفسها اسئلة من ذلك النوع واجابت اجابة خاطئة عليها، ولاشك ان هذا الخلل البنيوى لم يؤد فقط الى الوصول الى طريق مسدود، بل ادى الى ظهور جماعات وتيارات وممارسـات

وأفكار متطرفة، ذلك ان عدم اتخاذ الموقف الصحيح سوف يؤدى الى ظهور انحرافات علـى الجانبين تهاون ـ تشدد .

وبديهى ان الحركة الاسلامية ليست دينا جديدا، بل هى ملتزمـة بمـا اسـتقر عليـه المجموع من عقائد وقضايا وأفكار، وبديهى ان الحركة الاسلامية ليست فرقة دينيـة جديـدة، فالواقع لايحتمل ظهور فرق دينية جديدة، وبالتالى فهى ليست متميزة عن الامة لا فى العقائـد ولا فى الافكار، وهكذا فهى ملزمة فى مصر مثلاً بالعلوم الاسلامية كما يمثلها علماء الازهر، وان كان لبعض العلماء داخل الحركة او خارجها اعتراضات على بعض القضايا، فصـحف الحركة وأدبياتها واجتماعياتها ليست مجالا لمناقشة هذا الخلاف، بل الخلاف علـى القضـايا العلمية يكون داخل معاهد العلم ومن خلال العلماء، والحركة لاعلاقة لها بهذا من قريـب او بعيد، وهذا يدفعنا الى الاجابة عن السؤال: من نحن، والمفروض اننا جزء من هـذه الأمـة، قررنا تحمل تضحيات اكبر ومسئوليات اكبر وليس وجاهة او تصدراً او قيـادة ـ وبالتـالى فنحن نلتزم بأن نكون مجرد طليعة للأمة لخوض تحدياتها الاستعمار ـ الصهيونية ـ التخلف ـ الاستبداد السياسي، الظلم الطبقى ـ التعصب... الخ وليس ان نكون بديلاً عن الأمـة، لأن الأمة ـ كل الأمة ـ مسئولة عن خوض المعارك والتحديات.

اى اننا خلايا حية تعمل على تنشيط باقى خلايا الجسد، وليس بمعزل عنـه او بـديلاً عنه، لان ذلك يعنى ان نتحول الى وباء او سرطان ونضر مهمـا كانـت نوايانـا حسـنة. وهذا يطرح بدوره فكرة تسمية الجماعة وهو من وجهة نظرى مسمى يعبر عن الخلل البنيوى المذكور، حتى لو تم تخفيف الأمر بأنها ليست جماعة المسلمين بل هى جماعة من المسلمين، اننا مرة اخرى مجرد طليعة، او قاطرة او حتى حزب سياسى ولا عيب فى ذلك، لنا اطروحة بشرية تستند الى الاسلام كمرجعية، ولسنا شعب الله المختار، ولا نمتاز عن النـاس بشـئ، ونحن مجرد حلقة من حلقات النضال والكفاح سبقتها حلقات وتتبعها حلقـات، بمعنـى اننـا لانمتلك كل الحقيقة، ولسنا الذين اخترعنا الاسلام، ولا حتى الحركة الاسـلامية المعاصـرة، فالحركة الاسلامية فى رأيى هى كل الحركات التى حاولت ان تقود الأمة لمواجهة التحـديات الخارجية والداخلية، انها عبد الكريم الخطابي، وعبد القادر الجزائرى وعمر المختار، وعمـر مكرم ومحمد كريم والافغانى والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد واحمد حسين وحسن البنـا وعز الدين القسام وكل من قاوم الاستعمار او الصهيونية او الاستبداد، نحن اذن مجرد حلقـة سبقتها حلقات وتتبعها حلقات والوقوف عند حلقة واحدة هو نـوع مـن الجهـل والتعصـب والجمود، وهو خطأ وخطر على كل مستوي.

كلمة الجماعة اذن، والممارسات المرتبطة بالجماعة ـ شـكلت نوعـا مـن العزلـة والانعزال، وطرحت نوعا من التكفير السلبي، او على الاقل تمييز من هم بداخل الصف عمن

هم ليسوا به، او نوعا من التعامل الخاص بين افراد الجماعة الواحدة، وبما ان الاسلام ملـك للامة كلها، فهذا نوع من الاحتكار والتكفير الصامت غير المعلن!! وهو امر خطير جداً شكلاً ومضمونا.

فكرة الجماعة، والصف، والتنظيم قادت الى اشكاليات اخري، فمكاسـب الجماعـة او الصف او التنظيم يجب المحافظة عليها وعدم اهدارها، حتى لو كان ثمن ذلك التخلـى عـن مطالب الجماهير، او تأييد موقف يضر بالحريات او يضر بالفقراء او يمثل موقفا صـامتا او مراوغاً تجاه قضية ما، وبديهى ان الجماعة او الصف او التنظيم ليست غاية بل هى وسـيلة لتحقيق اهداف وغايات واذا تعارضت الوسيلة مع الغاية يمكن التخلى عن الوسيلة وبالتالى لو كانت المسألة تجرى على اساس اننا مجرد حزب سياسى يرى رؤية وبرنامجا معينا فى وقت معين يمكن ان يتغير ويتطور، ويمكن حل الحزب وعدم التمسـك بـه اذا كـان اسـتمراره يتعارض مع المواقف المبدئية والاخلاقية، لكان الامر اسهل كثيراً، ولعل هذا يفتح الحديث عن الخطأ الخطير الذى وقعت فيه الحركة الاسلامية فى مصر حين لجأت الى اسلوبى العنـف ـ التربية ولاشك ان الاسلوبين خاطئان، وغير ملائمين لأوضاع مصر الاجتماعية والسياسـية، والصحيح ان هناك وسطاً بين هذين، وهو النضال السياسي، ولعل هذا يطرح تحليل بـرامج الجماعات ـ التى ركزت على قضايا ليست محل اهتمام اى حركة صحيحة باعتبارها ليسـت دينا جديداً ولا فرقة دينية جديدة، ولاشعب الله المختار، فالتركيز على فكرة الدعوة مثلاً، هـو تفكير غير صحيح فالدعوة تكون لغير المسلمين ـ هل ندعو المجتمعات الاسلامية الى الاسلام مثلاً، ولكن الصحيح هو النضال من اجل ايقاظ النائمين وتحريك السلبيين والنضال من اجـل توسيع الحريات، والنضال من اجل رفع الظلم الاقتصادى او مواجهة الفسـاد وعـدم تكـافؤ الفرص، او مواجهة الكيان الصهيونى او مواجهة التخلف والجهل، او حتـى طـرح انفسـنا بالتحالف مع القوى المناهضة للعولمة فى العالم كرأس رمح فى مواجهة الاستكبار الامريكي، وطرح الاسلام كمنظومة او كأيديولوجية للفقراء والمستضعفين فى العالم لمواجهة المشـروع الأمريكى الصهيونى العولمى وتحالف الرأسماليين والعسكر خاصة بعد احداث ١١ سـبتمبر. الخطأ المنهجى الآخر ـ هو عدم ادراك الحركات الاسلامية مسألة الهزيمة الحضارية فلا شك اننا كأمة وكحضارة مهزومون امام الحضارة الغربية، وفى غضون القرنين الاخيرين علـى الأقل تم ذلك وتكرس، وامريكا واسرائيل والغرب يمتلكون تفوقا علميا وعسكريا واقتصـاديا وسياسيا علينا، ولابد ان ندرك هذا المتغير الخطير فى حركتنا وكذلك فى طريقة فهمنا للأمور وفى مطالبنا السياسية والاجتماعية وعلاقتنا بالحكومات فلسنا فى عصر الدولة العباسية مثلاً، حيث يقول الخليفة للسحابة التى تمر امامه امطرى حيث شئت فسوف يأتينى خراجك، فالـذى حدث اننا كأمة وحضارة مررنا بعدد من المراحل، فالمنحنى الحضارى لنا صعد، ثم ثبت ثـم

بدأ فى النزول، ولابد من الاعتراف بأننا فى حالة نزول حضارى الآن والسيادة فـى العـالم ليست لنا، واتخاذ قرار معين يمكن ان يؤدى الى ضربنا بصواريخ كروز مثلاً او التعـرض لعدوان على غرار العراق وافغانستان وبالتالى فيدنا ليست مطلقة فى كل شئ، الصـحيح ان هناك تداخلات دولية واقليمية لافكاك منها، وانه مهما كانت قوتنا فأعـداؤنا اقـوى بمراحـل وبالتالى يجب عدم التركيز على فكرة الحرب النظامية بل المواجهة بالانسان سلاح الاستشهاد على مستوى التحديات الخارجية، وعلى مستوى محاولة النهضة يجب ان نعمل علـى عـدة مراحل، اى يجب عدم حرق المراحل يجب ان نعترف اولاً بأننا فى حالة نـزول حضـاري، ينبغى تقليل عجلة النزول، ثم تقليل سرعة النزول، ثم ايقاف النزول، ثم احداث انقـلاب فـى المنحنى باتجاه الصعود، ثم الصعود، وهذا يقتضى بالطبع مجهوداً جباراً لابد مـن بذلـه والا فسوف تهدر طاقاتنا دائما ونعود كل مرة من حيث بدأنا، يجب ان نحدث نوعاً مـن التـراكم المعرفى والخبرة المنقولة دائما، وان نضع فى اعتبارنا اننا كحركة فى مرحلة ما وبمسمى ما لا تستطيع ولا ينبغى لها ان تحاول حل كل الاشكاليات وانها ستحقق كل شئ، بل تعمل على احداث نوع من التراكم الايجابى والتقدم خطوة او خطوات حتى لاتضيع الجهود، وهذا يقتضى نوعاً من التواضع وطول النفس، وهذا يفسر نجاح بعض الحركات التى حددت لنفسها نوعـاً معيناً من النشاط الاجتماعى مثلاً فقدمت اسهاما ايجابيا، فى حين ان الحركات التى وصـفت نفسها بأنها كل شئ: حركة سياسية وعقائدية واجتماعية ومالية وسلفية ومسـتقبلية وصـوفية وعسكرية.. الخ فانها تقريبا فشلت فى كل شـئ مـع ثمـن بـاهظ وهائـل بـلا مبـرر. قصدت أن ابدأ هذا التحليل بالحديث عن اخطاء وخطايا تكتيكية واسـتراتيجية فـى مسـيرة الحركة الاسلامية، بل والخلل فى منهج علاقاتها بالمجتمع، مقرراً ان هناك خللا بنيويا كـان سيفضى فى النهاية الى ازمة حقيقية مالم تغير تلك الحركة كثيراً مـن مفاهيمهـا واهـدافها وسلوكها وطريقة تعاطيها مع المجتمع وان ذلك لم يكن له علاقة باحداث ١١ سبتمبر، وبالتالى فان عنوان الموضوع ذاته وهو مستقبل الحركة الاسلامية بعد احداث ١١ سبتمبر يحمل فـى طياته التباسا ينبغى ازالته فى البدء، وقد وقع الكثيرون فى خطأ الاسـتنتاج ان احـداث ١١ سبتمبر قد اثرت سلبا على مستقبل الحركة الاسلامية او خلقت لها صعوبات جمة ربمـا لـن تستطيع تجاوزها و ان تداعيات ١١ سبتمبر ربما تقضى على مستقبل الحركـة الاسـلامية، والصحيح فى هذا الصدد ان احداث ١١ سبتمبر لها تأثيرها بالفعل على الحركة الاسـلامية، وسواء كان تنظيم القاعدة او أسامة بن لادن هو المسئول عن الحادث بطريقة او بأخري، فان الاتهام قد علق بالفعل فى رقبة الحركات الاسلامية وبناء عليه تم التعامل معها على انها العدو الذى ينبغى اعلان الحرب عليه، وتم التضييق على مختلف الحركات الاسـلامية، ووضـعت معظمها على لائحة الارهاب، وتم تشجيع او الضغط على الحكومات لضربها، كما تم تجميـد

ارصدة بعضها او حتى الجمعيات الخيرية الاسلامية التـى لاصـلة لهـا اصـلاً بالسياسـة وباختصار فان هامش الحركة اصبح ضيقا، والقوى الكبرى والصغرى تترصدها، ولاشك ان هذا تأثير سلبي، ولكن فى المقابل فان خطاب العولمة الامريكي، والممارسات البشـعة التـى يعانى منها الشعب كله تقريبا التى تمارسها امريكا او اسرائيل او رموز الاستكبار فى العـالم تستفز قطاعات ضخمة من سكان العالم لعمل شئ ضد هذه المنظومـة، ومـادام المسـلمون اوالحركات الاسلامية نالت شرف تهمة مناهضة امريكا وانزال العقاب بها، فإن هـذا خالـق جبهة واسعة من التعاطف مع الحركة يمكن ان يحولها الى قطب جديد فى مواجهـة القطـب الأوحد حالياً، بل يمكن ان يحول الحركة الى طليعة للمناضلين ضد امريكا واسرائيل ورموز الاستكبار ويمكن ان يدفع بمقولة الاسلام ايديولوجية الفقراء لتصبح شعاراً حقيقيا للمهمشـين والمستضعفين فى العالم وهم اغلبية طبعاً على الاقل ٨٠% من سكان العالم ، واذا كان حلـم العدل لايموت، ومع الخطاب العنصرى والاستفزازى الامريكى فان هناك اثارا ايجابية ضخمة يمكن ان تصب لصالح مستقبل الحركة الاسلامية، وهذا بالطبع متوقف على اسـتيعاب تلـك الحركة للصدمة الاولي، واستخدامها لخطاب مقبول ومفهوم، وبناء استراتيجية نضالية تسـمح بتلك الاستفادة، على اى حال فقد قررنا من قبل ان الحركات لاتهزم من خارجهـا، وبالتـالى فمهما كانت قسوة اثار احداث ١١ سبتمبر على الحركة الاسلامية فان ذلك لن يستطيع هزيمة تلك الحركة او انهاء وجودها، مالم تكن هناك اسباب داخلية وبنيوية تسمح بذلك اصلاً، اضف الى ذلك ان احداث ١١ سبتمبر لم تأت بجديد على صعيد استهداف الحركات الاسلامية للعداء، بل انها كانت مجرد مناسبة لاعلان هذا العداء، والتشريع بوتيرة الممارسات المقررة سلفاً فى اطار صراع الحضارات واذا كان من شئ له اثر حقيقى على ازالة هامش التوازن الأمريكى الاوروبى مع الحركات الاسلامية فانه ليس ١١ سبتمبر، بل سـقوط المنظومـة الإشـتراكية والاتحاد السوفيتى السابق، الذى فتح شهية الولايات المتحدة الأمريكية، وحلفائهـا لازالـة اى نتوءات معارضة او مناهضة او حتى غير متحمسة لأمريكا واسرائيل، وبالتالى فـان الآثـار السلبية الحقيقية نشأت قبل احداث ١١ سبتمبر بعشرة اعوام على الاقل، ولم تكن احـداث ١١ سبتمبر الا مجرد مناسبة للاعلان والتشريع لـيس الا، وعلـى صـعيد الشـعوب العربيـة والاسلامية، فان ماحدث بعد احداث ١١ سبتمبر من أمريكا واسرائيل تحديداً، اضاف بريقـا هائلاً للخطاب الاسلامى المتصل بالحركات الاسلامية، وجعل جميع القوى السياسـية تقريبـا تردد نفس هذا الخطاب حتى ولو كانت فى داخلها تمقت الحركات الاسـلامية، وكـذا فـان الجماهير لاذت بالضرورة الى الخطاب الاسلامى وكل هذا يصب فى خانـة الفائـدة ولـيس العكس شريطة ان تستطيع الحركات الاسلامية اعادة تشكيل نفسها وخطابها للتحول الى طليعة حقيقية للامة ومعبرة عنها، علينا اذن ان نصحح الخطأ الشائع عن مسئولية احداث ١١ سبتمبر

عن اضعاف الحركة الاسلامية او وصولها الى حالة ازمة، ذلك ان هذا كان قبل ١١ سـبتمبر لأسـباب داخليـة لاتتصـل بالعـالم الخـارجي الـى حـد كبيـر.

زوال إسرائيل نبوءة قرآنية وحتمية تاريخية

د. محمد مورو

هل هو إغراق فى التفاؤل كرد فعل على حالة شديدة الصعوبة والقسوة تمـر علـى المنطقة وعلينا.. أم هو نوع من خداع النفس أو الأمانى الحلوة فى الأيام المرة، أم نوع مـن الهروب من مواجهة تحديات ضخمة تمثلها جيوش وبواخر وأسلحة ودمـار وقتـل وترويـع وتدخل سافر فى شئوننا وصل إلى حد تحديد ما نتعلمه وما لا نتعلمه.. أم هو نوع من التشبث بالأمل حتى لا نستسلم لليأس؟

ليس هذا ولا ذاك.. بل هو الحقيقة إن شاء الله، فإذا كنا نؤمن حقا بالقرآن الكريم، فإن النبوءة القرآنية تتحدث بالفعل عن زوال إسرائيل وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بـأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمـددناكم بـأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة، ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا مـا علـوا تتبيـرا سـورة الإسراء.

وإذا كان القرآن الكريم يتحدث عن زوال إسرائيل فإن هذا يصل إلى درجـة اليقـين المطلق لدى كل مسلم، وهو يقين مفيد لجعله لا ييأس أبدا مهما اختل ميزان القـوي، ومهمـا كانت الظروف الدولية والإقليمية صعبة، لأن الله تعالى الجبار المتعال القادر على كل شـيء، والأكبر من كل قوة هو الذى وعد بذلك ووعده الحق إن شاء الله تعالي، وبالتالى فإن استمرار المقاومة بكل أشكالها، ومهما كانت الصعوبات هو الطريق الصحيح والمشروع والمتفق مـع المنهج القرآني، وهذا فى حد ذاته إحدى علامات النصر إن شاء الله.

زوال إسرائيل أيضا حتمية تاريخية، ذلك أن إنشاء دولة إسرائيل هـو علـى عكـس حركة التاريخ والجغرافيا، وهو نوع من تثبيت جسم غريب فى كائن حى يرفضـه، ومهمـا كانت قوة اللصق والتثبيت فإنها ستنتهى يوما، وهذه المنطقة العربية الإسلامية، منطقة شـديدة العمق حضاريا وثقافيا، وذات كثافة سكانية عالية ولا يمكن بكل الوسائل والطرق ولا حتـى بالإبادة تفريغ المنطقة من السكان، أو تفريغها من وجدانها الثقافى والديني، ولأن المنطقة هى أعمق مناطق العالم ثقافة، فهى ستلفظ بالضرورة هذا الجسم الغريب، وإذا كان الغرب قد أراد أن يتخلص من المشكلة اليهودية بإنشاء إسرائيل، وليستفيد منها فى نفـس الوقـت كمفـرزة عسكرية متقدمة ضد قلب العالم العربى والإسلامي، فإنه أيضا كان يدرك أن المنطقة لن تقبل

ذلك، لا بسهولة ولا بصعوبة، ولم يكن هذا يهم الغرب بالطبع، فلسان حالـه يقـول فليـذهب العرب واليهود معاً إلى الجحيم، ولأن اليهود أغبياء فقد بلعوا الطعم، ومارسوا غدرهم وحقدهم على المسلمين بلا هوادة، ولكن ذلك أيضا لن يفلح فى تثبت كيـان مفتعـل وملفـوظ جملـة وتفصيلا.. مهما كانت القوة العسكرية الإسرائيلية، ومهما كانت قوة الدعم الأمريكية والغربية للكيان الصهيوني، ومهما كانت وسائل الترهيب فلن تفلح فى القضاء علـى مقاومـة الجسـم العربى الإسلامى ولا القضاء على مناعته فى مواجهة هذا الجسم الغريب، ومهما كانت قـوة التضليل وغسيل المخ وقوة الإغراءات والمشروعات لإقناع الشعوب بقبـول التعـايش مـع إسرائيل أو التخلى عن الهوية والثقافة أو تفسير الإسلام تفسيرا جزئيا أو مغلوطا فإن ذلك لن ينجح بل هو أحد المستحيلات والله متم نوره ولو كره الكافرون .

المنطقة العربية والإسلامية وتحديدا قلبها فلسطين، ليست منطقة خالية من السكان، ولا خالية من الثقافة، بل هى عميقة وكثيفة حضاريا وبشريا، بل ربما هى الأعمق والأكثف فـى العالم، وهكذا فإن زوال إسرائيل حتمية حضارية، قد ينجح الضغط فى تثبيت مؤقـت لـذلك الكيان، قد يتورط حاكم أو مجموعة بشرية أو دولة أو حتى جيل بأكمله فى التعايش المستحيل مع إسرائيل، ولكن هذا ضد منطق الأشياء ولن يستمر طويلا.

هذه الحقيقة بدأ يدركها مفكرو وقادة العدو الصهيونى أنفسهم، فهم يتحدثون عن وطن بلا مستقبل، أو أنهم أخذوا أكبر مقلب أو خازوق على حد تعبير أحد الشعراء الصهاينة فـى استقباله لأحد المهاجرين الجدد قائلا له: تعال وأجلس على الخازوق مثلنا .

المقاومة هنا شرط لازم لزوال إسرائيل.. والمقاومة قد انـدلعت بالفعـل وامتلكـت الطريق الصحيح، بل وأفرزت ظاهرة رائعة وهى العمليات الاستشهادية.. وهذا سلاح لا يمكن القضاء عليه، لقد تمت عمليات استشهادية فى جميع أنحاء فلسطين المحتلة، فى الجليل، وتـل أبيب ويافا وعكا وفى الضفة وغزة، وضد مستعمرات شديدة الحراسـة وضـد مسـتوطنين مسلحين، وضد كتائب الجيش الصهيونى ذاتها تمت هذه العمليات فى جميع الأحوال والأوقات، وهذا يعنى أن كل الاستخبارات والتحصينات والأقمار الصناعية ووسائل التكنولوجيا الحديثـة والقديمة لم تكن حائلا دون استمرار هذه العمليات، لا إمكانات الجيش الصهيونى ولا الجـيش الأمريكى ولا محاولات السلطة، ولا الضغوط الدولية ولا حالة الهجوم الإعلامى المستمر على تلك العمليات ووصفها بالإرهابية، ولا محاولات إرهاب الشـعب الفلسـطينى وترويعـه، ولا الاغتيالات ونسف البيوت ولا وحشية شارون من قبله ومن بعـده ولا الأسـوار والأطـواق الأمنية حالت دون استمرار ونجاح تلك العمليات، والقيمة الكبرى لتلك العمليات ليس فى مدى ما تحدثه من خسائر فى صفوف العدو، بل بما تبثه من رعب فى نفوس الإسـرائيليين ومـا تحدثه بالتالى من خلل فى المجتمع الإسرائيلي، بل ما تحققه من نسف لفكرة الصهيونية ذاتها،

لأن الفكرة الصهيونية بالنسبة لليهود الصهاينة هى التجمع فى مكان آمن وطن قومى بعـد أن عانى اليهود من الاضطهاد العنصرى فى أوروبا تحديدا!! وهذا بالطبع لـيس ذنـب العـرب والمسلمين الذين يعاملون غير المسلمين بمن فيهم اليهود معاملـة تليـق بالعـدل الإسـلامى والأوامر الشرعية الإسلامية، ولعل ممارسات التاريخ القديم والحديث تؤكد ذلـك، المهـم أن الغرب نجح فى إقناع اليهود بأن فلسطين ستكون مكانا آمنا بالنسبة لهم، فهى أرض بلا شعب، ومنطقة سوف تقبل بهم بالقهر والإغراء، وهى أيضا ترجمـة للتفسـيرالمحرف للتـوراة أو التلمود، ولكن جاءت حقائق التاريخ والجغرافيا والثقافة والمقاومة لتقـول العكـس، فالشـعب الفلسطينى موجود، وهو لن يفرط فى أرضه، وهو يمتلك أعلى نسبة خصـوبة قـادرة علـى إحداث توازن سكانى باستمرار مهما استمرت عملية الإبادة الصـهيونية، والثقافـة العربيـة الإسلامية عميقة الجذور لن تسمح بقبول دائم لإسرائيل فى المنطقة، والنص القرآنى والمفاهيم الإسلامية الثابتة منتشرة بقوة فى المنطقة المحيطة، وهذا معنـاه اسـتمرار الـدعم المـادى والمعنوي، بل وخروج الاستشهاديين من غير الفلسطينيين من العرب والمسلمين، والممارسات الإسرائيلية والأمريكية فى المنطقة تدفع الشعوب دفعا إلى إدراك أن الجهاد والمقاومة ليسـت فقط فريضة شرعية بل هى ضرورة حياتية وطريق بلا بديل وإلا فالموت والخضوع وفقـدان الكرامة.. وبذلك كله وبغيره كثير، أصبحت فلسطين أقل الأماكن فى العالم أمانا بالنسبة لليهود وهذا ينسف فكرة الصهيونية من جذورها، وهكذا فإن المقاومة فى الحقيقة والتى وصلت إلـى حد مطاردة الإسرائيليين فى بيوتهم ومطاعمهم ونواديهم ومستوطناتهم وثكناتهم العسكرية، بل وخارج فلسطين ذاتها فى كينيا على يد فدائيين ليسوا فلسطينيين، بل مسـلمين ينتمـون إلـى تيارات عربية أخري، هذه المقاومة تقول إن فكرة الوطن الآمن فكرة مزيفة، وأن على يهـود إسرائيل أن يعيشوا فى خوف ورعب دائم، وإذا كان الأمر بالنسبة للإسرائيلى مفهومـا حـين يقوم بالقتال من أجل إنشاء وطن واستمراره وتثبيتـه، فهـذا لا يكـون إلا لفتـرة محـدودة وبتضحيات معينة، أما أن تتحول المسألة إلى قلق وخوف دائمين، واستنفار مستمر وقتال بلا نهاية منظورة فهذا فوق الطاقة، وإذا كان ذلك هو قدر العرب والمسلمين، لأن هـذه بلادهـم وليس لهم بلاد غيرها، فإن ذلك ليس حتميا بالنسبة ليهود إسرائيل، لأنهم يمكنهم العودة مـن حيث أتوا أو أتى آباؤهم، وبديهى أن حلم الاستقرار والتمتع بمباهج الحياة حلم كـل إنسـان، وخاصة الأجيال الجديدة فى إسرائيل، وهكذا فالمقاومة نسفت الفكرة الصهيونية، أما سـيناريو زوال إسرائيل فهو مجرد تفاصيل.

تفسخ وانهيار المجتمع الإسرائيلى من الداخل، وشيوع حالة الخـوف والفـزع لـدى الإسرائيليين أحرص الناس على حياة وتشقق فكرة الصهيونية ذاتها أمـر أصـبح محسوسـاً ومعروفا وترصده مراكز الأبحاث، بل يراه أى مفكر موضوعى داخل إسرائيل أو خارجهـا،

بل إن تقريرا أعدته لجنة مشتركة من الكنيست ومجلس الوزراء الإسرائيلى عام ٢٠٠٢ وجاء بعنوان الواقع فى إسرائيل يصل إلى نفس النتيجة وهو أن الأمور لو سارت بـنفس الطريقـة فسوف ينهار المجتمع الإسرايلى من الداخل خلال ٢٠ عاما وأنه لابد من علاج الموضـوع.. وبديهى أن تلك أمانيهم، فالعلاج موضوعيا وحضاريا واستراتيجيا مستحيل، المهم أن التقرير يتحدث عن أن المقاومة والانتفاضة تسببت فى عجز فى الميزانية بلغ ٣٠% من عـام ٢٠٠٠ وحتى الآن سنويا، وأن الميزانية العسكرية تستهلك ٦٠% من عائدات إسرائيل القوميـة، وإذا كان علاج ذلك ميسوراً عن طريق ضخ الأموال لإسرائيل من أمريكا أو الدول التى صـنعت إسرائيل وتستفيد منها مثل أمريكا حاليا، فإن علاج الخوف والفزع الإسرائيلى لا يمكن أن يتم لا عن طريق أمريكا ولاغيرها، يتحدث التقرير أيضا عن أن ٣٠% من المواطنين لديهم رغبة أكيدة فى مغادرة إسرائيل، وأن ١٣% من الأسر الإسرائيلية تـرفض الإنجـاب، وأن معـدل المواليد انخفض بنسبة ٥,٢%، وتقول الأسر الرافضة للإنجـاب بـرغم تـوفر المقومـات الشخصية والاقتصادية لذلك إنها لا تريد إنجاب أطفال ليموتوا وأن أحدا فى إسرائيل لا يضمن الآن العودة إلى أطفاله سالما أو عودة أطفاله إليه من المدرسة سالمين!!، ويرصد التقرير حالة الهروب من الجيش أو رفض الخدمة فى الأراضى المحتلة وتدنى حالة الشعور بالوطنية لدى الجيل الجديد الذى يعبر عن رغبته فى العيش بأمان وأنه من الصعب استمرار التـوتر إلـى الأبد!!، ويعترف التقرير أن هناك شعورا بعدم الأمان يسيطر على الإسرائيليين، وأن الأولاد والأمهات والزوجات يخشون الآن النزول إلى الشوارع أو التسوق وأن المسألة قد انتقلت من كوننا كنا يقصد إسرائيل نتحكم فى مصائر الفلسطينيين إلى أن الفلسطينيين هـم الـذين قـد يتحكمون فى مصير إسرائيل خاصة أنهم يتحركون بلا نظام ومن الصعب بالتـالى الإمسـاك بتلابيبهم أو تحديد وسيلة ناجحة للقضاء على إرهابهم!!

نهاية الوهم بداية النصر

د/ محمد مورو

إذا كانت خارطة الطريق، وهي الخطة التي قدمها الرئيس الأمريكي جورج دبليـو بوش إلى الفلسطينيين والإسرائيليين وقبلها الطرفان الرسميان، كانت نوعـا مـن الـوهم والخداع والتحذير، وأنها لم تكن تقدم شيئًا حقيقيا للفلسطينيين، وهي في أحسـن الظـروف والنوايا نوع من التصفية للقضايا الفلسطينية الجوهرية في مقابل أوهام عن دولة فلسـطينية لا تكاد ترى على الخريطة ولا تكاد تمتلك أي مقومات للبقاء؛ فإن الطرف الإسرائيلي سعى مباشرة لتصفية هذه الخارطة بممارساته القمعية المستمرة وسياسته الإجرامية والتي كـان آخرها اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي زعيم حركة حماس في غزة ومن قبله بأسابيع اغتيال الشيخ أحمد ياسين ضمن سلسلة صهيونية لتصفية قادة المجاهدين، بالإضـافة إلـى عدوان العدو الإسرائيلي وتجاهله للسلطة الفلسطينية رغم انبطاحهـا، ثـم بنـاء الجـدار العنصري العازل...الخ، وهي ممارسات وصفتها دوائر السلطة الفلسـطينية ذاتهـا بأنهـا تنسف فكرة السلام من جذورها، إلا أن تلك السلطة ومن لف لفها من مثقفـين وسياسـيين منبطحين راحوا يبحثون عن وسيلة لإرضاء الأمريكيين عن طريق إدانة العنف الفلسطيني أو الاستمرار في المراهنة على دور أمريكي ضاغط على إسرائيل -وهو وهم طبعا- ولكن المهم في المسألة أنه كانت هناك سطور من الوهم تسمى خارطة الطريق يمكن لمن يريـد أن يخدع نفسه أو يخدع الناس التمسك بها أو التلويح بها ، أو البحـث عـن موقـف مـا للرباعية الدولية أو الاتحاد الأوروبي !! ورغم أن المسألة كانت واضـحة لأن الأمريكـان دعموا الإسرائيليين بكل شيء من سلاح ونفوذ وفيتو وأعطوهم الضوء الأخضر لاغتيـال قادة حماس، ورغم التأييد الأوربي الصامت أو المتواطئ مع إسرائيل مع بعض المواقـف النقدية الشكلية التي لا تسمن ولا تغني من جوع رغم أن المسألة كانـت واضـحة؛ إلا أن الغريزة الاستعمارية الأمريكية والصهيونية أبت أن تسقط ورقة التـوت عـن الجميـع ، وتضعنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

الحلف الأمريكي الصهيوني

ولأن هذه الغريزة الاستعمارية الأمريكية الصهيونية غبية -وهذه حكمـة الله تعـالى- ولأنها محملة بعداء صليبي طويل وعميق فإنها تفعل أفعالاً أقل ما يقال فيها إنها تحرج أصدقاء

أمريكا، وتنسف منطق دعاة السلام المزعـوم، وتسـتفز الشـعوب العربيـة والإسـلامية -والفلسطينية بالطبع- وهذا طبعا لصالح المقاومة وثقافة المقاومة، ولأننا نـدرك منـذ الوهلـة الأولى، ويدرك أي متابع ومحال ينطلق من المعطيات المجردة، أنه لا سبيل هنـاك لانتـزاع الحقوق كلها أو بعضها إلا بالمقاومة؛ فإن ما تفعله أمريكا وإسرائيل مفيـد علـى المسـتوى الاستراتيجي لأمتنا وقضيتنا؛ ذلك أنها تدفع الشعوب دفعا إلى اليقظة وإسقاط الأوهام، ومن ثم التخندق في خندق المواجهة كخيار وحيد لا بديل له أو عنه.

الموقف الأمريكي الأخير والذي اتخذته الإدارة الأمريكية عقب زيارة رئيس الـوزراء الإسرائيلي آرئيل شارون الأخيرة إلى واشنطن عبر تعبيرا كاملاً عـن الانطبـاق الأمريكـي الكامل مع الموقف الإسرائيلي، وهذا في حد ذاته خير حتى نعرف جميعا أن العدو الإسرائيلي هو العدو الأمريكي وأن النضال والجهاد في العراق هو ذاته النضال والجهاد فـي فلسـطين، وفي كل مكان، وأن علينا أن نواجه الحلف الأمريكي الصهيوني كشيء واحد وألا ننخدع بعـد الآن بإمكانية الاستفادة من الموقف الأمريكي في فلسطين رغم ما يفعله في العراق، ولعل هذه النقطة في حد ذاتها تنهي أوهام الحكومات العربية أو الإسلامية التي تدعو إلى ذلك وتـراهن عليه؛ فإما أن تفيق من الوهم، وإما أن تلطخ نفسها بعار الخيانـة، أو داء الغبـاء والبلاهـة. ونلاحظ أن الموقف الأمريكي الأخير الذي تمخض عن اجتماع بوش وشـارون جـاء عقـب زيارة للرئيس المصري إلى واشنطن وبعدها بأيام معدودة تم اغتيال الـدكتور عبـد العزيـز الرنتيسي!!.

الموقف الأمريكي تمثل في عدد من النقاط الكاشفة والتي تسقط أي وهم حتى إنه لـم يعد لمخدوع أن يستمر في انخداعه ذلك أن الرئيس الأمريكي وكبار أقطاب حكومته قد عبروا عن أنه على الفلسطينيين ألا يفكروا في عودة اللاجئين، وأن حدود ١٩٦٧ ليست مقدسة، وأن حدود إسرائيل يجب ترسيمها وفقًا للحقائق السكانية الجديدة التي طرأت منذ عام ١٩٦٧، وأن إسرائيل دولة يهودية. وقد وصف إيهود أولمرت -نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي- الموقف الأمريكي بأنه يمثل انتصارا رائعا لسياسة شارون، وفي المقابـل فـإن عـددا كبيـرا مـن الفلسطينيين، سواء من حماس أو الجهاد أو حتى أوساط السلطة الفلسطينية اعتبروا ذلك بمثابة "رصاصة الرحمة" على خارطة الطريق، وإذا كان ذلك مفهوما من جانب حماس والجهاد؛ فإن وصول السلطة الفلسطينية إلى تلك القناعة، يرتب بالضرورة التخندق مع المقاومة، وانهيار وهم الحصول على شيء عن طريق أمريكا؛ بل يرتب -لو كان هناك كرامة أو عقل- ضرورة فهم أن مواجهة المشروع الصهيوني الأمريكي يقتضي المقاومة .. والمقاومة فقط ، في مواجهـة

إسرائيل وأمريكا معا وبلا تفرقة بينهما، فالمعركة في فلسطين هي ذاتها في العراق هي ذاتهـا في أفغانستان !!.

معركة شعوب مسلمة

الغريزة الاستعمارية بحكم طبيعتها غبية واستفزازية -وهذا من رحمة الله بنا- إذا كنا حقا شعوبا حية، وحتى لو سقطت الحكومات في صمت الخيانة أو الغباء؛ فإن ذلك لن يقدم ولن يؤخر، لأن المعركة معركة شعوب في النهاية، وإذا كانت الغريزة الاستعمارية محملة أيضـا بوجدان صليبي استكباري وغطرسة وحمق؛ فإن المسألة أفضل بكثير، لأننا نؤمن أن أمتنـا لا تزال حية، وأن جماهير الأمة قادرة بالمقاومة- على غرار المقاومة العراقية والفلسطينية- على إفشال المشروع الأمريكي الصهيوني، طالما سقطت الأقنعة وباتت الحقائق واضـحة؛ ولعـل نهاية الوهم هو بداية النصر.

الممارسات الأمريكية في العراق، مثل الممارسات الصهيونية في فلسطين، الممارسات السياسية والعسكرية والاقتصادية على حد سواء، كلها تقـود إلـى سـيادة ثقافـة المقاومـة؛ فالسياسات الأمريكية والصهيونية تسقط ورقة التوت عن المتعاونين مع أمريكـا والمـراهنين عليها، وبدهي أن انهيار الوضع الرسمي العربي أو "شَلَله" سيفسـح المجـال أمـام حركـات المقاومة لامتلاك زمام المبادرة الشعبية وهو ما يعترف به مفكرو العـدو أنفسـهم؛ فـالمفكر والقيادي في حزب العمل الإسرائيلي حاييم رامون يرى أن استمرار الحالة العربية الرسـمية الراهنة أفضل كثيرا من تغييرها وظهور حركات للمقاومة على الغرار العراقي والفلسـطيني معادية لأمريكا وإسرائيل، وهو نفس رأي يعكوف بيربي الرئيس السابق للمخابرات الإسرائيلي "الموساد".

المواقف والسياسات الأمريكية الإسرائيلية في الحقيقة تصفي الوجود الفكري ومن ثـم الواقعي للتيارات التلفيقية أو المرنة وتفتح الطريق واسعا وبلا حدود أمام تيار المقاومة وخاصة الإسلامية منها، ولا شك أن اكتساب الشعوب لعنصري إسلامية المرجعية، والمقاومة المسلحة الشعبية للمشروع الأمريكي الصهيونية، هما الشرطان الصحيحان لبداية النصر، وغيـاب أي من العنصرين (الإسلامية - المقاومة الشعبية المسلحة) كان يمكن أن يجعل النصر مسـتحيلاً والصمود مشكوك فيه.

وهكذا فقد انتهى الوهم، وبدأ طريق النصر، والله أكبر ولله الحمد.

العزاء الأخير د/ محمد مورو

مدرسة التفاهم مع امريكا واسرائيل، والتى تنوعت افكارها وعناصـرها البشـرية والفكريـة ورموزها السياسية، التى شهدت انتشارا واسعا فى السبعينيات من القرن الماضى وحتى وقت قريب نستطيع أن نقول انها الآن بصدد اغلاق ابوابها..

بالطبع مدرسة التفاهم مع امريكا واسرائيل ليست مصمتة وهى تضم من يدعو الـى تبنى النموذج الامريكى بالكامل والقبول بدور التبعية الكاملة لأمريكا وقبول اسرائيل والتخلى عن الثوابت الدينية والوطنية والقومية والتعامل مع الانسان العربى ككائن بشرى بـلا هويـة اللهم الا المطالب الاقتصادية، وتضم ايضا من يدعو الى احداث نوع من التـأليف والتلفيـق والتركيب بين الثوابت والقيم الامريكية ومحاولة الحصول على اى قدر ممكن مـن الحقـوق المسلوبة، ومن هؤلاء ايضا من يرى ضرورة ارضاء امريكا بأى ثمن، وإقناع حكومتها بكل السبل بالتخلى عن دعمها الكامل لاسرائيل ومن ثم الضغط على اسرائيل للانسحاب او التخلى عن بعض الحقوق الفلسطينية، ومنهم من يصل الى سب كل ماهو وطنى وقـومى وعربـى وإسلامى باعتبار ذلك كله هو التخلف و التغنى بكل ماهو غربى واسرائيلى وامريكى باعتباره هو العصرنة والتقدم!! وهناك بالطبع انماط اخرى كثيرة تندرج تحت هذا العنوان اى مدرسة التفاهم مع الغرب وإسرائيل وامريكا وقد كانت لهذه الافكار بعض الوجاهة فى بدايتها الا انها بدأت تتآكل شيئا فشيئا حتى فقدت مبرر وجودها، وأصبحنا الآن على المحجة البيضاء ليلهـا كنهارها.

فالذين راهنوا على التفاهم مع امريكا من اجل الضغط على اسرائيل للحصول علـى بعض الحقوق العربية والفلسطينية لم يحصدوا الا الهشيم وقبض الريح، ولم يحصـل هـؤلاء على شئ، بل اكتشف الكثيرون منهم ان الوقت يعمل لغير صالحهم، فباستمرار تزداد امريكـا تعصبا لاسرائيل وتأييدا ودعما، وجاءت الاحداث والممارسات والمواقف فى المحافل الدوليـة وفى مختلف القنوات العلنية والسرية لتقول ان امريكا اكثر تشبثا باغتصاب الحقوق الفلسطينية من الاسرائيليين انفسهم، وان هناك تحالفا استراتيجيا من الطرفين، او يوجد انطباق هندسـى كامل بين المواقف وربما لو وافقت اسرائيل على الكف عن العدوان لزجرتها امريكا وطلبـت منها الاستمرار فى هذاالعدوان، ومع آلاف الضحايا، ومع غبار الهدم ورائحة الـدم والتـدفق

المالى والاعلامى والسياسى الامريكى والعسكرى ايضا لاسرائيل كان المخلصون من دعـاة التفاهم ـ اى الابرياء ـ يكتشفون الحقيقة وهى انه لا امل فى التفاهم، وان المطلـوب لـيس اكثر من اعادة هيكلة المنطقة والناس والافكار لتتلاءم مع الخضوع الكامل لاسرائيل وامريكا، وبالتالى فالمطلوب ليس حوارا وتفاهما بل عملاء يبشرون بالنموذج الامريكـى الاسـرائيلي، ووصل الامر الى حد المأساة مع تصاعد اليمين الامريكى الذى يطرح رؤية توراتيـة تـرى ضرورة سيطرة اسرائيل على القدس والمنطقة كشرط لعودة المسيح فى الالفية السعيدة!! وهذا يعنى عمليا تبنى المنطق الليكودى بالكامل، بل اشد انواعه تطرفا وهكذا جاءت كل التصورات الامريكية لحل المشكلة الفلسطينية مجرد ترديد لأفكار شارون ونتنياهو لدرجة وصفها احيانـا بأنها كتبـت فـى مقـر الليكـود وتـم ارسـالها الـى الـرئيس بـوش ليوقـع عليهـا!! ومع التفسير التوراتى الذى يتبناه حكام واشنطن الآن من امثـال ديـك تشـينى وولفـوفيتز ورامسفيلد واشكروفت، هناك المحاولة الامبراطورية الامريكية التى يتفق عليها مـع هـؤلاء بوش وكونداليزا رايس وباول نفسه، وهى الافكار التى زادت من الوجود العسكرى الامريكى فى العالم، وغزت افغانستان واحتلت العراق، وبالتالى فنحن امام دم عربى وإسلامى ينـزف بالسلاح الامريكى بطريقة مباشرة بيد القوات الامريكية ذاتها او غير مباشـرة بيـد الوكيـل المعتمد اسرائيل.

ولم يكن امام دعاة التفاهم إلا لعب ورقة اخيرة مكشوفة، ولكنها لاتسمن و لا تغنى من جوع وهى ان هناك قوى امريكية واسرائيلية يمكن التفاهم معها بعد تغيير الاحوال السياسـية ونهاية حكم الليكود والجمهوريين واليمين الامريكي، ولكن هؤلاء يخدعون انفسهم، فـإلى ان يحدث ذلك ـ بفرض صحته ـ يكون العرب قد مات منهم الالاف وربما الملايين، وتم تمزيق المنطقة واصبح الامر مجرد ذكري، وكذلك فان المجتمع الامريكى مـثلا يريـد ذلـك، لان انتخابات الكونجرس جاءت بالجمهوريين بعد ان تبنى الرئيس بوش وحزبه وحكومتـه تلـك السياسة اى ان الامر مزاج مجتمع وتفسير دينى مسيحى انجيلى ـ مزيف ـ ولكنـه يشـتد وينمو، وكذلك فإن المجتمع الصهيونى يتجه اكثر الى اليمين، لدرجة ان المتوقع زيـادة عـدد مقاعد الليكود ونقصها بالنسبة للعمل، بل ان الانتخابات الداخلية فى كل من الحزبين، جـاءت على يمين شارون فى الليكود، واطاحت بدعاة حل المشكلة بالتفاوض والسلام من امثال يوسى بيلين فى العمل.

وهكذا لم يصبح منطق التفاهم ممكنا، لم يبق امام هؤلاء الا معنى واحد يرددونه، وهو انه ليس بالامكان مواجهة امريكا واسرائيل وحتى لو كان هذا صحيحا، فهل لو استسلمنا مثلا سوف يرحموننا؟ العكس هو الذى يحدث، فـالكثير مـن المـذابح حـدثت بعـد استسـلام. المهم ان المواجهة هى الطريق الوحيد الباقي، وهو طريق ربما يحقق النصر او فرصة النصر

فى المستقبل او المحافظة على استمرار حيوية الامة ولو تحت التراب، اما الاستسلام، فهـو الموت عمليا، والمذابح، والفقر، وضياع الفرصة الى الابد، بـل ونهايـة امتنـا وحضـارتنا ووجودنا، ولن يبقى حتى هؤلاء الذين يدعون الى التفاهم، فلن يكون مرغوبا فى وجود احـد سوى من يقبل ان يكون عبدا للسيد الامريكى والاسرائيلى وبالتالى فان على مدرسة التفاهم ان تعيد تسمية نفسها بمدرسة العبيد، او تغلق ابوابها بشجاعة وتقول لقد اكتشفنا ان الامر لـيس كذلك وان امريكا واسرائيل لاتريدان التفاهم ولا السلام ولا اعطاء شئ من الحقوق، بل حتى لايريدون لنا اى نوع من الكرامة والوجود والتقدم والرفاهية، ولو فعلوا ذلـك لكفـروا عـن خطاياهم السابقة فى التطبيع والتدجين والشوشرة على كفاح مدرسة المواجهة والمقاومة

آثار الظلم والحماقة

د. محمد مورو

لا تحسبن الله بغافل عما يفعل الظالمون، ولاتحسبن ان امريكا ستفلت فى النهاية من غضب الرب على ما اقترفت فى حق الشعوب والأمم من جرائم وهذا فى المنظور البعيد والاستراتيجي، ولكن حتى فى المنظور الآنى فان مقاومة الظالم والتصدى له لها نتائج ايجابية سريعة على مستوى الشعوب المضطهدة اولا، لان المقاومة ترفع من معنوياتها وتشفى غليلها، وعلى مستوى الظالمين انفسهم وجيوشهم ولعل مايحدث فى العراق من مقاومة باسلة هو خير دليل على ذلك فالمقاومة تشفى صدور وغليل الشعوب المظلومة كلها خاصة الشعوب العربية والاسلامية وتفتح بابا للامل، وهى ايضا توجع الطغاة وتقتل منهم عددا متزايدا مما يجعلهم يرتدعون ولو جزئيا ليست خسارة الطغاة فى القتلى والجرحي، وليس فى حرمانهم من نيل ثمار عدوانهم، و لكن ايضا على المستوى الصحى والنفسى بالذات وعلى سبيل المثال فقد انتشرت فى ارجاء الولايات المتحدة عشرات المصحات النفسية المتخصصة فى علاج آلاف الجنود العائدين من العراق وافغانستان الذين يعانون من امراض نفسية خطيرة نتيجة ما واجهوه فى الحرب هناك، ووصلت نسبتهم فى العراق وحده الى سدس اجمالى القوات التى شاركت فى الحرب، وذلك طبعا لموقع صحيفة نيويورك تايمز الامريكية على الانترنت الذى افاد بأن طول امد الحرب بالعراق وتصاعد حدة المقاومة التى يواجهها الجنود هناك ضاعفا من حالات الاصابة بالامراض النفسية بينهم مما اثار قلق الاطباء النفسيين بشأن خطورة الحالات القادمة، ونقل موقع الصحيفة المذكورة عن الاخصائى النفسى "ايفان كانتر" بمصحة باجيت ساوند للمحاربين القدامى بمدينة سياتل الامريكية قوله "ان مصحته تستقبل اعدادا متزايدة من الجنود المرضى الذين تظهر عليهم الاعراض المعروفة لضغوط مابعد الصدمة، وانهم فى المصحة يترقبون في قلق وصول طوفان من المصابين من العراق وافغانستان" وقالت مصادر طبية - حسب نفس موقع الصحيفة - ان نظام الرعاية الصحية فى الولايات المتحدة يتوقع استقبال عشرات الآلاف من الجنود العائدين من المعارك فى العراق وافغانستان ممن يعانون من مشاكل صحية نفسية نتيجة للضغوط التى تعرضوا لها هناك بسبب عمليات المقاومة. "إنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون".

أرقام مفزعة

د. محمد مورو

فى تقرير لوزارة الصحة العراقية تبين ان ٢١% من سكان البصرة مثلاً مصابون بالسرطان نتيجة استعمال اسلحة اليورانيوم المنضب او غيره من الاسلحة التدميرية التى استخدمتها قوات التحالف الامريكى البريطانى فى غزوها واحتلالها للعراق، وهذا الرقم مفزع جداً وهو اضعاف اضعاف الارقام العالمية المعروفة، وبديهى انه اذا كان ٢١% من سكان البصرة قد اصيبوا بالسرطان من جراء تلك الاسلحة فان الامر سيكون قريبا من تلك النسبة فى باقى محافظات ومدن العراق وقراه، اى سيكون اعلى قليلاً او اقل قليلاً من نسبة ٢١%، وفى البصرة وحتى يمكننا تصور خطورة الامر فان رقم ٢١% يعنى ان ٠٦٣ الف مواطن اصيبوا بالسرطان على اساس ان عدد سكان البصرة ٣ ملايين، واذا كان عدد سكان العراق مثلاً ٥٢ مليونا فان اصابة ٢١% من السكان بالسرطان يعنى ان هناك حوالى ٣ ملايين مواطن مصابين بهذا المرض الخطير، وهوامر مأساوى بكل المعايير.

وفى تقرير آخر منسوب الى احدى مؤسسات وزارة الصحة، وهو تقرير قام باعداده فريق من وزارة الصحة سراً وتم تسريبه حيث ان الامريكان كانوا قد طلبوا التوقف عن الاستمرار فى اعداد هذا التقرير واعتقلوا القائمين عليه، فى هذا التقرير تم حصر الضحايا المدنيين العراقيين من شهر مارس حتى شهر اكتوبر ٣٠٠٢، وقد وصل الرقم الى حوالى ٠٤ الف عراقي، وهو رقم يتناسب مع الارقام التى نشرتها احدى الصحف البريطانية الطبية والذى قدرته أن الضحايا حوالى ٠٠١ الف قتيل مدني، على اساس ان الرقم الاول وهو ٠٤ الف قتيل عراقى مدنى تم فى غضون الثمانية شهور الاولى للاحتلال اما الرقم الثانى وهو ٠٠١ الف قتيل مدنى عراقى فهو يتحدث عن مدة زمنية تصل الى العام ونصف العام. وهى ارقام مفزعة على كل حال، وتدل على ان الاحتلال كله شر ولا خير فيه مطلقا، وهذا امر بديهى لأى عاقل

استيلاء بصورة منظمة

د. محمد مورو

قالت الوكالة الدولية للطاقة الذرية ولجنة المراقبة والتحقيق والتفتيش التابعتان لمنظمة الامم المتحدة: ان ٩٠ موقعا عراقيا عالى الحساسية قد تعرض للنهب او الحرق بعد استيلاء القوات الامريكية على العراق، وان تلك الوكالة ظلت ترسل تقارير بهذا الخصوص الى مجلس الامن طوال عام كامل دون ان يتحرك احد وان بعض هذه التقارير تطرقت الى انتقال شحنات من الاسلحة العراقية عالية الحساسية الى دول اخرى او السوق السوداء.

واعترفت صحيفة نيويورك تايمز الامريكية ان عمليات الاستيلاء على اطنان من مخزون المنشآت العسكرية العراقية التى تمت خلال الاسابيع القليلة التى اعقبت سقوط بغداد فى ابريل ٢٠٠٣ تمت بشكل منظم على ايدى مجموعة من اللصوص الذين سبق اعدادهم للقيام بهذه المهمة، ويقول سامى العراجى نائب وزير الصناعة العراقي: ان عملية عالية التنظيم استهدفت منشآت ومصانع بعينها لنهب وتفكيك وحرق اطنان من الاسلحة والمعدات عالية الحساسية، وخاصة تلك التى تصلح لصناعة صواريخ، وان ذلك تم فى عشرة مواقع على الاقل، وان اللصوص جاءوا برافعات وشاحنات ضخمة لنقل محتويات المصانع والمنشآت المستهدفة وانهم كانوا يتصرفون بثقة ويتحركون مباشرة فى اتجاه اهدافهم وان ماقاموا به هى عملية سرقة منظمة محكمة تم الاعداد لها بشكل جيد ولم تتم بشكل عشوائى كما يعتقد البعض، وهكذا فاننا امام لصوص مدربين ـ من دربهم على ذلك؟! ـ يعرفون مكان تلك الاسلحة اى ان عندهم معلومات مسبقة ـ من اعطاهم هذه المعلومات، يتحركون بثقة عالية اى انهم مطمئنون الى عدم تدخل قوات التحالف لمنعهم او اعتقالهم، وان ماتم كان التفكيك والسرقة او الحرق، اى ان الهدف هو التخلص من هذه المصانع، اى تدمير قدرات العراق اولاً واخيراً، وهذا كله لايمكن فهمه الا ان الاجهزة الامريكية او الاسرائيلية كانت وراء تلك العملية.

إسرائيل الكبري

د. محمد مورو

من النيل الى الفرات ارضك يا اسرائيل ..هذا الشعار او الامنية ـ غير الواقعية بالطبع ـ نظراً لاستحالة تحقيق ذلك، لأن ما لاتدركه العقلية الصهيونية ومؤيدوها من المسيحية الصهيونية الغربية، اننا امة عميقة الجذور ثقافيا وحضاريا وكثيفة ديموجرافيا وبالتالى يستحيل تفريغ الارض من النيل الى الفرات ولا حتى بالقنابل الذرية!! هذا الشعار رغم كل ما يمكن ان يقال الآن انه كلام قديم، وان الواقع قد غير مفاهيم الصهاينة نحو السيطرة الاقتصادية والسياسية بمعنى تفسير هذا الشعار على انه من النيل الى الفرات نفوذك يا اسرائيل بل يمكن ان يقول من المحيط الى الخليج نفوذك يا أمريكا ويا اسرائيل.

رغم كل هذا الكلام فان تنفيذ تلك النبوءة التوراتية المزعومة بنصها وشكلها وحروفها لايزال يحرك الصهاينة بمن فيهم قطاعات واسعة من حكومة الليكود ومؤسسة الحكم الصهيونى ذاتها وبالتالى فلا يجب الا تنسينا اوسلو وخارطة الطريق والانسحاب احادى الجانب من غزة.. الخ.. الخ هذه الحقيقة وبالتالى نتجاهلها رغم خطورتها ليس بمعنى تنفيذها فهذا مستحيل من وجهة نظرنا ولكن لان محاولة تنفيذها يعنى قدرا هائلا من المذابح والدماء العربية الغارقة وهو ما تحدث بروفته الآن فى غزة والضفة الغربية!!

فى مقال يوم ٦ أكتوبر وبمناسبة ذكرى حرب يوم الكيبود كما يسميها الصهاينة كتب يوسف حرمونى فى صحيفة معاريف: ان فكرة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات لاتزال موجودة وقوية فى عقول قطاع كبير من الاسرائيليين وان ذلك يعنى عمليا ترحيل او ابادة كل السكان العرب فى الاردن وسوريا، وقطاع من العراق وسكان شرق النيل فى مصر ولبنان وجزء من تركيا حوالى ١٠٠ مليون عربى وتركى ، وان هؤلاء الذين يفكرون بهذه الطريقة لايشعرون بالقلق تجاه عدم واقعية تلك الاحلام لانهم يعتمدون على المعجزة الالهية ويعبر عن ذلك الحاخام عزرائيل اريئيل قائلا كل محاولة لأن يكون المرء واقعيا هى غير واقعية على الاطلاق ، وان كل شيء فى يد الرب، وحتى لو ادى ذلك الى الحرب والدم والخراب حتى لليهود انفسهم كما يقول يفئال كامينسكى نحن نرى انه تسقط مئات وآلاف القنابل والراجمات على المستوطنات ومع ذلك نتمسك بالنبوءة يقصد من النيل الى الفرات ويبقى انه لاحل الا المقاومة والجهاد والله معنا نحن المسلمين والعرب لاننا على حق، فنحن ندافع عن وجودنا وارضنا ومصالحنا وديننا

اعتراف أمريكي

د. محمد مورو

أكثر من مرة وأكثر من دليل على أن التعذيب الذى حدث للمسجونين العراقيين فى سجن أبى غريب لم يكن مجرد سلوك فردى قام به بعض الجنود الامريكيين بشكل فردى ولكنه كان سلوك مؤسسة ودولة بل وحضارة كاملة وهذا يعنى اننا امام عنصرية عرقية ودينية تعبر عن دولة بلا ضمير بل حضارة كاملة بلا ضمير وانها ليست استثناء بل قاعدة وهذا يعنى فى النهاية انه ليس هناك حل سوى المقاومة، اما الحديث عن امكانية التفاهم مع امريكا او الثقة بها او تصديقها بشأن ما تتحدث عنه - هى وعملاؤها - من انها جاءت لتحرير العراق هو محض خيال وهراء وخداع.

وآخر هذه الادلة ماكشفته صحيفة الواشنطن بوست الامريكية مؤخرا عن ان تقريرا سريا للجيش الامريكى تحدث فى شهر ديسمبر عام ٣٠٠٢ عن انتهاكات ارتكبت بحق المحتجزين العراقيين فى سجن ابى غريب على يد وحدة خاصة بالجيش الامريكى وعملاء لوكالة المخابرات المركزية الامريكية CIA اى قبل مايزيد على شهر من تفجر فضيحة التعذيب فى ذلك السجن وغيره، كما كشف التقرير الذى نشرته الصحيفة وقالت ان موعده كان سابقا بشهر على تفجر الفضيحة ان بعض المحتجزين كانوا قد تعرضوا للضرب والتعذيب وان الكشف الطبى عليهم قد اثبت ذلك وقالت الصحيفة انها حصلت على هذا التقرير من الكولونيل المتقاعد ستيوارت ايه هرينجتون الذى افاد بأن كبار قادة الجيش كانوا على علم بتلك الانتهاكات ومن بينهم الجنرال ريكاردو سانشيز الذى كان وقتها قائدا للقوات الامريكية فى العراق، وان هذه الانتهاكات ابلغت ايضا الى قادة سياسيين، وقال هرينجتون الذى سلم التقرير للصحيفة انه سأل احد الضباط فى مركز الاعتقال عما اذا كانت هذه الانتهاكات قد ابلغت الى رؤسائه فرد الضابط قائلا: ان الجميع يعرف ذلك .

ومعنى هذا انه لولا افتضاح التعذيب بالصور التى نشرتها الصحف لكان من الممكن ان تموت وتمر القضية بلا أى ضجة، وهذا يعنى ضمنا ان الكثير من الانتهاكات تمت هناك ومرت دون ان تنفضح رغم علم القادة السياسيين والعسكريين بها، أو قل لأنها تمت بناء على أوامر من القادة الامريكيين أصلا.

إعتراف بالفشل

د. محمد مورو

فيما يسمى بتقرير سرى منسوب لمكتب الوكالة المركزية للمخابرات الامريكية CIA فى بغداد كشفت عنه صحيفة نيويورك تايمز الامريكية مؤخرا حذر التقرير من تدهور الاوضاع فى العراق وان الاوضاع غير قابلة للاصلاح على الاقل فى المدى القصير، ورغم ان هذا التقرير - سرى - الا ان اى مراقب للاوضاع فى العراق يمكن ان يدرك ان فحوى التقرير معروفة ومؤكدة ولاتحتاج الى مجهود استخباراتى للوصول اليها، فالفشل الامريكى واضح فى القضاء على المقاومة العراقية، والخسائر الامريكية معدلها تزايد والمقاومة تتعاظم وتتسع، والقوى السياسية والطائفية التى راهنت على الامريكان فى موقف لاتحسد عليه، والغريب ان هذه التقارير تصدر وتكشف عنها الصحف الامريكية، ومع ذلك يستمر حديث بوش ورامسفيلد وعلاوى والسيستانى عن ضرورة اجراء الانتخابات فى موعدها واخرها التصريحات المشتركة لكل من الرئيس الامريكى جورج بوش الثانى والرئيس العراقى المعين ابان زيارة الاخير لواشنطن مؤخرا، وقد تزامن نشر هذا التقرير فى صحيفة نيويورك تايمز مع تصريحات الياور وبوش بعد اجتماعهما معا فى واشنطن ابان الزيارة - الميمونة -!! التى قام بها غازى الياور الى واشنطن والتى استقبله خلالها الرئيس الامريكى جورج بوش الثاني.

ذكر التقرير ان الاوضاع فى العراق متوترة وتشير الى التدهور باستمرار وانها غير قابلة للاصلاح فى المدى القصير، وان الصورة تسودها القتامة سواء على المستوى الامنى او السياسى او الاقتصادى وحسب الصحيفة نفسها فان هذا التقرير هو محصلة مراقبة ومتابعة جمع معلومات وتحليل من اجهزة الاستخبارات الامريكية فى العراق لمدة عام كامل، وان التقرير خلص الى التحذير من مغبة ارتفاع حدة العنف والنزاعات الطائفية مالم تتمكن الحكومة العراقية من السيطرة عليه وبناء اقتصاد البلاد بطريقة سليمة وقد اعترف مسؤولون امريكيون بعد نشر التقرير بأن التقرير هو تقييم صريح للمصاعب الموجودة فى العراق، وان تقريرا آخر مختصرا قدمه مسؤول رفيع المستوى فى وكالة المخابرات المركزية الامريكية زار العراق مؤخرا يتوافق مع مضمون التقرير الاول وان هناك الكثير من النقاط المشتركة فى التقريرين.

المثير والملفت للنظر ان هذين التقريرين بعد انهاء عملية الفلوجة فى منتصف نوفمبر الماضى - اى ان الاوضاع مرشحة للمزيد من التدهور رغم احتلال القوات الامريكية للفلوجة!!

اعتراف بالهزيمة

د. محمد مورو

نشرت صحيفة المستقبل العربى نص شهادة انتونى كوردسمان الاستاذ بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن ادلى بها امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي.
قال كوردسمان يتوجب على الولايات المتحدة ان تكون مستعدة للفشل فى العراق الا ان الخروج تكتيك وليس استراتيجية وان من شأن الخروج من العراق ان يمحو الخسائر البشرية الامريكية ونفقات خوض الحرب، ولكنه يخلق من المشكلات قدر مايحل بل واكثر، وبالتالى فان ترك ميراث من الفشل السياسى والفوضى والصراع الحالى فى العراق ليس استراتيجية، وان وضع استراتيجية يعنى انه يتوجب علينا ان نعيد بناء موقفنا برمته فى الشرق الاوسط، وجنوب غرب آسيا، وان نعيد هيكلة سياستنا الامنية ومركزنا الاقليمى فى منطقة تضم نحو ستين بالمائة من احتياطيات النفط المؤكدة، وان نواجه ماسيزعم التطرف الاسلامى انه نصر هائل وان نتصدى لايران نووية وان نجد طريقا الى اعادة توحيد صدقيتنا فى العالم ، ويضيف قد يصبح التوقف والفرار ضرورة ولكنه لايمكن ان يكون استراتيجية، لا يمكن ان يكون الا هزيمة كبري، يتعين علينا ايضا ان ندرك اننا حيث نحن اليوم بسبب سنتين من اخفاقات كان من الممكن تجنبها فى السياسة والقيادة الامريكيتين .
وبالطبع يشرح الرجل الاخطاء التى وقعت فيها الولايات المتحدة وطريقة اصلاحها، وما يعنينا هنا ليس بالطبع من نشر تلك الاخطاء، وطرق اصلاحها، فهى تنصلح ان شاء الله، لأن الفشل لم يأت من الاخطاء فقط ولكن بسبب اندلاع المقاومة العراقية الباسلة وارادة الشعب العراقى التى لا تلين، ما يعنينها هو ان نؤكد ان الفشل الامريكى فى العراق - هو حقيقة يعترف بها الآن الامريكان انفسهم، وعلى الذين يراهنون على عكس ذلك ان يراجعوا حساباتهم.

اعترافات جنود الجيش الأمريكي

د. محمد مورو

سننقل عددا من اقوال الجنودالامريكيين العاملين فى العراق والتى ترجمتها الاستاذة دعاء محمود تحت عنوان كرهنا الجيش والخدمة فيه سننقل الاقوال دون تعليق ونترك الحكم للقارئ، وهى مترجمة عن صحيفة الجارديان البريطانية:
يقول احد الجنود لقد دمرت الحرب الامريكية هذه الدولة، وضربها الفقر - يقصد الشعب العراقى - وتضخم فيها معدل الامية حيث ادركت ان هذه الحرب التى بادر بها بعض الافراد كانت لصالحهم وليس لصالح الشعب العراقى فنحن كقوات التحالف لم نحررهم بل اغرقناهم فى الفقر .
ويقول جندى آخر: لقد ذهبت الى الحرب فى العراق لقتل الناس الذين اعتقدت انهم مرعبون وتمنيت ان اقتل الالاف منهم وصدقت رئيسنا وتخيلت انه يقوم بواجبه وانه لن يدع القاعدة تقضى علينا،وكنت مع السرية الثالثة فرقة الفرسان السابعة وكانت وحدتى اول من دخلت بغداد، كنت مفزوعا عندما رأيت جثث الموتى لأول مرة واشخاصا قد انقسموا نصفين واطفالا صغاراً دون سيقان حيث ساد الفزع كل ارجاء المكان، مكثت هناك من يونيو ٢٠٠٣ حتى اغسطس ٢٠٠٣ كرهت كل دقيقة قضيتها هناك .
يقول جندى ثالث: هناك عملية نصب كبيرة تجرى هنا حيث ينتشر المتعاقدون المدنيون فى انحاء العراق يعملون كل ما تتخيله دون ان يستفيد الشعب العراقى شيئا.
يقول جندى رابع: قال لى قائد فرقتى اذا خمنت ان مدنيا يمثل خطرا عليك او اشتبهت به فاقتله على الفور ، و ان سبب تشريدنا عن اسرنا هو سبب احمق غير مفهوم .
يقول جندى خامس: لم يكن العراق يمثل تهديدا للولايات المتحدة او لبقية العالم وقد علمت الآن الكثير عن الشعب العراقي، اننى افكر جيدا فى الرحيل الى كندا كلاجئ سياسى .يقول جندى سادس الحقيقة ان الملايين والملايين من الدولارات من اموال دافعى الضرائب الامريكيين والشعب العراقى تسرق هنا بسبب السرقات وتزايد الجشع والتلاعب فى ساعات العمل والاوراق هنا، لقد عذبنى ضميرى لانى شاركت فى هذه السرقة .
ويقول جندى سابع منذ ان اتينا الى العراق لم نتلق سوى نظرات احتقار وعلامات للغضب على مدى الساعة .
ويقول جندى ثامن لقد رأينا فى مرات كثيرة اطفالا قتلى متناثرين فى شوارع المدن بسبب تلك الحرب الملعونة .
ويقول جندى تاسع ليس لدى فكرة عن سبب هذه الحرب، ووجودنا فى العراق ليس من اجل حرية العراقيين، ولا من اجل اسلحة الدمار الشامل

الاختراق السياسى والثقافى بين اسطر " الكويز"

د. محمد مورو

وقعت الحكومة المصرية مؤخرا مع الحكومة الأمريكية مايسمى باتفاقية المناطق المؤهلة الكويز وكلمة الكويز QIZ هى عبارة عن الحروف الثلاثة الاولى لكلمات Qualif ied Industrial zone ومعناها المناطق المؤهلة صناعيا وهى فكرة امريكية مرتبطة بمايسمى بالشرق اوسطية وهى قيام الولايات المتحدة باعتبار بعض المناطق فى احدى الدول مؤهلة لتصدير منتجاتها الصناعية الى الاسواق الامريكية بتسهيلات كبيرة وميزات معينة ٢٥% اعفاءات ضريبية وجمركية ولكن ذلك بشرط ان تكون مكونات تلك الصناعة بها ١١,٧% من المدخلات الاسرائيلية وقد وقعت الاردن من قبل على تلك الاتفاقية، ومعنى هذه الاتفاقية ببساطة اغراء رجال الاعمال والصناعة المصريين على التعاون مع اسرائيل لتحقيق تلك الميزة، وهذا ينسف فكرة المقاطعة العربية لاسرائيل شعبيا وحكوميا ويجعلها شبه مستحيلة كما انه يسمح للاسرائيليين بنوع من الاختراق السياسى والثقافى والتطبيعى فى قطاع هام من القطاعات المؤثرة، شعبيا مثل رجال الاعمال والتجارة بل والعمال العاملين فى تلك الصناعة، او بكلمة اخرى يجعل المصرى ينظر الى الاسرائيلى المحتل كصديق وشريك اقتصادى وليس عدوا محتلا للاراضى الفلسطينية والعربية ويمارس اقسى انواع القهر على الشعب الفلسطيني، كل ذلك فى مقابل الحصول على ميزة اقتصادية غير مؤكدة، اى ان الجانب السياسى والنفسى مؤكد بينما الحديث عن زيادة الصادرات المصرية الى الولايات المتحدة بفضل تلك الاتفاقية مشكوك فيه لأن المسألة تتصل باشياء اخرى مثل جودة الصناعة اصلا وقدرتها التنافسية و كذلك فان المسألة تتصل اصلا بضرورة فتح اسواق فى المناطق القابلة للصناعة المصرية كافريقيا والدول العربية وهذا هو المضمون قبل السوق الامريكية غير المضمون

الإصلاح فى العالم العربي

د. محمد مورو

الولايات المتحدة الأمريكية تزعم وتدعى انها تريد الاصلاح فى العالم العربى وقدمت اكثر من مبادرة بهذا الشأن، وبعيدا عن ان فاقد الشيء لا يعطيه، فان تلك المبادرات الامريكية لم تكن صادقة ولا حقيقية بل هى نوع من وسائل الضغط والتخويف لتطويع سياسات الدول العربية تجاه اسرائيل وتجاه الاجندة الامريكية فى المنطقة ليس الا، بل اكثر من ذلك يمكننا ان نقول ان الولايات المتحدة الامريكية ضد الاصلاح فى الوطن العربى فى حقيقة الامر، وما يؤكد ذلك ان دبلوماسيين فى مقر الامم المتحدة فى نيويورك قد كشفوا النقاب عن ان تقريرا للمنظمة الدولية حول الاصلاح فى العالم العربي، قد تم تأجيل صدوره وتجرى اعادة صياغته بعد ان مارست الولايات المتحدة وبعض الدول العربية ضغوطا على المنظمة لتخفيف حدة نتائجه، وتفيد اوساط المسؤولين بالامم المتحدة ان التقرير كان قد اعده عدد من الاكاديميين والباحثين العرب وكان مقررا ان يصدر فى اواخر ٢٠٠٤ ولكنه لن يصدر قبل عام آخر على الاقل وربما لن يصدر اصلا، وحسب صحيفة نيويورك تايمز الامريكية التى نشرت الخبر، فان الولايات المتحدة وبعض الدول العربية اعربت عن قلقها بخصوص التقرير لانه ربط بين الاصلاح وحل مشكلة فلسطين مثلاً، كما تعرض للحرب على العراق فى اجزاء منه، وبديهى ان التقرير المذكور الذى تم تأجيله قد مس ذلك مسا خفيفا جداً ومع ذلك لم تطقه الولايات المتحدة والغريب ان الدول العربية التى تعرضت حكوماتها لنقد الولايات المتحدة والتى طالبتها الحكومة الامريكية بالاصلاح، هى ذاتها التى نسقت مع الولايات المتحدة او نسقت الولايات المتحدة معها لتعطيل صدور التقرير، وهكذا فان الاصلاح على الطريقة الامريكية امر غير جدى ولا حقيقى بل هو وسيلة ضغط لا اكثر ولا اقل.

الأطروحات الأمريكية

د. محمد مورو

الأطروحات السياسية والثقافية التى تريد امريكا ترويجها فى العالم العربى والاسلامى اطروحات مريبة طبعاً، وجزئية وملفقة وتستهدف فى النهاية تغيير الظروف والثقافات والاوضاع التى تفرز المقاومة والصمود والتحدى وعدم الانصياع للمشروع الصهيونى الامريكى وبديهى ان كل المشروعات الامريكية للاصلاح السياسي، او تجديد الخطاب الدينى او تغييرمناهج التعليم تستهدف نفس الهدف وخاصة ما يتصل منه بقبول اسرائيل وعدم مقاومتها!!

فى الاطار نفسه فان هناك مراكز ابحاث عربية الاسم - امريكية الهوى والتوجه والصنع، تقوم بترويج نفس الافكار ومن الافكار التى تروجها هذه المراكز فى ندواتها ونشراتها مثلا ان المقاومة العراقية تعطل نقل السلطة الى العراقيين، وان ماتقوم به امريكا يستهدف تحرير العرب من القيود التى خلفتها الحضارة العربية - يقصد طبعاً بالحضارة العربية الاسلام والحضارة والثقافة الاسلامية - وأن مشروع الشرق الاوسط الكبير مشروع مفيد يخدم الشعوب العربية ويخلصها من الديكتاتورية ويوفر لها الحرية والديمقراطية، وان الحكم الامريكى هوالافضل ويجب نسيان الحكم الاسلامى الذى لم يعد يصلح الآن، وان امريكا هى رب الاسرة الدولية التى يجب ان ننصاع لاوامرها، وانها جاءت الى العراق لتحريره ويجب تقديرهم وشكرهم على ذلك، وان على امريكا ان تبقى فى العراق لتأهيل شعبه وتثقيفه وتحضيره!!

ولعل من اطرف ما تقول به هذه المراكز ان الامريكان لم يأتوا الى العراق لنهب البترول لانها تكلفت حتى الآن ٥٠٠ مليار دولار لتحرير العراق وبديهى ان بترول العراق لن يعوضها عن ذلك ولعل هذه النقطة جديرة بالمناقشة، فقد يكون هذا صحيحا، ولكنه لايعنى براءة امريكا ونزاهة اغراضها، بقدر مايعنى ان الحرب والعدوان ليس لاسباب اقتصادية وبترولية فقط، بل السبب الرئيسى فيها سبب حضارى وثقافى فى اطار الرغبة فى القضاء على الحضارة العربية والاسلامية واعلاء شأن اسرائيل وهو توجه صليبى صهيونى معروف خاصة فى ظل صعود اليمين المسيحى الاصولى الامريكى المتطرف!!

البنيان التحتى للمحافظين الجدد

د. محمد مورو

فى تحليل لا يخلو من الدلالة والوعي، ترى الدكتورة منار الشوربجى المدير الاكاديمى لمركز الدراسات الامريكية بالجامعة الامريكية بالقاهرة ان توقع انهيار نفوذ المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة الامريكية هو توقع خاطئ .
وترجع الدكتورة منار ذلك الى ان مصدر نفوذ هذا التيار ليس مبنيا فقط على تولى رموزه مواقع حساسة فى ادارة الرئيس الامريكى جورج بوش، بل ان ذلك ليس الا قمة جبل الثلج، وان المصدر الحقيقى لنفوذ تيار المحافظين الجدد ينبع من نجاحه المذهل عبر اكثر من عقدين كاملين فى خلق البنية الفكرية والمؤسسية التى تسمح له بالقيام بهذا الدور الخطير، وان هذا التيار انشأ عشرات المؤسسات الفكرية والبحثية وقامت رموزه بتربية اجيال جديدة تؤمن بافكاره ويمكنها تولى مواقع حساسة فى ظل اى ادارة ليس فقط فى المؤسسة التنفيذية وانما فى المواقع التحتية ايضا فى الاعلام والكونجرس والمخابرات وغيرها.
وبكلمة اخري، فانه لولا ان تيار المحافظين الجدد يعبر عن بنيان فكرى وحركى ومؤسسى تحتى يعمل فى بنية المجتمع الامريكى فان تولى عدد من رموز هذا التيار مواقع هامة فى ادارة بوش لم يكن يكفى لاحداث الانقلاب الراديكالى الذى حدث فى السياسة الخارجية الامريكية. وان هذا التيار - فى رأى الدكتورة منار - هو اقوى التيارات الامريكية حاليا، لانه التيارالوحيد فى امريكا المنتج للافكار، وان التيارات الاخرى لا تقدم بديلاً فكريا متماسكاً وانها فى حالة فوضى وارتباك، وبالتالى فان ازاحة هذا التيار لن يكون بازاحة الرئيس بوش فقط، ولكن بظهور حركة اجتماعية قوية من اسفل المجتمع الامريكى تناهض الاسس الفكرية والسياسية لهذا التيار.

التجرد من الكرامة الإنسانية

د. محمد مورو

التجرد من الكرامة الانسانية هو عنوان احدث تقرير صادر عن منظمة العفوالدولية ويتكون من ٢٠٠ صفحة ويمثل رصداً شاملاً لممارسات الولايات المتحدة الامريكية ضد حقوق الانسان ـ وخاصة العربى والمسلم ـ سواء داخل الولايات المتحدة نفسها او فى العراق وافغانستان، وجوانتانامو، وقد اشار التقرير الى تحايل واشنطن على القوانين والمعاهدات الدولية التى تمنع التعذيب بدلاً من تركيز جهودها على ضمان حماية حقوق الانسان وقد ان عبرت المنظمة عن انزعاجها البالغ من تلك الممارسات، وعن دهشتها تجاه واشنطن التى استندت فى حملتها على العراق الى ما اسمته بانتهاكات النظام العراقى السابق برئاسة صدام حسين لحقوق الانسان العراقي، ثم قامت هى نفسها بانتهاك حقوق الانسان العراقى على اكثر من مستوى وخاصة فى سجن ابو غريب، وانها طالمانفت ذلك ثم ثبت صحته فيما بعد بما لايدع مجالا للشك مما يدل على كذب الحكومة الامريكية وذلك عندما نبهت المنظمة الى تلك الممارسات قبل افتضاحها علنا، الا انه فى كل مرة كان يتم تجاهل تلك التنبيهات او نفيها من قبل الادارة الامريكية.
وطالبت المنظمة فى هذا الصدد بضرورة تشكيل لجنة تحقيق امريكية موسعة تتولى تقييم سياسات الاعتقال وممارسات التحقيق مع المحتجزين المتبعة حاليا فى اطار حرب الولايات المتحدة على ماتسميه الارهاب، وشددت على ضرورة محاسبة مرتكبى الانتهاكات لحقوق المعتقلين، التقرير تطرق بالطبع ايضا الى الممارسات الامريكية فى خليج جوانتانامو وهى مأساة كاملة تعبر عن غياب الضمير الامريكى والدولي والتلاعب بالقوانين ومحاولة الافلات منها عن طريق بعض الحيل القانونية وهو امر غير مسبوق فى السجل العالمى لانتهاك حقوق الانسان، وكذا اصدار الاوامر من القادة الامريكيين باطلاق الرصاص على المستسلمين فى افغانستان ـ كما حدث فى قلعة جانجى ـ.
ومن المثير ان التعذيب صار يتم فى السجون داخل الاراضى الامريكية نفسها او ارسال من ترى واشنطن ارسالهم الى سجون عربية صديقة لها ليتم تعذيبهم واستنطاقهم ومن ثم عودتهم الى امريكا!!

التحالف الأطلسي

د. محمد مورو

هل يمكن ان يكون العقد القادم هو عقد التحالف الأطلسي، او بمعنى آخر هل يشكل التحالف بين امريكا واوروبا السمة الرئيسية للعقد القادم، هذا ماتقول به نتائج الزيارة التى قام بها بوش الى اوروبا بهدف اعادة التحالف والتفاهم على جانبى الاطلسي، وعلى كل حال فهذا التحالف ان كان سيستمر هو تجسيد لفكرة صراع الحضارات التى قال بها صمويل هاتنجتون ذلك ان التناقضات الثانوية بين امريكا واوروبا - وهى تناقضات اقتصادية أساسا - زالت او تخففت او تركت مكانها لتحل محلها تناقض بين الحضارة الغربية على جانبى الاطلسى والحضارة الاسلامية عموما والعربية منها خصوصا، ونلاحظ هنا ان التقارب قد تم على قضايا تخص ايران وملفها النووى - باتجاه الرأى الاوروبى الداعى الى محاولة التفاهم مع ايران واعطائها حوافز للتخلى عن برنامجها النووي، وقضايا تخص الموضوع السورى اللبنانى - باتجاه الموقف الامريكى المتشدد والداعى الى ذبح المقاومة وتأديب سوريا - لصالح اسرائيل طبعا، وكذلك على القضايا الديمقراطية فى المنطقة العربية وهى تعنى فى المفهوم الامريكى - الاوروبى القبول باسرائيل والتعاون معها قبل ان تعنى التعددية السياسية وتداول السلطة واحترام حقوق الانسان، ونلاحظ هنا ان التقارب الامريكى الاوروبى تم على خلفية تصاعد وقوة المقاومة العراقية وهو ما يشكل اولا خطراً على المشروع الغربى برمته الامريكى - الاوروبى وهو خطر ادركته دول اوروبا وفهمته وعبرت عن خوفها من انتصار المقاومة العراقية، وكذلك فان فشل امريكا فى ذبح المقاومة العراقية جعلها تتراجع عن الانفراد بالكعكة ومحاولة بناء امبراطورية امريكية بتجاهل الشريك الاوروبي، الرئيس الامريكى طبعا سعيد بهذا التحالف ويرى ان صفحة جديدة من العلاقات الاطلسية قد بدأت ولكن اخطر ما فى الامر ان العرب اساسا سيدفعون ثمن هذا التحالف الاطلسى الجديد، فالوصول الى اوروبا يمر عبر امريكا، والوصول الى امريكا يمر عبر اسرائيل.

التضليل الإعلامي

د. محمد مورو

يخطئ من يتصور ان الاعلام الغربى صادق وبريء، انه يبدو صادقا وبريئا مادام الامر لايصل الى درجة حرجة او محورية، اما اذا كانت الامور مختلفة فان الصدق ينتهى والنزاهة ايضا، وهذا ليس جديدا على امريكا والغرب عموما، ولاننسى انه فى حالات معينة تصل الاذاعة البريطانية الـ بي. بي. سى الى حالات من الكذب الصريح ودس السم فى العسل، وهي الاكثر حرفية وكفاءة وتحظى بقدر لابأس به من المصداقية اكثر من كل الاذاعات الغربية، واذا كان البعض يقول ان الاعلام العربى والاسلامى ايضا كذلك، فنقول نعم ولكن هذا فى اطار حكومات ديكتاتورية لاتمثل شعوبها اصلا!! اما الصدق والنزاهة فهو قيمة اسلامية ثابتة فالمسلم مطالب بقول الحق ولو على نفسه او الوالدين او الاقربين، وعندما نذكر ايضا كيف تمت مصادرة صحف ومنع كتب فى فرنسا بلد الحريات ابان حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وكذلك فيما يخص الموقف الغربى من حرية البحث فى موضوع الهولوكست بصرف النظر عن رأينا فى هذا الموضوع. آخر ما يمكن رصده فى هذا الصدد هو ما كشفت عنه صحيفة نيويورك تايمز الامريكية عن ان وزارة الدفاع الامريكية البنتاجون تنوى إحداث خطة لتطوير قدرة الوزارة على التلاعب فى المعلومات للتأثير على الرأى العام فى الخارج عبر وسائل الاعلام المعروفة ضمن حرب الولايات المتحدة على الارهاب ـ والحقيقة ان تلك الخطة قديمة ولكن الجديد فيها هو جعلها خطة مبرمجة وفق آليات معروفة وهى قد بدأت بالمعنى الجديد فعلاً قبل ان يتم تسريب او تسرب الخبر الى صحيفة النيويورك تايمز ـ.

وقالت الصحيفة: انه سيتم الاعتماد على الاساليب الفنية الخداعية المتاحة لاحداث اضطراب لدى الآخرين، وذكر المسؤولون العسكريون ـ حسب نفس الصحيفة ـ ان تلك البرامج الاعلامية ستتضمن وضع وثائق مزيفة ومواقع على الانترنت لبث اخبار او تحليلات مفبركة. وهكذا فان من الممكن تصور ان كثيرا من الاشياء المنسوبة مثلاً الى المقاومة العراقية والتى ثبت على الانترنت بالصوت والصورة والتى ربما تسيء الى المقاومة العراقية هى من فعل وفبركة البنتاجون وغيره من اجهزة امريكا الملعونة

الرأسمالية المتوحشة

د. محمد مورو

الرأسمالية هى ابشع انواع النظم التى ابتليت بها البشرية، ذلك انها بالضرورة متوحشة، وهى آلية لم يعد احد قادرا على السيطرة عليها ولا حتى الرأسماليون والقادة السياسيون، وبالتالى فضحاياها دائما مرشحون للاتساع، وهى التى ارتكبت جرائم الاستعمار والحروب والنهب والقهر وهى التى تهمش قطاعا واسعا من سكان العالم وستصل فى النهاية الى التهام الضحايا من اهل اوروبا وامريكا والدول الصناعية الكبرى نفسها، بحيث تصل المسألة الى مجموعة من اصحاب الشركات والبنوك والقادة العسكريين فى جانب، وباقى سكان العالم فى جانب آخر.

جرائم الرأسمالية ووحشيتها لاتقتصر على مجال تجارة السلاح ونشر الحروب او افساد البيئة، بل هى متوحشة فى كل جزئياتها، حتى فى الجوانب المرتبطة بالرحمة والانسانية مثل قطاع العلاج مثلا، وهو المفروض لهذا القطاع تخفيف آلام البشر لازيادتها او المتاجرة بها، وكل العلماء الذين افنوا اعمارهم فى البحث عن علاج او دواء لم يفعلوا ذلك من اجل زيادة ارباح الرأسمالية.

وقد فضح كتاب صدر مؤخرا بعنوان صناعة الدواء مافيا تلك الصناعة فى العالم وكيف انها اصبحت وسيلة للنهب وليس الرحمة وتخفيف الآلام، وفى الكتاب عدد من الملاحظات الهامة جدا كالتالي:

- ان تجارة الدواء لم تعد خيارا صحيا او انسانيا وإنما هى خيار اقتصادى يستهدف الربح.
- ان سعر قرص الدواء مثلا - حتى فى الدول الاوروبية - يساوى الف مرة ضعف تكاليف الانتاج.
- ان من المفروض ان تكون نتائج الابحاث الطبية تراثا انسانيا ليس من حق احد احتكاره ولكن العكس هو الذى يحدث.
- شركات صناعة الدواء مثلها مثل شركات صناعة السلاح والبترول وهدفها فقط استغلال الانسان.
- ان مقولات ميكافيللى فى السياسة هى التى تحكم صناعة الدواء، فالغاية تبرر الوسيلة.
- ان الطبيب لم يعد يهمه علاج المريض بقدر ما يهمه السطو على مدخراته، وان المريض اصبح رقما فى سوق الطلب ليس الا، وبهذا فان الطبيب والصيدلى والممرض اصبحوا اعضاء فى مافيا وليسوا ملائكة رحمة.
- ان شركات تجارة وصناعة الادوية تحولت الى وحش مفترس هذا شأن الرأسمالية التقليدية فى اى مجال وزمان ومكان .
- تصل ميزانية تجارة الدواء فى العالم الى ٤٠٠ مليار دولار سنويا.
- ان هناك فسادا متعمدا فى ذلك القطاع عن طريق دفع رشاوى للسياسيين وتمويل الحملات الانتخابية، وكذلك دفع عطايا ومنح وهبات ورشاوى لوسائل الاعلام للمساهمة فى خداع المريض واستغلاله.
- ان الامر وصل الى حد التلاعب فى الدراسات العلمية والمعملية وغياب الجانب الاخلاقى فى التجارب الاكلينيكية، وان هناك عمليات غش واسعة النطاق فى هذا الصدد.
- ان غياب الحس الانسانى وصل فى بعض الحالات الى ترك الآلاف يموتون يوميا مع وجود المصل الواقى لهم، وذلك حتى تستمر مبيعات الدواء لصالح الشركات الكبري.
- ان صناعة الدواء اصبحت احدى آليات الهيمنة الامريكية

التنمية المستقلة/د.محمد مورو

لماذا نطرح التنمية المستقلة كعنصر مهم من عناصر المشروع الحضاري الإسلامي، ومن المفروض أصلاً أن الكون كله لله وبالتالي فإن ثروات هذا الكون تكون لجميع عباد الله وعن طريق التعاون بينهم.

والإسلام أصلاً يحض على التعاون بين البشر لاستثمار الثروات ويجعل حبس وسائل هذا الاستثمار من علوم وتقنية جريمة وإثماً كبيرا، كما يؤكد على حقيقة عدالة التوزيع بمعنى أن تكون هذه الثروات لصالح جميع البشر وليس مجموعة منهم فقط.

والله تعالى وضع في الأرض والكون من الثروات ما يكفي لسد حاجة كل البشر بل وتكفي أضعافهم آلاف المرات بشرط بذل الجهد في الكشف عن الثروات وتوزيعها بعدالة يقول الله تعالى "وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الإنسان لظلوم كفار".

ظلوم بمعنى: لا يوزع الثروات بعدالة، وكفار بمعنى: لا يبذل الجهد الملائم في الكشف عنها، لأن الكفر لغوياً يعنى الستر وعدم الكشف والجحود.

نحن إذن نطالب ونحرص على التعاون بين البشر في كل مجال والمجالات الاقتصادية خصوصاً، ونريد أيضاً ترقية وتحسين وسائلنا الإنتاجية بأحدث وسائل العلم والتكنولوجيا ولكن هناك ظرفاً عالمياً خاصاً يعيشه العالم الآن يحتم علينا خيار التنمية المستقلة، ذلك أن أوروبا استخدمت تفوقها العلمي والعسكري في قهر العالم أجمع ونهبه وضاعت العلاقات الاقتصادية الدولية بحيث تصب في النهاية لمصلحتها على حساب الشعوب الفقيرة، وأصبح الحديث عن حرية التجارة حديثاً عن حرية النهب أساساً بل وأصبحت مؤسسات مالية دولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي مجرد قفازات لتشويه البيئة الاقتصادية المحلية في الأقطار الضعيفة بحيث يسهل نهبها.

والاستعمار القديم والجديد وفي كل صوره عمل جاهداً بالقهر والعنف أو بالخداع عن طريق الجيوش أو عن طريق اتفاقيات التجارة الدولية والنظام النقدي الدولي، والمؤسسات المالية الدولية على صياغة البيئة الاقتصادية والاجتماعية في الدول الضعيفة بحيث تحقق للدول الاستكبارية أكبر قد ممكن من النهب[χ] وبالطبع فلا سبيل- طالما كان هناك هيمنة ونهب أوروبي واستكباري- إلا اتخاذ طريق التنمية المستقلة، وقطع كل خيوط التبعية بل وكل ما أمكن من العلاقات الاقتصادية مع الدول الاستكبارية، والاعتماد على نمط من التنمية يعتمد على الثروات والخبرات المحلية- مهما كانت مختلفة- إنتاجاً واستهلاكاً.

[χ] راجع في هذا الصدد د. محمد مورو- صفحات من كفاح الشعب المسلم في مصر- الزهراء للإعلام العربي.

على سبيل المثال، فإن القوى الاستكبارية تحرص مثلاً على تشويه وتدمير البنية المحلية في قطاع البناء– بمعنى تشجيع ودعم بناء العمارات على النمط الأوروبي، فيتكدس الناس في شوارع ضيقة وعمارات عالية، وهذه تستلزم خامات وخبرات أجنبية في عملية البناء، وتحتاج بعد البناء إلى أجهزة تكييف نستوردها من الغرب، وتحتاج إلى مصاعد نستوردها أيضاً من الغرب، وفي النهاية يحدث تكدس وازدحام في الشوارع فنحتاج إلى بناء كباري علوية نعتمد في بنائها طبعاً على خامات وخبرات أجنبية ثم تحدث مشاكل رفع المياه التي تحتاج إلى ماكينات رفع من الغرب أيضاً، ومشاكل في الصرف الصحي تهدد صحة أطفالنا.. وهكذا كل شيء يصب في النهاية في جيب الغرب على حساب مواردنا المحلية ولو أننا فهمنا اللعبة، ونفذنا نمطاً من العمارة يراعي الاعتماد على الخامات المحلية والخبرات المحلية ويلائم المناخ ويأخذ مختلف العوامل الاجتماعية والمناخية في اعتباره لكان الأمر مختلفاً– حيث يمكن استخدام خامات من التربة المحلية وهذه لا تحتاج مثل الأسمنت إلى أجهزة تكييف وكذلك في طريق تصميم المباني بحيث تكون ملائمة للتهوية ودرجة الحرارة، ولاحظ أن لدينا صحراوات واسعة فما الداعي إلى العمارات العالية وماكينات رفع المياه والمصاعد والشوارع المزدحمة، ألم يكن من الأفضل الاتساع أفقياً بدلاً من رأسياً؟ لتوفير أجهزة التكييف والماكينات والمصاعد بل وتوفير مصاريف الكباري العلوية.. وغيرها[χ] وصناعات ومنتجات البلاستيك مثلاً– التي نهدر فيها الكثير بسبب الاعتماد على الخامات الأجنبية والخبرات الأجنبية التي يمكن الاستغناء عنها بصناعة الفخار المعروفة في الصعيد وهي صناعة قادرة على توفير أفضل أنواع الأواني فضلاً عن تحملها الشديد للحرارة بعكس البلاستيك بحيث يمكن أن تكون كل الأواني وأدوات الطعام من الفخار، وهذا الفخار يعتمد على خامات محلية وخبرات محلية وهو من الناحية الصحية أفضل من البلاستيك الذي له أضرار مؤكدة من الناحية الصحية[χ].

وكذلك صناعة الحصير في الريف المصري المعتمدة على نبات ينبت على شواطئ الترع– أي مجاناً– هو نبات "السمار" ويمكن به الاستغناء عن السجاجيد الفخمة والمفروشات البلاستيكية، وكذا صناعة الجريد من النخيل والتي يمكن بها صنع كل أنواع الأثاث المنزلي والمكتبي اعتماداً على خامة محلية وخبرة محلية، وكذلك الصناعات المنزلية المعتمدة على "الغاب" وهو نبات رخيص جداً يزرع على حواف الأراضي والترع والمصارف ويمكن صناعة أواني حفظ الخبز أو تخزين الطعام منه وكل هذه

[χ] للمهندس حسن فتحي تجربة جديرة بالاهتمام في هذا الصدد وضعها في حيز التنفيذ في عدد من القرى التي صممها وبناها ويمكن مراجعة كتابه في هذا الصدد بعنوان "عمارة الفقراء" كتاب اليوم.

[χ] د. محمد مورو- دفاع عن الاقتصاد الريفي- مجلة العالم اللندنية ١٩٨٥.

الصناعات خاماتها رخيصة وموجودة وخبراتها أيضاً موجودة، وكانت بالفعل ولفترة قصيرة سابقة منتشرة في الريف– إلا أنها بدأت تنهار بعد دخول صناعات البلاستيك وغيرها[χ].

ونظرة واحدة إلى الريف المصري ترينا كيف تم ارتكاب جريمة بشعة، جريمة نهب– تحت شعار التحديث، فالبيت الريفي مثلاً كان يعتمد في بنائه على الطوب اللبن المصنوع من التربة المحلية، والسقف من الجريد والغاب، وفي هذا البيت يوجد فرن لصناعة الطعام ولصناعة منتجات الألبان ويستخدم أيضاً في التدفئة، وهذا الفرن يعتمد في وقوده على روث المواشي وعلى قش الأرز والذرة وحطب القطن، وكلها موجودة بكثرة في البيئة المحلية، وفي البيت الريفي توجد حظيرة للمواشي والطيور، أي هناك اكتفاء ذاتي من اللحوم والبيض ومنتجات الألبان، كما أن هذه المواشي كانت تقوم أيضاً بحمل المنتجات الزراعية من الحقل إلى المنزل وحمل السماد البلدي ولوازم الزراعة من المنزل إلى الحقل مثل الجمال والحمير والبغال، أو تقوم بإدارة ماكينات الري "الساقية والطمبوشة" وكذلك جر المحراث والقصابية وغيرها من آلات الزراعة وكان الفلاح يستفيد بكل هذا في تكامل شديد وبدون اعتماد على خامات أو خبرات من الخارج، أي نمط تنمية مستقل، أما الآن فالبيوت أصبحت من الأسمنت والحديد، ولا حظائر للمواشي، أي لا سماد بلدي، ولا لحوم ولا بيض ولا إدارة للآلات الزراعية ولا نقل عن طريق تلك المواشي، ولا فرن محلي، بل الاعتماد على الخبز المصنوع والطعام المصنوع على أفران البوتاجاز أو السولار، أي هناك حاجة مستمرة لعربات نقل، وسماد كميائي، ووقود غازي أو سائل للأفران والمواقد، ولا حظائر للتخلص من الزبالة والمخلفات، التي كانت تتحول إلى سماد بلدي بدلاً من شبكات صرف صحي، أي أن الإنتاج الريفي لم يصبح مستقلاً بل معتمداً على الخارج أي دخل في دائرة النهب العالمي المعروفة.

وفضلاً عن هذا فإن الفلاح المصري مثلاً كان يبدأ يومه عقب صلاة الفجر مباشرة حيث يصطحب المواشي ويذهب إلى الحقل فيعمل في ضوء الشمس طوال النهار، ويعود بعد أذان المغرب، لينام عقب صلاة العشاء، أي أنه كان يستخدم ضوء النهار كله، ولكن الآن تعود على السهر بعد أن اختل نظام الإنتاج، لأن نظام الإنتاج القديم كان يفرض عليه الاستيقاظ مبكراً والنوم مبكراً، أما الآن فيمكنه السهر إلى ساعة متأخرة من الليل بما يترتب عليه من استهلاك للوقود، فضلاً عن تشويه العلاقات الاجتماعية الريفية التقليدية[χ].

[χ] د. محمد مورو- دفاع عن الاقتصاد الريفي- مجلة العالم اللندنية ١٩٨٥، وكذلك د. محمد مورو- صفحات من كفاح الشعب المسلم في مصر- الزهراء للإعلام العربي- الجزء الأول.

[χ] د. محمد مورو- دفاع عن الاقتصاد الريفي- العالم اللندنية ١٩٨٥.

السبب الحقيقي

د. محمد مورو

على حد وصف الكاتب الصحفى عبد العظيم حماد فى جريدة الاهرام فان صانع القرار الامريكى قد اكتشف ان الطريق الى بغداد لابد ان يمر اولاً بالقدس، وان هذا الاكتشاف هو النقيض تماما لما كان يبشر به المحافظون الجدد فى واشنطن وشركاؤهم فى اسرائيل قبل الغزو الامريكى للعراق من ان الطريق الى القدس لابد ان يمر اولا ببغداد، بمعنى ان احتلال العراق واسقاط صدام حسين سيؤدى ضمن مايؤدى اليه من تداعيات حتمية الى رضوخ الفلسطينيين وبقية العرب الى شروط التسوية التى يمليها ارييل شارون رئيس وزراء اسرائيل وفى مقدمتها بقاء القدس عاصمة موحدة وابدية لاسرائيل وتحت سيادتها المطلقة مع سائر الشروط التى تشكل رؤية اليمين الاسرائيلى للتسوية الواجبة مع الفلسطينيين وغيرهم من الاطراف العربية. هذا المنطق طبعا - وهو مبكر ولكنه صحيح - يرى ان كسب النصر السياسى والعسكرى فى العراق لصالح امريكا يتوقف ويعتمد على دعم عربى اوروبى ودولي، والدعم العربى لأمريكا فى العراق مطلوب جداً من ناحية السيطرة على العراق امريكيا وبدون دعم عربى مستحيل ويرى اصحاب هذا المنطق ايضا ان نجاح تسوية معقولة فى فلسطين سيخفف كثيرا من التعبئة الشعبية العربية ضد سياسات الولايات المتحدة الامريكية ومن ثم سوف يسهم فى نجاحاتها فى العراق ويعطى نوعا من المصداقية المفقودة للسياسة الامريكية ويجعل الحكومات العربية اكثر قدرة على دعم امريكا فى العراق على عكس رغبة شعوبها. على أى حال فان هذا المنطق ماكان ليظهر - وهذا هو المهم - لولا وجود المقاومة العراقية وقدرتها على افشال المشروع الامريكى فى العراق وبالتالى حاجة امريكا للدعم العربى او المصداقية لتطويق تلك المقاومة، وبالتالى فإن الفضل يرجع اولاً واخيرا للمقاومة العراقية فى هذا الصدد، ولكن ينبغى ايضا ان ندرك ان اكتشاف صانع القرار الامريكى ان الطريق الى بغداد يمر عبر القدس لن يجعله يغير سياساته الحقيقية، بل يجعله فقط يلوح بامكانية حل مشكلة فلسطين - فقط مجرد تلويح - وهو امر حدث ايضا عندما تعرضت امريكا لأزمة فى افغانستان ويحدث وسيحدث كلما قويت المقاومة هنا او هناك، ولكن بالفعل اذا وصلت المقاومة فى اى كان - فى العراق او افغانستان - او غيرها الى حالة التهديد الاستراتيجى - يمكن عندها فقط ان تفكر امريكا جديا فى تغيير سياساتها فى فلسطين وتجبر اسرائيل على دفع ثمن ما.

السلام المفقود

د. محمد مورو

السلام المفقود هو عنوان كتاب يقع فى ٨٠٠ صفحة عن المفاوضات العربية الاسرائيلية اعده السفير الامريكى دينيس روس الذى بدأ عمله فى ظل ادارة الرئيس جورج بوش الاب ثم خلال السنوات الثمانى لعهد الرئيس بيل كلينتون وتعامل بالتالى مع عدة حكومات اسرائيلية على مدى ١٢ عاما، دينيس روس، كان يشغل منصب المنسق العام لعملية السلام العربية الاسرائيلية لمدة ١٢ عاما متصلة كان خلالها الشخصية المحورية فى السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط، وبعد ترك منصبه فى عهد الرئيس بوش الابن انتقل الى معهد واشنطن لدراسات الشرق الادنى واهتم بالكتابة عن عملية السلام، دينيس روس معروف بميوله للدولة العبرية، والتحيز لاسرائيل، وكان ضمن مجموعة فى ادارة الرئيس كلينتون مسؤولة عن الشرق الاوسط فى الخارجية الامريكية فى البيت الابيض ومجلس الامن القومي، وهى مجموعة كانت متهمة بالانحياز لاسرائيل، وهكذا فنحن امام رواية شبه اسرائيلية لوقائع المفاوضات العربية الاسرائيلية، ولكن مع الاخذ فى الاعتبار هذا الامر فان من الممكن استخراج العبر التى لا تخطئها عين فى تلك الاحداث كما رواها دينيس روس، منها مثلاً ان الرئيس السورى السابق حافظ الاسد كان فى رأى دينيس روس فى لحظة معينة يحاول حقا التوصل الى اتفاق سلام مع اسرائيل، ولكن عندما ابلغ روس رئيس الوزراء الاسرائيلى ايهود باراك بحماس الرئيس حافظ الاسد للسلام عاد باراك وطرح مجموعة مطالب ادت الى ضياع تلك الفرصة، ويرى روس مثلاً ان المفاوضات الاسرائيلية العربية لم تكن لتنجح لان عملية تسوية حقيقية واقتناعا حقيقيا للطرفين بالسلام لم تنضج بعد وان ياسر عرفات كان عاجزاً عن صنع السلام وكذا الطرف الاسرائيلى ويروى دينيس روس رأيا لأبو علاء قاله له تعليقا على مسارات التفاوض بأن هذا السلام يحتاج الى ٥٠ عاما اخرى لتحقيقه!!

العدوان على أطفال فلسطين

د. محمد مورو

العدوان الاسرائيلى الغاشم والغشوم على شعبنا الفلسطينى متعدد المستويات - الوحشية طبعاً - رأسيا وأفقيا، فهو يغتصب الارض ويشرد الشعب ويهدم البيوت ويدمر البيئة ويقضى على الاخضر واليابس ويقتل الرجال والنساء والاطفال، وهكذا ليس غريبا ولا عجيبا ان ينال الاطفال قسطا بشعاً من هذا العدوان الصهيونى الاسرائيلى تحت سمع وبصر العالم الحر!!

فى تقرير احصائى نشرته جريدة الدعوة الاسلامية حول اطفال فلسطين تبين ان عدد الاطفال الذين استشهدوا بسبب الاعتداءات الصهيونية على غزة والضفة الغربية والغارات الجوية على البيوت والسيارات منذ اندلاع الانتفاضة وحتى نهاية عام ٢٠٠٣ بلغ ٦٣٤ طفلاً اى بنسبة ٢٠% من عدد الشهداء، وان عدد الاطفال الذين جرحوا فى نفس الفترة ٣٣٥٤ طفلاً، وان ٩٠% من اطفال فلسطين المحتلة تعرضوا لتجربة قاسية وحوادث سببت لهم صدمات عصبية، وان ذلك التأثير سوف يستمر فترة طويلة، ويتساءلون: لماذا تنتشر ثقافة الاستشهاد لدى الاجيال الفلسطينية الجديدة!! - ويضيف التقرير ان تأثير العدوان الاسرائيلى على الطفل الفلسطينى متعدد الجوانب فهناك ٤,٤% من الاطفال الفلسطينيين يعيشون مع احد الوالدين بسبب استشهاد الاب او الام بسبب العمليات الاسرائيلية، وان هناك ٤٩٩١ طفلاً حرموا من المأوى نتيجة هدم منازل اسرهم، وان ٤٢,١% من اطفال فلسطين يعيشون تحت خط الفقر، وان هناك اطفالا فلسطينيين يضطرون الى الخروج الى العمل بسبب غياب العائل وقد امكن حصر ٤٠ الف حالة بهذا الصدد.

لعنة الله على اسرائيل وأمريكا!!

العراق تحت الاحتلال الأمريكي

د. محمد مورو

زعم الامريكان وآلتهم الاعلامية والمنافقون العرب أن الجيش الامريكى جاء الى العراق لتحريره وبناء عراق حر مستقر ذى سيادة، وهو كلام لايساوى شيئا ولايصدقه احد، فبديهى ان الاحتلال فى حد ذاته عدوان على السيادة والكرامة وحتى ولو كانت ممارسات الاحتلال كلها اخلاقية وقانونية ومتزنة وهذا مستحيل طبعاً نظرا لطبيعة الاشياء .

على كل حال فما بالك انه بالاضافة الى ضياع السيادة والكرامة، فان الاوضاع ايضا تسير من سيئ الى اسوأ، فالبطالة وصلت الى ٧٠% واعتداء الجنود الامريكيين على الارواح والاعراض اصبح معروفا ومشهورا وحالات الفقر تزداد والبؤس هو سيد الموقف.

وبالاضافة الى ذلك فان الدعارة والرذيلة وشرب الخمر والمخدرات اصبحت ظواهر منتشرة فى العراق بعد الاحتلال، والاحتلال اصلاً فى كل زمان ومكان يروج لهذه الظواهر اصلاً او تنشأ بالضرورة معه لاسباب تتصل ببنية الاستعمار ذاته وما يخلقه من اوضاع واحوال اجتماعية وسياسية فى البلد المُحتل.

وقد اعترفت مجلة نيوزويك الامريكية بذلك فى تحقيق لها حول انتشار الرذيلة والدعارة والاقراص المخدرة والخمر بعد ان سيطرت القوات الامريكية على مقاليد الامور، وتضيف المجلة دون خجل ان ذلك يتم بتشجيع من القوات الامريكية، وتسخر المجلة بالتالى ـ ولا يمكنها الا ان تسخر ـ من طبيعة الحرية التى جلبتها الولايات المتحدة الامريكية الى العراق.

انتشار الدعارة مثلاً امر معروف فى كل حالات الاحتلال الاجنبي، لأسباب تتصل بالأزمة الاقتصادية من ناحية، وسقوط منظومة القيم من ناحية ثانية، وحاجة الجنود الاجانب الى ذلك من ناحية ثالثة، اما انتشار الخمر والمخدرات فهو نوع من محاولة تعويض النقص فى الاحساس بضياع الكرامة بسبب الاحتلال او هروب من معضلات اجتماعية وسياسية لايقدر الفرد على حلها فيهرب الى الخمر والمخدرات، ثم هى نوع من ضرب حيوية المجتمع واضعاف مقاومته، وبالتالى فهى هدف استعمارى ثابت سواء بجلب هذه المخدرات وبيعها مباشرة او عن طريق وكلاء او بالتغاضى عن ذلك او بالاثنين معاً.

الكاردينال كورماك

د. محمد مورو

أحيانا نكتشف بعض ذوى الضمير فى الغرب، وهذا استثناء يؤكد القاعدة، ولكنه استثناء مهم كنوع من الاعتراف او صحوة الضمير او تأكيد الصحيح من الخطأ، ولكن علينا ان نفرق هنا بين نوعين من الضمير الحي، ضمير حى أصلا بصرف النظر عن النتائج وهذا النوع من البشر فى الغرب والشرق وكل مكان يتخذ الموقف الاخلاقى الصحيح من اى مسألة دون مراعاة للظروف والعوامل، نوع آخر يكتشف المسألة بفضل صمود الضحايا، اوبسبب كثرة الخسائر فى الغزاة او بسبب عدم جدوى الموضوع للقوى الاستكبارية، ويهمنا بالطبع هنا ان نصنف ماقاله الكاردينال كورماك رئيس الكنيسة الكاثوليكية فى بريطانيا فى اى نوع من النوعين وهو من النوع الاول ولكن مع ادراك ان كلامه لم يقدم ولم يؤخر على الصعيد العملى فالذى يتخذ القرار فى النهاية هى المؤسسة الحاكمة، وهذه رأسمالية براجماتية عدوانية بالضرورة، وقد انتقد الكاردينال كورماك مورفى اوكونور رئيس الكنيسة الكاثوليكية فى بريطانيا المليارات التى انفقت على الحرب فى العراق وقال فى رسالة عيد الميلاد: انه امر مرعب ان تنفق مليارات الجنيهات الاسترلينية على الحرب فى الشرق الاوسط فيما كان ممكنا انفاقها لاخراج الناس من الفقر وسوء التغذية والامراض الفتاكة، وفى الحقيقة كان هذا الكاردينال قد وجه نداءات متواصلة ضد الحرب، وحتى قبل بدء الحرب واكد دائما ان الحرب فى العراق محكوم عليها بالفشل ولكن ربما يفهم الكاردينال او لا يفهم ان امر انفاق المليارات على الحروب هو نتيجة طبيعية لسيادة الرأسمالية التى تسعى لشن الحروب لبيع السلاح وتشغيل مصانع الموت وللحصول على الاسواق، وهو امر لن يتوقف بالنداءات البريئة بل بالنضال ضد المنظومة الرأسمالية برمتها وضد المؤسسات الحاكمة باسمها وخاصة فى الغرب وامريكا

الفشل الإعلامى الأمريكي.. لماذا؟

د. محمد مورو

حاولت الولايات المتحدة الامريكية القيام بعملية غسيل مخ للشعوب العربية بطرق متعددة، منها انشاء اذاعات وقنوات فضائية وصحف وغيرها، الا ان ذلك كله كان نصيبه الفشل الذريع... فهل الشعوب العربية ذكية ومثقفة بما يكفى لافشال وسائل غسيل الدماغ، ام ان هناك اعلاما عربيا مضادا قادرا على افساد الوسائل الامريكية، ام ان الممارسات الامريكية والاسرائيلية من البشاعة والوضوح بحيث لايمكن عمليا الدفاع عنها ولاتبريرها، بل الغيظ منها واتخاذ موقف معاد بالضرورة لها كنوع من الدفاع المباشر والاستجابة التلقائيةعن النفس، اعتقد ان السبب الاخير هو الاكثر صحة فما لا يفهم او يفهم ويتغابى عنه الامريكان انه لايمكن لانسان سوى فى تلك المنطقة ان يحب امريكا او يتعاطف معها او يفهم منطقها وهو نفسه ينزف الدماء والكرامة والمصالح بسببها.

الاعتراف بالفشل الاعلامى الامريكى جاء هذه المرة على لسان كبير مفتشى وزارة الخارجية الامريكية فى تقرير اعده الرجل عن اذاعة سوا الامريكية التى تنفق الحكومة الامريكية عليها ٢٢ مليون دولار سنويا وكان الهدف منها بث القيم الامريكية وتبرير السياسات الامريكية والوصول الى عقل وقلب العرب فى منطقة الشرق الاوسط، ولكن النتيجة تكاد تقترب من الصفر، فعلى حد قول كبير مفتشى وزارة الخارجية الامريكية، ان تلك المحطة الاذاعية قد فشلت فى مهمتها وان مستوى الجودة بالمحطة كان دون المستوي، ما ينطبق على اذاعة " سوا" ينطبق على قناة الحرة وغيرها من وسائل الاعلام التى انشأتها الولايات المتحدة خصيصا لتوجهها الى شعوب المنطقة، والعجيب ان السبب البديهى فى الفشل وهو بشاعة الممارسات الامريكية فى المنطقة غاب عن التقرير الذى راح يبحث عن اسباب جزئية اخرى تتصل بمستوى المعدين والمذيعين وطريقة نطق اللغة العربية وقلة الميزانيات.. الخ

الكذابون

د. محمد مورو

لعل من ايجابيات الغزو الأمريكى للعراق، رغم سلبياته الكثيرة طبعاً ـ اننا اكتشفنا ان القادة الغربيين من امريكان وأوروبيين كذابون ومتآمرون، وقد اتضح هذا الكذب فى أكثر من شيء مثل الزعم بوجود اسلحة الدمار الشامل، او الأرقام غير الصحيحة عن الخسائر بسبب المقاومة العراقية الباسلة، او قتل الصحفيين والاعلاميين لمنع الحقيقة من الوصول الى الناس، وهكذا فإن فكرة الانبهار بالصدق الغربى قد سقطت الى الابد، وهى فى الحقيقة لم تكن أبدا فكرة صحيحة ولكنه الاعلام الغربى الجبار، على اى حال فان سقوط تلك الفكرة هو أمر ايجابى فى احساسنا بعدم الهزيمة الاخلاقية امام الغرب، ومن ثم القدرة النفسية على مواجهته وانتزاع حقوقنا منه، وبدون الثقة بالنفس اخلاقيا، فان عنصر الصمود الاساسى يسقط بالضرورة، وفكرة كذب القادة الغربيين خاصة بوش وبلير اصبحت من الانتشار والتداول لدرجة ان كتبا صدرت لترصدها، وليس تصريحات او مقالات فقط.

وفى هذا الصدد نرصد كتاب الكاتب الاسكتلندى ديفيد ميلر الاستاذ بمعهد البحوث الاعلامية بجامعة ستيرلنج الذى جاء بعنوان اخبرنى اكاذيب **Tell Me Lies** وشارك فى كتابته عدد من الصحفيين والمفكرين الغربيين مثل نعوم تشومسكى و روبرت فيسك و مارك ستيل وغيرهم، ويتحدث الكاتب عن قدرة الاعلام الغربى على خداع الشعوب وتقديم أكاذيب محبوكة ومن ثم السيطرة على الرأى العام العالمى والمحلي، وكيف ان الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بوش وبلير قد لعبا بعقول الناس وخدعاهما بالحديث الملفق والمزور حول اسلحة الدمار الشامل العراقية ويتحدث الكتاب عن الحرب الدعائية، الحرب الاعلامية، التلفيق فى تغطية اخبار الحرب، والمعنى النهائى للكتاب ان الاعلام الغربى كاذب وغير نزيه، وقد استشهد الكاتب بعدد هائل من حالات الكذب المتعمد والتلفيق فى الاعلام الامريكى والغربى فى الآونة الاخيرة، وخاصة حول الموضوع العراقي.

من ناحية اخرى فإن الدكتور جعفر شيخ ادريس رئيس الجامعة الامريكية المفتوحة يرصد ان الرئيس الامريكى جورج بوش هو أكثر الرؤساء الامريكان المتهمين بالكذب من الدوائرالامريكية العادية والمثقفين على حد سواء.

على الجانب الآخر، فإن احد المحامين المعينين من قبل المحكمة للدفاع عن احد المتهمين المسلمين الفقراء الذين لم يستأجر محاميا قد عقد مؤتمرا صحفيا بعد صدورالاحكام بالادانة على هؤلاء المسلمين امام احدى المحاكم الامريكية قال الرجل انهم يكذبون حين يصفون هؤلاء الشباب بالارهابيين او المجرمين ، وقال انه لم يكن يعرف شيئا عن الاسلام ولا المسلمين حتى اتصل بهؤلاء الشباب، وأن اكثر ما يميز هؤلاء الشباب انهم لايكذبون

الكذب والخداع

د. محمد مورو

دأبت ادارة الرئيس بوش على الكذب والخداع والتضليل، كذبت على العالم وعلى الشعب الامريكى نفسه بشأن اسلحة الدمار الشامل فى العراق وكذبت حين ادعت انها جاءت لتحرير الشعب العراقى فاذا بها تقتل المدنيين وتهدم البيوت وتعيث فى الارض فسادا، وتعذب المعتقلين وتقتل الجرحي!! وكذبت مرات عديدة بشأن عدد قتلاها وجرحاها فى المعارك مع المقاومة العراقية لدرجة وصلت الى الاستخفاف بالعقول فى هذا الشأن، وفى كل مرة تقول الولايات المتحدة انها قضت على المقاومة العراقية فتظهر هذه المقاومة من جديد بصورة اقوى وأشد.
فى تقرير حديث اعده انطونى كوردزمان من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن تم توجيه الاتهام الى ادارة الرئيس الامريكى بوش بالكذب والتضليل واخفاء الحقائق، ووصف التقرير المتحدثين باسم الادارة الامريكية بانهم يعيشون فى الوهم اثناء ادلائهم برواياتهم عن الاحداث فى العراق، وان القوات الامريكية تواجه هناك هجمات اكثر خطورة وأشد فتكا مما يتم الاعلان بسبب الفشل فى تقييم نزيه للحقائق على ارض الواقع كما حدث فى فيتنام.
التقرير الذى كتبه كوردزمان يحمل عنوان الانكار.. وسيلة الحرب المضادة ضد المسلحين فى العراق ، احتوى ايضا على معلومات خطيرة بشأن الاوضاع فى العراق واساليب المقاومة وفشل الجيش الامريكى بكل اجهزته واسلحته وامواله فى مواجهتها، ويرى كوردزمان فى تقريره المذكور ان هناك عددا كبيرا من المتعاطفين مع المقاومة سماهم الجواسيس متغلغلين فى كل مكان ويشكلون تهديدا خطيرا على العمليات الامريكية فى العراق ويمدون رجال المقاومة بمعلومات عن تحركات القوات الامريكية واماكن تواجدها وكيفية اختراق تحصيناتها، ويعترف التقرير ان اعداد المقاتلين فى زيادة مستمرة رغم كل الهجمات المضادة وعمليات القصف والتدمير والاعتقال والمداهمات والتعذيب بحق العراقيين، ويرى التقرير ان الادارة الامريكية قللت من شأن المسلحين ومن حجم مخاطر الجريمة فى العراق وبالغت فى حجم التأييد الشعبى للجهود الامريكية وجهود قوات التحالف وفشلت فى تقديم تقييم نزيه للحقائق على ارض الواقع.

المخطط الاسرائيلي

د. محمد مورو

حسب صحيفة النيويوركر الامريكية فإن هناك مخططا اسرائيليا لتفتيت العراق واقامة دولة كردية فى الشمال، وذكرت الصحيفة ان الخطة "B" التى اعتمدتها المخابرات الاسرائيلية للتعاون مع الأكراد فى اقامة دولتهم تقوم على تدريب الكوماندوز الاكراد للقيام بعمليات خاصة داخل الاراضى السورية والايرانية والتركية لصالح اسرائيل تشمل التجسس والتخريب وغيرها، وفى الحقيقة فإن وجود دور للموساد الاسرائيلى فى الموضوع الكردى العراقي، وربما الكردى التركى والايرانى امر ليس جديدا، بل هو قديم ومعروف، وكذا فان مصلحة اسرائيل فى تهديد وتفتيت دول مثل العراق وايران وسوريا وتركيا امر بديهى ومعروف ايضا، ولكن الجديد هو ان الاحتلال الامريكى للعراق والذى تم بناء على تحريض اسرائيلى ودور كبير للوبى اليهودى فى امريكا اعطى الفرصة الكاملة لتحقيق هذا الهدف القديم، ويجب علينا الا ننخدع بأخبار وتسريبات اسرائيلية عن خطة اسرائيلية لتوطين اليهود فى العراق فالعكس هوالمطلوب، وليس الطبيعى ان يعود المهاجرون من اسرائيل الى العراق واقامة دولة يهودية هناك، ولكن المطلوب هو رجال اعمال وجواسيس يهود واستخبارات لتحقيق نفوذ اقتصادى وسياسى وعسكرى والعمل على اقامة دولة كردية عميلة او تابعة لاسرائيل، وتحظى اسرائيل بداخلها بنفوذ سياسى واقتصادى واستخباراتى قوي.

الكاتب الامريكى سيمور هيرش كشف النقاب عن خطة اسرائيلية لتدريب ٧٥ الف كردى على غرار القوات الخاصة الاسرائيلية، وان اسرائيل عملت من خلال المنطقة الكردية العراقية الى التسلل الى داخل ايران وأقامت مراكز للتجسس والرصد، ويمكنها ان تفعل ذلك فى كل من سوريا وتركيا، وكانت الحكومة السورية قد اتهمت اسرائيل بأنها تعد الاكراد للقتال فى سوريا والعراق وايران وتركيا، وهكذا فإن الخطر الاسرائيلى من خلال الاكراد يهدد عددا كبيرا من الدول العربية والاسلامية، الامر الذى يقتضى التحرك والتنسيق بين هذه الدول لوأد هذا المخطط قبل ان يستفحل خاصة انه خطر وجودى على هذه الدول!!

المزيد من التشدد

د. محمد مورو

التغييرات التى احدثها الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن بعد فوزه فى الانتخابات الرئاسية الامريكية بدورة ثانية مدتها اربع سنوات كلها تؤكد ان الرئيس بوش اصبح مفتونا بسياساته اليمينية المحافظة وانه يريد المزيد منها، او هكذا يريد الذين يحركونه، وعلى عكس ما روج له البعض من أن الرئيس الامريكى يكون عادة فى دورته الثانية اكثر قدرة على اتخاذ قرارات اصعب بالنظر الى انه لم يعد بحاجة الى دعم اللوبيات فى الانتخابات، ولكن ماهو واضح حتى الآن ان العقل والتعقل لايزالان بعيدين عن جورج بوش وادارته، بل انه يتجه اكثر الى اليمين، وفى المسألة الفلسطينية مثلاً تمخض الجبل البوشى فولد فأرا صغيرا حقيرا، هو مجرد وعد باقامة الدولة الفلسطينية عام ٢٠٠٩!!

وبديهى ان هذا هراء فالوعود السابقة والمواعيد السابقة تبخرت فى النهاية، ووعد ٢٠٠٩ بدوره قابل للتبخر فى اى لحظة، مع العلم ان بوش لم ينتقد سياسات الاستيطان الصهيوني، ولا ضغط لوقف حمام الدم فى غزة والضفة بل طالب السلطة الفلسطينية الجديدة بالدخول فى حرب اهلية مع الشعب الفلسطينى تحت مسمى القضاء على الارهاب!! وحتى اذا سلمنا بمنطق ان هناك معتدلين ومتطرفين فى الادارة الامريكية فانه يطاح بمن يسمون بالمعتدلين تباعا وآخرهم كان كولين باول وزير الخارجية الامريكى السابق، الذى حلت محله الآنسة كونداليزا رايس المعروفة بالتعجرف وعدم الاكتراث بالفلسطينيين ويرى المراقبون انها جاءت لتنفيذ سياسات اليمين الامريكى بدون اعتراض او مناقشة او تعديل بل وتنظيف وزارة الخارجية من العناصر الموصوفة بالاعتدال والاقل حماسا للحرب فى العراق.. الخ، وكذا استمرار دونالد رامسفيلد صقر وزارة الدفاع فى منصبه وهو الذى فشل فى الحرب فى العراق ولكن اليمين الامريكى يريد استمراره.
من باول الى رايس ياقلب لاتفرح!!

المعاملة التى يستحقونها

د. محمد مورو

فى تحقيق النيوزويك الامريكية تبين ان الجنود الامريكيين يعاملون الشعب العراقى معاملة غير لائقة ولا كريمة حتى ولو كانوا من الموالين للاحتلال او الذين لا علاقة لهم بالمقاومة، وهذا امر بديهى ولا جديد فيه، فالاحتلال هو الاحتلال ولكن المثير فى الامر ان تلك المعاملة وصلت الى السادة الوزراء، وقد نقلت مجلة النيوزويك اخبار وحوادث بهذا الصدد منها مثلاً الوزير هاشم الحسانى الذى كان يتولى وزارة الصناعة والمعادن فى حكومة علاوي، والرجل عاش فى امريكا سنوات طويلة قبل ان يأتى مع الدبابات الامريكية، اى انه يجيد اللغة الانجليزية باللهجة الامريكية وبالتالى لايمكن الكلام عن سوء فهم حدث، فضلا عن ان الرجل اخرج بطاقته وهويته التى تدل على شخصيته ومع ذلك تعرض للكمات مستمرة من احد الجنود، وذلك داخل المنطقة الخضراء ذاتها.

يقول هاشم الحسانى "اجل لقد لكمنى الجندى وكنت لطيفا معه، واستمررت فى الحديث معه، ولكنه استمر فى لكمي، لقد كان الوضع خطيرا، ولكننا سيطرنا عليه بالحكمة فى ذلك الوقت".

والمثال الثانى هو الوزير عدنان الجنابي، الذى تم ايقافه فى احدى نقاط التفتيش وتقدم اليها واثقا من نفسه فهو وزير وصديق لأياد علاوى ومقرب للامريكيين واخرج هويته للتعريف بنفسه ورغم ذلك لكمه جندى على وجهه ومنعه من الدخول، بل عندما اشتد الامر تقدم منه ملازم فى الجيش الامريكى وقام بتقييد ايدى الوزير - الهمام - بقيد بلاستيكى ويعترف الجنابى "كانت يداى مكبلتين بالطريقة التى يكبلون بها الارهابيين، والملازم الذى قيدنى كان يعرف من انا" - ويقول الجنابى ايضا "ان كل وزير عراقى عومل معاملة غير لائقة من الجنود مرات عديدة، وفى كل اجتماع وزارى يصل - على الاقل - وزير واحد متأخرا نتيجة المعاملة السيئة".

لا جديد فى الموضوع، فهذا ما حدث ويحدث مع العملاء فى كل مكان وزمان بدءا من الجنرال يعقوب الذى كان عميلا للحملة الفرنسية فى مصر وانتهاء بعملاء اسرائيل من جيش لبنان الجنوبي، فكلهم القت بهم سلطات الاحتلال الى المزبلة بمجرد انتهاء دورهم

المقاومة والذراع السياسي

د.محمد مورو

ظهرت فى الاونة الاخيرة دعوات من اكثر من طرف وجهة او مفكرين وصحفيين وكتاب كلها تطلب اقامة ذراع سياسى للمقاومة العراقية على اساس ان من الضرورى ان يفهم العالم ماذا تريد المقاومة، ومن هي، وفى الحقيقة فان هناك اختلافا فى الهدف من هذا الطلب، فهناك من يطلب ذلك مخلصاً حتى تصبح المقاومة العراقية ـ وهى الآن عملاق عسكري، لها ذراع سياسى يخدم اهدافها ويشرحها ويبررها ويقطع الطريق على اى مزايدة بشأنها او اتهامها بأنها بلا برنامج سياسى مثلاً او انها متطرفة اوغيرها من التهم، وهناك فى المقابل من يطلب الامر ذاته كنوع من النقد للمقاومة والتشكيك فيها والايحاء بأنها ذراع عسكرى بلا عقل ولا قلب. وبداية فان من حق المقاومة العراقية ان يكون لها الآن او بعد الآن او فى اى وقت تختاره هى ذراعها السياسي، او تعلن الآن او لا تعلن عن نفسها وهويتها واهدافها، فهذا امر يرجع الى عوامل تقدرها المقاومة ذاتها ومن المعروف ان حزب الله لم يعلن عن نفسه الا بعد عامين من بدء عملياته العسكرية ضد القوات الاسرائيلية فى لبنان، وان كنت انا شخصيا مثلاً ارى ان من الافضل عدم الاعلان عن نفسها الآن حتى لاتستطيع الاجهزة الامريكية تحديد الاسلوب الصحيح للقضاء عليها، وبديهى ان التعامل مع المقاومة كشئ غير محدد يجعل الاجهزة الامريكية اقل قدرة على القضاء عليها او تصفيتها، المهم فى النهاية ان المقاومة تدرك ماهو افضل لها وعلينا الا نزايد عليها.واذا كان البعض يريد البرنامج السياسى للمقاومة فهذا بالطبع امر سهل يستطيع اى انسان ان يقدمه وليس امرا معجزا يزايد به المشككون فى المقاومة، فيكفى ان نقول ان المقاومة تستهدف تحرير العراق من الامريكان..أليس هذا برنامجا كافيا لاى حركة مقاومة، واذا اردتم المزيد تقول المقاومة نريد عراق موحدا ديمقراطيا لاطائفيا ووحدة العراق امر يتفق عليه الوطنيون والقوميون والاسلاميون، وتقول ان العراق عربى مسلم وهذا امر ايضا يوافق عليه الوطنيون والقوميون والاسلاميون هل تريدون اكثر، المقاومة تريد دحر العدوان الامريكي، وهى جزء من الحركة العالمية لمناهضة المشروع الامريكى الصهيونى للهيمنة على المنطقة والعالم، وهذا امر يتفق عليه القوميون والاسلاميون والوطنيون بل وايضا اليساريون الشرفاء لاتزايدوا بعد اليوم على المقاومة فيكفى انها مقاومة وهذا فى حد ذاته برنامج سياسى بل وذراع سياسى يتحدث عن نفسه بلا لسان

الهدف .. علماء العرب د- محمد مورو :

لا ينسى أحد كيف تحركت الأجهزة الجهنمية فى أمريكا وإسرائيل لاغتيال عدد من علماء الطاقة والذرة العرب من أمثال الدكتور يحيى المشد والدكتور سعيد بدير والدكتورة سميرة موسي ، هذا بالإضافة بالطبع إلى إغراء آخرين أو الضغط عليهم بوسائل مختلفة لمنعهم من تطوير القدرات العربية ، وهذا بالطبع مفهوم ، رغم أنه يشكل جريمة دولية ، فما العمل فى زمن يستحل فيه الكبار دماء وكرامة الضعفاء ، وما الذى أضعفنا سوى تساهلنا فى حقوقنا وعدم تمسكنا بها . ؟

مفهوم لأنه بات معروفا أن أى محاولة للنهضة العربية مرفوضة غربيا وأمريكيا وإسرائيليا ، بل إن الغرب لم ينشئ إسرائيل أصلا إلا لهذا الهدف ، وبديهى أن العلماء هم أهم قاعدة علمية فى مشروع النهضة وطالما كان هناك علماء وإرادة تقدم ، فإن النهضة يمكن أن تتحقق ، ولكن كما قلنا فإن الفيتو الأمريكى والغربى على النهضة اقتضى بالطبع حرمان المنظومة العلمية العربية من أهم عناصرها وهم العلماء ، ولن يكن غريبا أن تسعى الولايات المتحدة إلى إرهاب العلماء العراقيين ومحاولة استجوابهم أو السعى وراءهم لإخراجهم من العراق لحرمانه من تلك القاعدة العلمية ولكن الأكثر استفزازاً أن المطاردة الأمريكية لم تقتصر على العلماء العراقيين ، بل إنها وصلت حتى إلى المصريين ، أو كل من مر على العراق من العلماء العرب أو المسلمين أو أى عالم ليس جاسوسا للغرب وأمريكا وإسرائيل .

وقد ذكرت مصادر مصرية أن سفارتى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى القاهرة والوكالة الدولية للطاقة الذرية تقدمت بطلب للحكومة المصرية لاستجواب بعض العلماء المصريين الذين ارتبطوا ذات يوم بالعمل فى العراق ، وخاصة تلاميذ الدكتور يحيى المشد الذى اغتالته يد الغدر الأمريكية والصهيونية فى ١٣ يونيه ١٩٨٠ فى باريس ، والقائمة تضم عددا كبيرا من العلماء المصريين من خريجى قسم الهندسة النووية بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية من أول عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٩٠ والذين تتهمهم واشنطن ولندن بأنهم ساهموا فى القدرات النووية العراقية ـ المزعومة ـ طوال فترة السبعينيات والثمانينيات ، وبالطبع فإن الهدف ليس فقط مطاردة كل من تعاون مع العراق ، بل إرهاب العلماء المصريين الذين يقدر عددهم بنحو ٤٠٠ عالم فى مختلف التخصصات النووية ، ومنعهم من التفكير فى تطوير أى قدرات عسكرية أو مدنية لصالح مصر أو حتى فى أى مكان من العالم ، وبديهى أن ذلك نوع من الإرهاب وإهدار الكرامة وازدواج المعايير ، ولا يليق بمصر ولا بغيرها أن تقبل التحقيق مع علمائها بأى ذريعة خاصة أن إسرائيل تعترف بالفعل بامتلاكها سلاحا نوويا خطيرا ومدمرا يقدره البعض بـ ٢٠٠ رأس نووي

الهدف الحقيقى من فك الارتباط

د. محمد مورو

لا اميل الى استخدام مصطلح الارتباط للتعبير عن تلك الخطة المزعومة للانسحاب من غزة وتفكيك المستوطنات الاسرائيلية فيها، وسوف يظهر السبب فى ذلك فى نهاية هذا العمود، وسنستخدم المصطلح نفسه مؤقتا، ونجارى الكتاب والمحللين، ونبحث معهم عن السبب وراء هذه الخطة فهى مثلاً فى رأى البعض خطوة شجاعة فى اتجاه خارطة الطريق، وهذا وهم يردده ازلام امريكا واسرائيل فى المنطقة، او هو نوع من النصر حققته المقاومة الفلسطينية على غرار المقاومة اللبنانية فكانت النتيجة انسحابا احادى الجانب، وهذا ايضا فيه مبالغة، لان القوات الاسرائيلية المنسحبة تستطيع العودة فى اقل من ربع ساعة الى اى مكان فى غزة، وقد انسحبت من قبل وعادت رغم انف اوسلو واجتاحت الضفة وغزة، ثم ان السلطات الاسرائيلية ستظل مسيطرة على المعابر والحدود والجو والبحر اى تحويل قطاع غزة الى سجن كبير، البعض الثالث يرى ان شارون بنى فك الارتباط على قاعدة نسف كل مشروعات السلام، وللعجب فان اليسار الصهيونى يؤيد تلك الخطة رغم انه هو الذى لفت نظرنا الى ذلك على حد تعبير المحلل الاسرائيلى عكيفا الدار فى صحيفة هآرتس الاسرائيلية، البعض الرابع يتحدث عن التجاهل النهائى للطرف الفلسطينى وان هذا هو هدف شارون من الموضوع، وهكذا تصبح القضية اسرائيلية ـ اسرائيلية وليست اسرائيلية ـ فلسطينية مثلاً حتى لو ادى الامر الى انقسام حاد فى المجتمع الاسرائيلى نفسه، فالحاخامات يقودون حملة رفض واسعة النطاق، ويدعون الى تمرد الجنود على الاوامر فى مسألة اخلاء المستعمرات الاسرائيلية فى غزة وهناك حديث عن تكرار سيناريو رابين!!.. وهذا شأن اسرائيلى على كل حال!!

نصل الى تسمية الخطة باسمها الحقيقي، وهى خطة انهاء الاستيطان فى غزة وتفكيك المستوطنات، ليس حبا فى الفلسطينيين بالطبع ولا اهل غزة بالذات، وليس تنكرا لمبادئ الاستيطان الذى هو جوهر الصهيونية، ولكن لان تجربة المقاومة والانتفاضة اوضحت للخبراء العسكريين والاستراتيجيين الاسرائيليين، انه من الممكن فى حالة اندلاع ثورة فلسطينية شاملة ان تتحول المستعمرات الصهيونية فى غزة الى رهينة فى ايدى الثائرين ويصعب بالتالى حمايتهم او يستحيل ذلك على الجيش الصهيونى وهذا هو الهدف الحقيقى من الخطة لا اكثر ولا اقل، وشارون نفسه صرح بذلك ولكننا لانسمع او لانفهم، حيث اعتبر الخطة طريقة لضمان امن الاسرائيليين ووسيلة لحمايتهم من مخاطر حقيقية، وانه حين فكر فى الانسحاب من غزة وتفكيك المستوطنات لم يفكر الا فى امن اسرائيل ومرة اخرى الانسحاب من غزة شكلي فيمكن عودة الجيش الصهيونى متى اراد الى غزة، وبالتالى فليس هناك شيء فى الخطة سوى تفكيك المستوطنات

الولايات المتحدة دولة عدوانية

د. محمد مورو

يمكننا نحن بالطبع باعتبارنا اهم ضحايا الولايات المتحدة - عربيا واسلاميا - ان نصف الولايات المتحدة الامريكية بأنها دولة نازية او عدوانية.. الخ. ولنا بالطبع كل الحق فى ذلك بالنظر الى مافعلته بنا الولايات المتحدة وما فعلته بنا ربيبتها اسرائيل، ويمكن بالطبع لأى مؤرخ محايد ان يطلق من الاوصاف السيئة مايشاء على الولايات المتحدة باعتبار سجلها فى مجال الابادة والاسترقاق والاستعمار والعدوان، بل حتى يمكننا ان نتوقع ان يكون هناك امريكيون عندهم من الضمير مايسمح لهم بانتقاد سياسات الولايات المتحدة من امثال ناعوم تشومسكي، ولكن ماهو غير متوقع حتى الآن ان يصل الامر بأحد الامريكيين ان يبرر هجمات ١١ سبتمبر ويعتبرها عملا مشروعا كرد على عدوان الولايات المتحدة على الشعوب الاخري، وهذا بالتحديد ما فعله المفكر الامريكى "وارد تشرشل" وهو استاذ جامعى ورئيس قسم الدراسات العربية "الاثنية" بجامعة كلورادو الامريكية. الدكتور وارد تشرشل قال: ان ما تزرعه تحصده وهذا ماحدث، وان الخاطفين شنوا هجمات مضادة فى مواجهة السياسة الخارجية الامريكية المعادية فى الشرق الاوسط وحملة الابادة الجماعية فى العراق التى نفذت من خلال العقوبات الاقتصادية التى فرضت عليها منذ عام ١٩٩٠، وفى كتاب ينوى وارد تشرشل نشره قريبا اكد الرجل ان ضحايا مركز التجارة العالمى لايمكن اعتبارهم ابرياء ووصفهم بأنهم "ايخمان صغار" فى اشارة الى اودلف ايخمان مجرم الحرب العالمية الثانية النازى المعروف. ويضيف "تشرشل": صحيح انهم كانوا مدنيين بطريقة او بأخري، ولكن ابرياء لا اصدق هذا، انهم كانوا يمثلون فيلقا تكنوقراطيا فى قلب الامبراطورية المالية الامريكية، وبالطبع فان تصريحات واراء الدكتور "وارد تشرشل" اثارت رد فعل غاضبا لدى اليمين الامريكى واللوبى الصهيونى والمؤسسة الحاكمة فى الولايات المتحدة الامريكية "تحالف الرأسماليين والعسكر" وقطاع من المخدوعين من الشعب الامريكي، ولكنه ايضا تلقى تشجيعا ودعما من ذوى الضمائر ومن الطلاب الذين احتشدوا لسماع ارائه فى الجامعة، ويمكننا بالطبع ان نتوقع نزول الاذى بالرجل من قبل تلك الاجهزة الجبارة، او فصله من الجامعة او تشويه ارائه. وبديهى ان الرجل لم يشجع قتل الابرياء "رجال الاطفاء والمارة وعمال النظافة فى موقع الحادث" ولكنه قصد العاملين فى الدوائر المالية فى برج التجارة العالمى وهم المقصودون طبعا بالهجوم وقد عبر الرجل عن ذلك بقوله "انه شعر بالاسى على رجال الاطفاء وعمال الخدمات الغذائية وعمال النظافة والمارة الذين قتلوا فى حادث ١١ سبتمبر، لكنه شعر بالاسى ايضا لما يصل الى ٥٠٠ الف عراقى لقوا حتفهم نتيجة العقوبات الامريكية على العراق".

اليمين الجديد فى مصر

د. محمد مورو

اذا كانت السياسة اليمينية والتى تعبر عن مصالح رجال الأعمال على حساب العمال والفقراء هى السياسة الرسمية للحكومة المصرية منذ عقدين من الزمان على الاقل، فان مايسمى باجندة الاصلاح السياسى جاءت لعبر عن المزيد من الانحراف يمينا، وحتى لو اطلق البعض على المجموعة الصاعدة فى الحزب الحاكم او حزب الحكومة اليمين الجديد فإن ذلك لايغير من الامر شيئا، وزارة الدكتور احمد نظيف كانت الاكثر تعبيرا عن لجنة السياسات بالحزب الوطنى الحاكم او ما يطلقون عليه اليمين الجديد ، وهى وزارة لم تأت بجديد اللهم الا السير قدما فى سياسة الخصخصة الى آخر مداها، والاندماج فى السوق العالمية بوتيرة اسرع، وفتح الاسواق على مصاريعها والمزيد من التسهيلات للمستثمرين والذين لن يأتوا ايضا الا بالسلع والصناعات الخدمية والاستهلاكية، وتخفيض الضرائب للمزيد من المزايا لرجال الاعمال، وهو امر غريب بالنظر الى ان الحكومة مدينة للداخل بحوالى ٥٠٠ مليار جنيه وللخارج بحوالى ٣٠ مليار دولار، وكذا تخفيض الجمارك للمزيد من الاندماج فى العولمة والجات ومنظمة التجارة الحرة، وهو الذى يصب فى النهاية فى ضرب مابقى من صناعة مصرية، وتقليص الدعم برفع اسعار المياه والكهرباء والسولار والاكثر غرابة انه رغم تلك السياسات المسماة بالاصلاحية فان الاصلاح السياسى على مستوى تغيير الدستور او اطلاق الحريات او الافراج عن المعتقلين السياسيين، اوحتى انفتاح سياسى على القوى السياسية المعارضة، او الغاء قانون الطوارئ او تقييد عدد مدد الرئاسة او غيرها لم يحقق اى تقدم وهكذا انفلات اقتصادى ومزيد من القبضة الامنية سياسيا ولا عزاء للفقراء او الاحرار

أمريكا لن تنتصر

د. محمد مورو

إذا كنا نؤمن ان للظالم نهاية محتومة، وأن المقاومة طريق صحيح ووحيد لتحقيق العزة والكرامة، وان الشعوب الضعيفة قادرة بالارادة على اجبار القوى العظمى على احترام ارادتها وان الانسان اقوى من التكنولوجيا، وبالتالى فانه مهما كانت قوة الاستكبار فان الانسان قادر بادوات بسيطة على الصمود امامها ومن ثم هزيمتها، اذا كنا نؤمن بذلك فاننا نؤمن بالتالى ان امريكا لن تنتصر، بل شعوب العراق وافغانستان وفلسطين هى التى ستنتصر ان شاء الله!!
هذا الرأى يصل اليه ايضا بعض الباحثين، ولكن من زوايا اخري، وهاهو المفكر الامريكى المعروف صمويل هنتنجتون صاحب نظرية صدام الحضارات يتوقع شيئا من ذلك، فقد اعرب الرجل ان امريكا لن تنتصر فى حديثه لمجلة لويدان الفرنسية ، وقد قال هنتنجتون انه اذا كانت امريكا قد حققت النصر على نظام الرئيس العراقى المخلوع صدام حسين، فانها لن تنجح ابدا فى تحقيق النصر على الشعب العراقي، وان الحرب الامريكية على العراق فكرة سيئة للغاية، وان الولايات المتحدة اوجدت بؤرة كبيرة لنشر صدام الحضارات بين الاسلام والغرب، بشنها الحرب على افغانستان والعراق، وان واشنطن ستكون اول من سيعانى تداعيات هاتين الحربين، وان الحرب الحقيقية بين امريكا والعراق بدأت منذ سقوط نظام صدام حسين وعلى وجه الدقة مع بدء عملية عصيان السنة فى مدينة الفلوجة .
واعترف هنتنجتون ايضا ان الغرب لن يستطيع ابداً السيطرة على العالم كما حدث عقب الحرب العالمية الاولي، وان الحضارة الاسلامية على وجه الخصوص اصبحت تشكل تكتلا ايديولوجيا سيجبر الغرب على التخلى عن اى طموحات فى تعميم فكره وقيمه على العالم،وان الغرب يعانى الانقسام فى مواجهة الاسلام.

انتهاكات مستمرة لحقوق الإنسان

د. محمد مورو

الولايات المتحدة الامريكية هى دولة الانتهاكات غير المنقطعة لحقوق الانسان فى الداخل والخارج على السواء، منذ نشأتها وحتى اليوم، سواء كان يحكمها الديمقراطيون او الجمهوريون، واخر ما يمكن ر صده فى هذا الصدد ماكشفته مجلة "نيويوركر" الامريكية عن قيام المخابرات المركزية الامريكية بتسليم متهمين ومشتبه فى كونهم اعضاء فى تنظيم القاعدة الى دول تستخدم وسائل التعذيب خلال عملية الاستجواب، وقد اكد "دان كوليمان" الخبير السابق فى مكتب التحقيقات الفيدرالى ان المخابرات الامريكية فقدت السيطرة على المعتقلين بتهمة الارهاب حين قررت ان ترسلهم خارج الولايات المتحدة حيث اصبح صعبا السيطرة على مجريات التحقيق، واتهم كوليمان ادارة بوش باضفاء طابع من البيروقراطية على التعذيب، وانها رحلت المعتقلين الى دول تعرف يقينا بأنها تمارس التعذيب كوسيلة للحصول على المعلومات من المعتقلين خلال الاستجواب وان اغلب هؤلاء المعتقلين قد تم نقلهم الى دول شرق اوسطية بسبب تيقن الادارة الامريكية من ان هذه الدول تنتهج اسلوب التعذيب، ويقول سكوت هورتون الخبير فى القانون الدولى ان المخابرات الامريكية نقلت ١٥٠ شخصا لاستجوابهم خارج الولايات المتحدة منذ عام ٢٠٠١وان عملاء امريكيين ملثمين اقتادوا المشتبه بهم من السجون الامريكية الى طائرات اقلتهم لدول اجنبية.فى اطار آخر كشفت مجلة تايم الامريكية ان عسكريين امريكيين غير مؤهلين لممارسة الطب قاموا باجراء عمليات جراحية لبتر اعضاء السجناء واستخدموا انابيب اوكسجين غير صالحة اوسبق استخدامها فى تلك العمليات وان احد الاطباء العاملين فى سجن ابو غريب تلقى اوامر باخفاء وقائع مقتل سجين عراقى خلال استجوابه ووضع جثته فى حقيبة مملوءة بالثلج ونقلت المجلة تصريحات لكيلى بارسون احد عناصر الحرس الوطنى الامريكى الذى عمل كمساعد طبيب داخل ابو غريب خلال عامي٢٠٠٣، ٢٠٠٤ اكد فيها ان السجن الذى اكتظ بنحو سبعة آلاف سجين عقب سقوط بغداد، لم يحظ بأى رعاية طبية ولم يوجد به طبيب واحد لمتابعة الحالة الصحية للسجناء طوال عام ٢٠٠٣. هذه هى امريكا؟

انتهى الدرس

د.محمد مورو

رغم ان خارطة الطريق - وهى الخطة الامريكية التى قدمها الرئيس بوش قبل اكثر من عام الى الطرفين الفلسطينى والاسرائيلى وقبلها الطرفان معاً، رغم ان هذه الخطة ليس فيها اى شئ حقيقى لصالح الفلسطينيين الا ان بعض الصياغات المطاطة والوعود الكاذبة كان يمكن ان تنطلى على بعض المخدوعين والبلهاء اوالذين يريدون ان يظهروا بهذا المظهر على الاقل لانهم اقل جرأة من ان يعارضوا امريكا رغم ان هذه الخارطة اذن كانت مفرغة من المضمون، الا انها كانت قشة يتشبث بها بعض من لايريدون مواجهة الحقائق، ولكن الطرفان الامريكى والاسرائيلى اصرا على سحب هذه القشة والذريعة فأحرجوا حلفاءهم ايما احراج، فاسرائيل دأبت منذ خارطة الطريق على فعل كل شئ يؤكد عدم رغبتها فى السلام، وامريكا كانت تؤيد اسرائيل فى ذلك او تسترت عليها او حتى تستخدم الفيتو فى مجلس الامن لعدم إدانتها. ولكن الامر الآن اصبح على المحجة البيضاء ليلها كنهارها بعد ما يسمي وعد بوش الصادر في ١٤ ـ٤ ـ٢٠٠٤، ، وهو ما عبر عنه قادة حماس والجهاد حين اعلنوا ان الموقف الامريكى الجديد هو رصاصة الرحمة لخارطة الطريق وقريبا من هذا الوصف قال رئيس الوزراء الفلسطينى احمد قريع ورئيس السلطة ياسر عرفات والحقيقة ان الموقف الامريكى الاخير يجعل الجميع يدرك ان درس السلام وخارطة الطريق قد انتهي، ولابد من مواجهة الحقيقة ذلك ان الرئيس الامريكى اعتبر خطة شارون احادية الجانب هى خطة عظيمة وتاريخية، وان على الفلسطينيين اللاجئين الا يفكروا فى حق العودة الى بلادهم الاصلية، وان من حق اسرائيل الاحتفاظ بأجزاء فى الضفة الغربية، وان الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ليس امراً مقدسا، وان حدود اسرائيل المستقبلية يجب ترسيمها وفقا للحقائق السكانية الجديدة التى طرأت منذ عام ١٩٦٧، وان الادارة الامريكية تعترف بأن اسرائيل دولة يهودية!! وهذه المواقف تعنى مباشرة ان امريكا ضربت عرض الحائط بوضوح برغبات العرب والفلسطينيين وتبنت بالكامل الرؤية الشارونية، وهو ما عبر عنه ايهود أولمرت نائب رئيس الوزراء الاسرائيلى بقوله ان موقف امريكا يمثل انتصارا رائعا لسياسة شارون .

انقلب السحر على الساحر

د. محمد مورو

من المفيد جداً متابعة اراء الاسرائيليين فى المقاومة العراقية وما يحدث فى العراق عموما، ذلك ان احد الاهداف الامريكية من غزو واحتلال العراق كان حماية اسرائيل وازالة التهديد المتوقع من العراق لها واضعاف القوة العربية عموما باخراج الجيش العراقى والعراق عموما من معادلة الصراع، ولكن يبدو ان السحر انقلب على الساحر، وجاءت النتائج على عكس ماتمناه الامريكيون والاسرائيليون، واذا كنا ندرك منذ البداية - قبل وبعد احتلال العراق - ان الجيوش والحكومات والدول العربية لن تحسم الصراع مع اسرائيل، ولم ولن تكون قادرة على ذلك بسبب اختلال موازين القوى والدعم الامريكى الكامل لاسرائيل، وان المقاومة الشعبية والجهاد والانتفاضة هى السبيل الوحيد لتحقيق الاهداف، وليس الدول والجيوش والمؤسسات فان مايحدث فى العراق من مقاومة اسقط الوهم حول امريكا التى لاتقهر وبالتالى امكانية التصدى لها ولاسرائيل ورفع الروح المعنوية للفلسطينيين وللشعوب العربية والاسلامية وفتح الباب واسعا نحو الفاعلية الشعبية العربية والاسلامية لتكون فى قلب المعادلة - معادلة الصراع مع الكيان الصهيوني، وهو امر يمكن ان يودى بالمشروع الصهيونى بالكامل. وزير الدفاع الصهيونى الاسبق موشى ارينز - وهو بالمناسبة قيادى فى حزب الليكود - اعتبر ان ما يحدث فى العراق هو وصفة دمار قاتلة لامريكا واسرائيل وقال الرجل ان الامريكيين قد حققوا فشلا ذريعا فى العراق، وان العالم حين يشاهد القصف الأمريكى العنيف للمدن العراقية وتدمير البيوت ودور العبادة وقتل مئات المدنيين فلن يصدق ان الامريكيين قد جاءوا الى العراق لاقامة الديمقراطية وان هناك خوفا حقيقيا من ان ما يحدث فى العراق سوف يحدث تغييرات استراتيجية فى المنطقة ضد الولايات المتحدة الامريكية وضد اسرائيل ايضا، اما بنيامين اليعازر وزير الدفاع الاسبق واحد قادة حزب العمل فيرى ان البناء الامريكى فى العراق قادنا الى نتيجة واحدة، تمثلت فى سيادة ثقافة المقاومة فى العالمين العربى والاسلامى واذا كنا قد راهنا على الغزو الامريكى للعراق لاجتثاث تلك الثقافة فإن الذى حدث هو العكس تماما حيث اصبح الملايين من الشباب فى العالم العربى والاسلامى ينظرون الى المقاومة باعتبارها النموذج الذى ينبغى الاحتذاء به، وان اسرائيل هى الخاسر الاكبر فى ذلك ، اما الجنرال اورى ساغيه الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الاسرائيلية فيرى ان الطابع الدينى للانتفاضة العراقية ضد الامريكان يعتبر ظاهرة خطيرة، حيث يظهر ذلك التيار الاسلامى باعتباره الوحيد فى العالم العربى الذى يتحدى الحلف الامريكى الاسرائيلي

أوضاع وأرقام فلسطينية

د. محمد مورو

الشعب الفلسطينى يدفع وحده ثمن مواجهة المشروع الصهيوني، وهو مشروع خطر على الجميع و خاصة العرب والمسلمين وبالأخص دول الجوار او مايسمى بدول الطوق، خطر المشروع الصهيونى ليس على الحكام فقط او على الشعوب فقط بل هو خطر على الجميع، على الماضي والحاضر والمستقبل كذلك على الاقتصاد والسياسة والدين والكرامة على حد سواء وهكذا فان دعم الصمود الفلسطينى واجب على كل عربى ومسلم، وهو نوع من تقرير الدفاع عن النفس قبل ان يكون نوعا من الفريضة الشرعية الدينية والقومية والانسانية، ولاشك ان معاناة الشعب الفلسطينى فى ظل حالة الحصار ووفقا لاتفاقية اوسلو التى ربطت الاقتصاد الفلسطينى بالاقتصاد الاسرائيلى تماما، اى جعلت التحكم فى لقمة العش والاوضاع الاقتصادية تحت رحمة الاسرائيليين، وفى هذا الصدد يقول محمد يوسف دهمان مدير مركز الديمقراطية وحقوق العاملين فى غزة ـ العربى القاهرية ٥/١٢/٢٠٠٤ ان اتفاقية اوسلو كرست تبعية الاقتصاد الفلسطينى للاقتصاد الاسرائيلى وحولته الى اقتصاد خدمي وحولت غزة والضفة الى سوق للعمالة الرخيصة ومنطقة لتصريف البضائع غير المهمة لدى الاسرائيليين مما يعنى ضرب اى امكانية لقيام دولة فلسطينية مستقلة، فوفقا لاتفاق باريس الذى وقعته السلطة مع الاسرائيليين بعد اوسلو ارتهن ٨٥% من الانتاج الفلسطينى لاسرائيل او عبرها كما حدد الاتفاق انواع البضائع المسموح باستيرادها فهو يمنع مثلا استيراد الادوية من مصر والاردن نظرا لرخص ثمنها وكذلك منتجات النفط بل وحتى الملح بدعاوى توراتية غريبة وبدلاً من ان تمهد اتفاقية باريس الاقتصادية الافاق لاقامة اقتصاد فلسطينى مستقل منعت اى امكانية لتلاحم الاقتصاد الفلسطينى مع الاقتصاديات العربية وحسب محمد دهمان ايضا فان نسبة البطالة فى غزة والضفة الغربية تصل الى ٥٥% تزيد وتقل حسب الظروف وان عمليات اغلاق المعابر لمنع العمال من الوصول الى عملهم وصل ٢٠٠ يوما سنويا وان هناك حواجز فى الضفة الغربية بين القرى والمدن تصل الى ٦٢٠ حاجزا، وهناك تصاعد سرطانى لحركة الاستيطان التى تضاعفت اربع مرات، وتصاعدت حركة مصادرة الاراضي، كما جرى تدمير كامل للبنية التحتية والمنشآت الانتاجية الفلسطينية، وان معدلات الفقر بين السكان العرب فى الضفة وغزة وصلت الى ٧٢% وتوقف ٣٩% من الطلاب الجامعيين من ابناء الاسر العمالية الفقيرة عن الدراسة لعجز ذويهم عن الانفاق عليهم، ووصلت نسبة فقر الدم الي ٣٠%.

لك الله ياشعب فلسطين الصامد!!

بعد ١٠ سنوات

د. محمد مورو

تحاول الدوائر الدعائية الموالية لامريكا ان تقول لنا ان الولايات المتحدة الامريكية قد نجحت فى افغانستان لمجرد انها نجحت فى اجراء انتخابات رئاسية فاز فيها مرشحها المختار حامد قرضاى بحوالى ٧٠% من الاصوات، ورغم كل الاصوات التى انتقدت عملية اجراء الانتخابات وشككت فى مصداقيتها وان تزويرا كبيرا قد حدث فيها برغم هذا، فان هذه الانتخابات لاتقدم ولاتؤخر لأنها تمت تحت حراب الاحتلال اولا، ولأن القوى المناوئة للاحتلال لم تشارك فيها اصلا، وصحيح ان عملية تعطيل العملية الانتخابية قد حدثت بشكل محدود حيث تم تنفيذ عمليات رمزية ضد مراكز الاقتراع الا ان ذلك لايعنى ان افغانستان اصبحت على طريق الاستقرار بدليل ان الامريكان انفسهم اعترفوا فى الايام القليلة التى اعقبت الانتخابات ان عددا من جنودها قد قتل فى اكثر من عملية نفذتها عناصر طالبان والحزب الاسلامي بقيادة قلب الدين حكمتيار، وفى احدى هذه العمليات اعترف الناطق باسم ا لقوات الامريكية فى افغانستان بمقتل جنديين امريكيين واصابة ثلاثة اخرين بجروح فى عملية نفذتها عناصر مناوئة على حد قول المتحدث الامريكي، وهذا يعنى ان القوى المعارضة للاحتلال لاتزال تمتلك القدرة على تنفيذ عملياتها ضد الوجود الامريكي، وبصرف النظر عن هذا كله، فمن المفروض وفقا للسيناريو الامريكى المزعوم ان الانتخابات تعنى نهاية الاحتلال،و ان على الحكومة المنتخبة او الرئيس المنتخب ان يطلب سحب القوات الامريكية من افغانستان فتنسحب، ولكن هذه اوهام فالرئيس المنتخب ماهو الا ورقة توت لستر عورة استمرار الاحتلال الذى جاء لاسباب اخرى لاعلاقة لها باستقرار افغانستان او تحقيق نظام ديمقراطى بها،وعلى كل حال فان السفير الامريكى فى افغانستان وهو السلطة الحقيقية اشار الى حاجة افغانستان الى ١٠ سنوات على الاقل حتى تصبح قادرة على حماية نفسها وبالتالى تستغنى عن الاحتلال.

ولعل هذا يكون درساً للعراقيين الذين عليهم إن نجحت الانتخابات المقرر اجراؤها فى يناير القادم ان ينتظروا بعدها ١٠ سنوات اخرى للتفكير فى طلب انهاء الاحتلال الاجنبي!!

وبديهي انه بعد العشر سنوات ستظهر ذرائع اخرى تجعل طلب انهاء الاحتلال غير مطلوب، لان الذى يحدد زمن الاحتلال واسلوبه هو الاحتلال نفسه وليس الحاكم الدمية او ورقة التوت الذى جاءت به انتخابات تحت حراب الاحتلال

تحرير سوريا

د. محمد مورو

يحلو للولايات المتحدة ومروجيها من المثقفين العرب ان يستخدموا المعاني في عكس مضمونها على طول الخط، فمن قبل صدر قانون تحرير العراق، واكتشفنا انه قانون احتلال العراق وقتل عشرات الالاف من اهله وتدمير تراثه الثقافي وبنيته الاقتصادية والعسكرية، واليوم يتم الحديث عن تحرير سوريا ولا يمكن ان نتوقع الا ان يكون تحريرا على غرار ماحدث في العراق، ومثلما كانت هناك اتصالات وتحركات مع مايسمى وقتها المعارضة العراقية من امثال علاوي والجلبي والحكيم.. الخ، وكذا استصدار قرارات من مجلس الامن وغيرها، نرى نفس السيناريو يتكرر الآن، فالقانون المسمى بتحرير سوريا تم تقديمه الى الكونجرس الامريكي، ولجنة التحقيق الدولية التي جاءت الى لبنان للتحقيق في اغتيال الحريري، اشارت بأصبع الاتهام الى الرئيس السوري نفسه، وعدد من القادة السوريين، وهناك القرار ١٥٥٩، وما يمكن ان يتلوه من قرارات، والاتصالات تجرى على قدم وساق مع رموز سورية يمثلون مايسمى بالمعارضة السورية في الخارج... وصحيح ان هؤلاء مجرد اسماء لاوزن لها في الشارع السوري، الا انهم يصلحون كغطاء فقط للغزو الامريكي لسوريا، وصحيح ان جزءا كبيرا من المعارضة السورية رفض التدخل الاجنبي واحتلال بلاده رغم ما عانوه من الاجهزة السورية، الا ان المسألة ذات ابعاد خطيرة - ولا يجب ان نقف مكتوفي الايدي كما فعلنا في العراق، لأن احتلال سوريا يعني ان الحبل على الجرار وسيلحق بسوريا غيرها كما حدث مع العراق والمطلوب تحرك عربي واسلامي شعبي واضح لضرب المصالح الامريكية والاسرائيلية قبل ان نفاجأ بغزو سوريا، مطلوب دعم واضح للمقاومة اللبنانية وحماس والجهاد بل ونشأة منظمات اخرى مناهضة لامريكا، ومطلوب دعم المقاومة العراقية حتى لاتكون هناك فرصة لامريكا ان تتنفس في المنطقة بحرية، مطلوب من الحكومة السورية احترام شعبها والافراج عن المعتقلين وتوزيع السلاح على الشعب السوري، والتمسك بدعم حماس والجهاد وحزب الله، لانه طالما كان هناك حماس والجهاد والمقاومة اللبنانية متحالفين مع سوريا فان العدوان الامريكي لن يقع، لان شرط وقوعه هو الانفصال بين تلك القوى وبين سوريا، ولو فعلت سوريا ذلك بنفسها فهي كمن ينتحر بيده، واعتقد ان الحكومة السورية لن تقع في هذا الخطأ ولن تحكم الحبل على رقبتها بنفسها، فمهما فعلت سوريا لن تنال الرضا الامريكي، ولن يحميها الا تسليح شعبها وتصاعد قوة حماس والجهاد والمقاومة اللبنانية.

تدمير الاقتصاد الفلسطيني

د. محمد مورو

ماذا جنى الفلسطينيون من اوسلو، وماذا جنى الشعب الفلسطينى من وجود هذه التركيبة ـ الاحتلال ـ السلطة، الوضع العربى والدولي، انه الخسارة الفادحة، ولولا الانتفاضة والعمليات الاستشهادية لكان الفلسطينيون فى حالة تدمير اقتصادى وضياع للكرامة ايضا، ومن الغريب ان البعض يحاول ان يربط بين الانتفاضة والمقاومة وبين الخسائر الاقتصادية للشعب الفلسطينى فى دعوة مريبة وخبيثة لوقف الجزء الحى والجميل والباقى من الوجود الفلسطيني، نعم هناك معاناة فلسطينية، ولكن هذه المعاناة كانت وستظل قبل الانتفاضة وبعدها، بسبب الاحتلال وفساد السلطة وتجاهل المجتمع الدولي، وغطرسة وعدوانية اسرائيل وكلها امور تقليدية وجوهرية واساسية فى بنية هذه التركيبة الاسرائيلية والدولية والسلطوية!!
فى تقرير صادر عن مجلس الوحدة الاقتصادية العربية عن اوضاع الاقتصاد الفلسطينى خلال عام ٢٠٠٣ ان العدوان الاسرائيلي، والممارسات الصهيونية تجاه الشعب الفلسطينى ادت الى معاناة وخسائر اقتصادية فلسطينية فادحة، ذكر التقرير نصف السنوى ان الشعب الفلسطينى يعيش اقصى حالات المعاناة الاقتصادية، فقد انخفض الناتج الاجمالى الفلسطينى الى نحو ١٤٠٠ مليون دولار مقارنة بنحو ١٤٦٦ مليون دولار فى العام ٢٠٠٢ اى بانخفاض نسبته ٥% كما تدنى متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الاجمالى الى نحو ٣٩٠ دولارا مقارنة بنحو ٤٢٢ دولارا فى عام ٢٠٠٢ وانعدام الاستثمار العام خلال عامى ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ اضافة الى انخفاض الاستثمار الخاص من ١٢٠ مليون دولار الى ١١٠ ملايين دولار عام ٢٠٠٣، وارتفع معدل التضخم الى نحو ٢٧% كما تدنى اداء كافة القطاعات الاقتصادية تدنيا واضحا.
ويقول التقرير ايضا ان التدمير الاقتصادى الذى تمارسه سلطات الاحتلال الصهيونى قد طال الوضع الزراعى الفلسطينى حيث انخفضت قيمة الانتاج الزراعى من نحو ١٧٦ مليون دولار الى نحو ١٤١ مليون دولار عام ٢٠٠٣ بنسبة ٢٠% كما انخفضت نسبة مساهمة هذا القطاع فى الصادرات الفلسطينية الى نحو ٢٥% وانخفض عدد العاملين فى القطاع الصناعى من ١٣% الى ١١% وان نسبة البطالة حسب تقديرات البنك الدولى تتراوح بين ٤٠% و٥٠% فى حين تقدرها منظمة العمل العربية بنسبة ٧٥% وان ٥٠% من الشعب الفلسطينى يعيش تحت خط الفقر حسب تقديرات البنك الدولي، فى حين تقدر تلك النسبة حسب تقديرات الامم المتحدة بـ ٦٤% وان الخسائر المادية التى اصابت البنية الاساسية الفلسطينية بنحو ٦٠٠ ـ ٨٠٠ مليون دولار.
والأمر شديد الخطورة وهذا يقتضى دعما عربيا سريعا للاسر الفلسطينية حتى لايشعر الفلسطينيون انهم يقفون وحدهم دفاعا عن قضية لاتخصهم وحدهم بل تخص العرب جميعا

تدمير العراق

د. محمد مورو

ماحدث فى الفلوجة من دمار واسع النطاق، ربما لم يحدث فى التاريخ المعاصر لمدينة اخرى ـ عربية او عالمية ـ ولا حتى فى الحرب العالمية الثانية وفى مقابل قوات شعبية وليس جيوشا ودبابات وعتاد بل عناصر فردية مجاهدة، يؤشر على ان ماحدث للفلوجة هو مجرد نموذج لما يمكن ان يكون عليه السلوك الامريكى فى عهد جورج بوش الابن الثانى وهى رسالة واضحة الى كل العرب والمسلمين والعالم، فإما ان تنصاعوا لأوامر امريكا واما ان تنالوا ما نالته الفلوجة، ولكن الانصياع والخضوع لن يؤدى الى النجاة، ولدينا الأمثلة التاريخية والمعاصرة تؤكد ذلك فالذين انصاعوا للتتار القدامى لم ينالوا نجاة ولا خيرا، ومن ينصاع للتتار الجدد لن ينال نجاة ولا خيرا، هو يفقد كرامته ويفقد ايضا حياته وبيته ومستقبله، والمقاومة مهما كانت صعوبتها افضل من الخضوع، ولن تخضع الفلوجة باذن الله، وسيخرج من رحم الانقاض مقاومة اشد وأشرس واقوي، على كل حال فان مجرد عدم استسلام الفلوجة بدون قتال زرعها فى الذاكرة العربية والاسلامية والعالمية كنموذج للبطولة والشرف، اما ماحدث من دمار على أيدى القوات الامريكية ـ فهو نموذج حى للحضارة الامريكية العدوانية التى آن أوان تصدى العالم كله لها وليس العراقيين فقط ولا العرب فقط، ولا المسلمين فقط، لأن العنصرية الامريكية لاتريد احدا بجانبها فالجميع سيتحولون الى عبيد او يتم التخلص منهم كأشياء زائدة على الحاجة، وبما ان المقاومة لن تموت لأنها ارادة امة وبما ان الذئب الامريكى الجائع لايشبع فان علينا توقع تدمير مدن عراقية اخرى كالرمادى والموصل وبعقوبة ولكن حتى لو حدث هذا فان المقاومة لن تموت، والله اكبر والنصر للمجاهدين.

ترغيب

د. محمد مورو

حسب صحيفة ديلي تلجراف البريطانية، فان بعثات تبشيرية امريكية تعمل بشكل سرى - وعلنى ايضا - لتحقيق ماوصفته بانقاذ ارواح العراقيين من خلال تحويلهم الى الديانة المسيحية - المسيحية البروتستانتية اساسا - وذلك باستغلال فترة الاحتلال الامريكى للعراق، وتقول تلك البعثات ان عليها ان تنجز اكبر قدر من العمل قبل انتهاء هذا الاحتلال او قيام حكومة فى ظل الاحتلال تستطيع ان تفرض شيئا من السلطة والقيود على نشاطات البعثات التبشيرية، اى ان عليها ان تنجز اكبر قدر من العمل قبل يونيو ٢٠٠٥. وبديهى ان مثل هذا التاريخ فى رأينا لاقيمة له ولو كانت المشكلة مشكلة قيام حكومة عراقية ذات سلطة محدودة اوكبيرة، فلتطمئن بعثات التبشير، فهذه الحكومات لن تكون افضل من المجلس الانتقالي، والسلطة الحقيقية هى للامريكان فى كل الحالات، ولكن المشكلة الحقيقية التى لاتدرك تلك البعثات حقيقتها انها امام دين شديد التماسك والعقلانية، وان من الصعب جداً او المستحيل عمليا ترك الاسلام الى دين آخر اللهم الا بطريقة انتهازية اى بادعاء ذلك للحصول على المال اوغيره، وكل تاريخ بعثات التبشير يثبت ذلك، بل ان اى قدر من الاحتكاك بين عناصر من الدين الاسلامى وعناصر من اديان اخرى حتى ولو كانوا مبشرين مؤهلين لذلك او جنود احتلال لهم اليد العليا على ابناء البلد، يثبت ان النتيجة كانت لصالح الاسلام فالذى يحدث ان غير المسلمين هم الذين يدخلون فى الاسلام او يتأثرون به، صحيح ان هناك ظروفا مواتية جداً، تتمثل فى البطالة والفقر والحاجة الى المعونات وهو ما تستغله جيداً بعثات التبشير الا ان ذلك بخصوص الدين تحديدا يصبح ضعيف الاثر جداً، فالناس تحصل على الاعانات وتزداد تمسكا بالاسلام وتخرج لسانها للمبشرين.

الجمعيات التى تنتمى الى التيار المسيحي الاصولى البروتستانتى فى الولايات المتحدة الامريكية تستخدم طبعا معونات الاغاثة والعمل الانسانى فى العراق عدد المسلمين حوالى ٩٧% من السكان لترغيب السكان فى التحول عن الاسلام، كما تم طبع آلاف النسخ من الاناجيل باللغة العربية وشرائط الفيديو المصورة التى تحتوى العديد من المقتطفات الدينية بهدف انقاذ المسلمين من الدين الزائف الذى يتبعونه حسب قول المبشرين .

لا نكترث طبعا بالتبشير فالاسلام والمسلمون مهماكان ضعف احوالهم اقوى من هذا التبشير، ولكن ما يغيظنا حقا هو وصف الاسلام بالدين الزائف، كبرت كلمة تخرج من افواههم، ولعنة الله على الاحتلال والذين يساعدون الاحتلال الذى اعطى الفرصة لهؤلاء لقول مثل هذا

تسونامى هل صنعتها أمريكا؟

د. محمد مورو

بداية لايستبعد الانسان ان الولايات المتحدة الامريكية تحت حكم اليمين الجديد وتحالف الرأسماليين والعسكر يمكنها ارتكاب اى جريمة مهما كانت كبيرة او فظيعة او بشعة، ولكننا فى نفس الوقت لانستطيع ان نجزم بأنها كانت وراء الزلزال الرهيب الذى ضرب عددا من الدول الآسيوية ثم مانتج عنه من مد بحرى رهيب راح ضحية هذا وذاك مايقارب ٣٠٠ الف شخص، يمكن ان يكون هذا الزلزال هو حدثا طبيعيا تماما لاعلاقة للبشر به، ويمكن ان يكون نتيجة تراكمات من افساد البيئة والاخلال بالتوازن البيئى والجيولوجى اى محصلة لممارسات طويلة ومتراكمة ولكن ان يكون بفعل فاعل مباشر وآني، فهذا لايمكن القطع به او حتى امكانية تصوره، ولكنه احتمال لايمكن استبعاده تماما وعلى كل حال فان من قال ذلك هو احد الخبراء العسكريين الامريكيين وهو الجنرال جون ميلز الذى يرى انه يمكن اطلاق الزلازل والبراكين باستخدام موجات كهرومغناطيسية، ويدلل هذا الخبير على ذلك بقوله ان وليام كوهين ـ وزير الدفاع الامريكى الاسبق ـ قال عام ١٩٩٨: ان السلاح النووى بامكانه احداث موجات كهرومغناطيسية ضخمة يمكنها اثارة زلازل وبراكين ويرى هذا الخبير ان الولايات المتحدة قامت بتفجير اسلحة هيروجينية تعادل مليون طن فى خندق تحت الارض هو خندق سومطرة مما ترتب عليه هزة ارضية عنيفة ومن ثم مد بحرى ضخم طال دولاً ومناطق عدة حتى وصل الى افريقيا، ويستند هذا الخبير الى عدد من الادلة فى هذا الصدد منها تضارب قياسات شدة الزلزال بين مركز رصد الى آخر، فالمراصد التابعة للسيطرة الامريكية رفعت رقم وقوة وشدة الزلزال، فى حين ان مراكز اخرى قالت انه ٤,٦ بمقياس ريختر، وان وسائل الاعلام الامريكية حددت مركز الزلزال فى اماكن غير ماقالت به المراصد الاخري، وان المراصد الموجودة فى المنطقة لم تسجل مقدمات الزلازل على اجهزة الرصد كما ان توابع للزلزال لم تحدث كالعادة، ويضيف الخبير العديد من القرائن الفنية الاخرى مؤكدا ان المسألة فعل امريكى مباشر وواضح.
ويرى الخبير جون ميلز، ان الهدف من احداث هذا الدمار الوحشى هو اخضاع كل من اندونيسيا وسيريلانكا والهند، ووقوعها تحت ضغط الحاجة للبنك الدولى لتمويل عملية اعادة الاعمار، مما يكفل لليمين الامريكى المحافظ استمرار خطته فى السيطرة على العالم او بناء حكومة واحدة للعالم..
والله تعالى اعلم

تقليص التعليم الديني

د. محمد مورو

أحد المطالب الامريكية الثابتة من الحكومات العربية والاسلامية فى اطار مايسمى بالحرب على الارهاب، هو تقليص مساحة التعليم الدينى وتغيير الخطاب الديني، بهدف نزع اظافر المقاومة الاسلامية والجوانب الايجابية والجهادية فى الاسلام، وتقليص مساحة الاسلام عموما، لان ذلك هو الطريق الوحيد من وجهة نظرهم لمنع ظهور بيئة تشجع على الارهاب، وهذا بالطبع خطأ ومستحيل فى نفس الوقت، الثقافة الاسلامية اوسع من ان تحاصرها امريكا مهما فعلت، وهى ستجد الطرق المختلفة للتعبير عن نفسها حتى لو تم الغاء التعليم الدينى كله، بل إن هذا الالغاء سيجعل الافكار الاكثر تطرفا عن الاسلام هى السائدة، وبذلك تكون امريكا قد اضرت بنفسها وزادت مساحة التطرف والعنف والمقاومة دون ان تدري.

على كل حال فإن الامر فيه قدر هائل من الاستفزاز والتدخل فى صميم شؤوننا الداخلية والثقافية والامور المتصلة بالهوية وهو امر لن يقبله اى انسان خاصة اذا كان شجاعا وكريما وذا مروءة، ولكن الغريب ان الحكومات العربية تنفذ السياسة الامريكية بشأن تقليص مساحة دور العبادة والتعليم الديني، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فان الحكومة المصرية مثلاً اصدرت قرارات بشأن ضوابط انشاء المساجد والمعاهد الازهرية، نص على عدم الترخيص ببناء معاهد ازهرية جديدة، وعدم السماح بانشاء مساجد جديدة الا بصعوبة، وتم وضع عدد من المطالب لتحقيق ذلك وهو ما جعلها شبه مستحيلة، وتحويل ما امكن منها الى التعليم المدني، وتغيير مناهج التعليم الأزهري، تحويل الزوايا ـ المساجد الصغيرة ـ الى دور للنشاط الثقافى والاجتماعي، وهذه الزوايا اصلاً تقوم بدور هام فى محو الامية وتحفيظ القرآن والنشاط الثقافى عموما، اى حظر اقامة الصلاة فيها فقط لاغير!!، كل هذا لارضاء امريكا، ولن ترضى امريكا!!

" جمهوريات الموز "

د. محمد مورو

كشفت مذكرة تقدم بها اتحاد حماية الحريات المدنية الامريكية عن ان المحققين التابعين لوزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون" كانوا ينتحلون شخصية محققين من مكتب التحقيقات الفيدرالى فى اثناء التحقيقات مع معتقلى " جوانتانامو " وانهم كانوا يقومون بأعمال تعذيب لهؤلاء المعتقلين، كما كشفت المذكرة عن اشكال جديدة من وسائل التعذيب قيل انها بأمر تنفيذى من الرئيس الامريكى جورج بوش، وكانت تلك المذكرة جزءا من دعوى قضائية ضد الحكومة الامريكية لرفع الحظر عن عدد من الوثائق الحكومية خاصة تحقيقات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بشأن تعذيب المعتقلين فى العراق وافغانستان وجوانتانامو.
من اساليب التعذيب التى ثبت ممارستها ضد المعتقلين فى جوانتانامو الحرمان من النوم لفترات طويلة، وضع غمامة على رؤوس المعتقلين تمنعهم من الرؤية، اجبار السجناء على ارتداء اقنعة، جلوس القرفصاء لفترات طويلة منهكة، استخدام كلاب تابعة للجيش، اجبار المعتقلين على ارتداء العلم الامريكي!! انتهاكات جسدية خطيرة للمعتقلين، الخنق، والضرب ووضع سجائر مشتعلة داخل اذان المحتجزين، ترك المعتقلين بلا ماء او طعام فترات طويلة، منع المعتقلين من قضاء الحاجة مما يجعلهم يقضونها على انفسهم.
وقد كشفت عدد من المصادر الخاصة بمكتب التحقيقات الفيدرالى ان ضباط وزارة الدفاع الامريكية " البنتاجون " زعموا انهم ضباط بمكتب التحقيقات الفيدرالى تهربا من المسئولية عن ممارسة التعذيب على نطاق واسع وان ذلك تم بموافقة نائب وزير الدفاع الامريكى " بول وولفوتيز".

وهكذا فنحن امام ادارة من الذين يأمرون بالتعذيب ويمارسون النصب وانتحال شخصيات اخري، وكأننا فى احدى جمهوريات الموز

حتى أنت يا ألمانيا!

د. محمد مورو

تعودنا مثلاً على ان تداهمنا الاخبار بممارسات غير انسانية من الولايات المتحدة او اسرائيل او حتى بريطانيا، وتعودنا ان الولايات المتحدة واسرائيل وغيرهما لايكترثون بحياة الانسان ولا كرامته، ولكن يبدو ان هذا الامر جزء اصيل فى البنية العقلية والوجدانية والقيمية الغربية ككل، وهذا ينبع من العنصرية الظاهرة والكامنة فى تلافيف العقل الاوروبى الذى لايرى الانسان الا ذلك الانسان الاوروبي، وتحديدا الابيض، وهكذا فان العنصرية لم تعد مقصورة - ولم تكن اصلا مقصورة - على الولايات المتحدة واسرائيل بل طالت جميع الاوروبيين بصورة متفاوتة ولعل المرحلة الاستعمارية التى مارست فيها كل الدول الاوروبية الاستعمارية امثال بريطانيا، فرنسا، المانيا، ايطاليا، هولندا.. الخ، والتى كنا نظنها مجرد فترة ومرت من التاريخ الاوروبى خير دليل على ذلك الامر، نعنى امر العنصرية، فما حدث من مذابح وابادة ونهب وقمع على نطاق واسع لم يكن تعبيرا عن حكومات بقدر ما كان تعبيرا عن بنية حضارية عنصرية، وقد كشفت دراسة حديثة اجراها العلماء فى مدينة "بيليفلد" الألمانية ان كبرى شركات الادوية الالمانية تصدر ادوية محظورة وذات آثار جانبية خطيرة على صحة الانسان للدول النامية، وذكرت الدراسة التى نشرت فقرات منها صحيفة فرانكفورتر روندشاو ان نحو ٤٠% من الادوية التى تصدرها كبريات شركات الادوية الألمانية للدول النامية فى افريقيا والشرق الأوسط وامريكا الجنوبية ثبت عدم فعاليتها الطبية، بل ان كثيرا منها تشكل خطورة على صحة المرضى وتم حظرها من قبل فى ألمانيا، وقد قام العلماء الالمان بتحليل وفحص منتجات الدواء لنحو ٣٣ شركة ألمانية يتم تصديرها الى ٤٦ دولة من دول العالم النامى وثبت عدم فعالية عدد كبير منها او خطورته على صحة الانسان، وان تلك الشركات تعتمد على ضعف او انعدام الرقابة على الدواء - وغير الدواء - فى العالم النامي.

وبديهى ان ذلك غير انسانى وغير محترم وعنصرى فى التحليل النهائي!!

حقائق وأكاذيب

د. محمد مورو

يكتشف الانسان يوما بعد يوم ان الضمير الحكومى على الاقل فى الغرب غائب تماما، ومنافق وغير موضوعي، ولكن الاكثر خطورة ان هناك الميديا الاعلامية وبعض منظمات اهلية وحقوقية مصابة بنفس الداء وهو امر شديد الخطورة على المصداقية والنزاهة فى عالم اليوم.

اكتشفنا ذات يوم ان الحديث عن اسلحة الدمار الشامل العراقية كان مجرد كذب واضح وصريح تورطت فيه حكومات كبرى ورؤساء كبار امثال الرئيس الامريكى بوش، ورئيس الوزراء البريطانى بلير، وكذا عن علاقة صدام حسين بالقاعدة وغيرها من الاكاذيب، ونكتشف اليوم ان المسألة تتم بنفس الطريقة والسيناريو مع السودان وخاصة فى موضوع دار فور فالحديث عن تطهير عرقي، واضطهاد للافارقة، وابادة وغيرها ماهى الا اكاذيب جديدة تقولها حكومات، ولكن الخطورة ان الغرب فى معظمه متورط هذه المرة فى ترديد نفس الاكاذيب!! وان منظمات حقوقية وهيئات مدنية اخترعت قصصا وهمية عن اغتصاب نساء، وعن تطهير عرقي، وعن مجاعات وعن قتلى بعشرات الالوف، وثبت يوما بعد يوم انها امور خارج اطارها اولاً، ومبالغ فيها ثانيا.

على سبيل المثال لا الحصر فان منظمة اطباء بلا حدود الفرنسية كذبت منظمة العفو الدولية حول مايسمى بالابادة الجماعية في دارفور وقال تييرى الافور دوفارجين رئيس ادارة الطوارئ بالمنظمة الفرنسية انه بعد دراسة الاوضاع فى دارفور وتحليلها فان المنظمة تعارض استخدام تعبير ابادة جماعية على مايحدث فى دارفور وتعتبر ما يجرى هو مأساة انسانية، معتبرا انه اصبح من الامور المعتادة استخدام تعبيرات ليست فى محلها فى اطار حملات دعائية .

وكذلك فان وفدا من نقابة الاطباء المصريين كان قد ذهب الى دارفور وقضى عدة اسابيع وقد خلصت شهادة اعضاء القافلة بأن قضية دارفور ليست ضخمة كما يصورها الاعلام الغربي، ولكن ذلك لايعنى اهمالها حتى لاتتفاقم فى ظل تدخل اجنبى واضح، وان ما يقال عن وجود اوبئة واغتصاب هناك ليس صحيحا، وان ما يحدث هو خلافات بين الرعاة والمزارعين كانت تحدث دائما كلما قلت الامطار

دلالة قتل رجل المخابرات الإيطالي

د.محمد مورو

عملية خطف الصحفية الايطالية جوليانو سيجرينا، وكذا عملية الافراج عنها بما احاط بها من ملابسات تستدعى قدراً من التأمل والدراسات للكشف عن خلفيات وخيوط كثيرة مما يجرى فى العراق، وبداية فاننا نعرف الآن ان رئيس فريق المخابرات الايطالى فى العراق نيقولا كاليبارى الذى لقى حتفه برصاص جنود الاحتلال الامريكي، نعرف ان ذلك تم عن عمد، وان الامريكيين كانوا يعرفون خط سير كاليبارى ومعه الصحفية الايطالية جوليانو سيجرينا ، وقد ادلى رجال مخابرات ايطاليون بتصريحات افادوا فيها بأنهم كانوا قد ابلغوا المسئولين الامريكيين ورجال المخابرات الامريكية عن عملية الافراج عن الصحفية، ورغم ذلك تم اطلاق ٤٠٠ دفعة من الرصاص ضد السيارة التى كانت تقل كاليبارى وسيجرينا واثنين آخرين من فريق المخابرات الايطالية اصيب احدهما فى الحادث، وقال الاطباء الذين قاموا بتشريح جثمان كاليبارى انه تعرض لدفعة كاملة من الرصاص فى الصدر اردته قتيلا فى الحال، ومن ناحيتها قالت سجرينا ان كاليبارى قتل اثناء محاولته حمايتها من وابل الرصاص الذى طوقهما به الجنود الامريكيون، اذن فالمسألة واضحة ولا لبس فيها ولا غموض، ان السلطات الامريكية فى العراق استهدفت ـ عن عمد وسبق اصرار ـ قتل كل من سيجرينا وكاليباري، وهذا بالطبع لمنع تسرب معلومات معينة او قتل الحقيقة فى مهدها حول قضية خطف سيجرينا ثم الافراج عنها، والاستنتاج المباشر الذى يصل اليه اى محلل، هو ان هناك نوعا من التورط الامريكى فى عمليات اختطاف شخصيات معينة للاساءة الى المقاومة ـ وايا كان الامر واحتياطيا فانه حتى لو كانت المقاومة هى من قامت بذلك، فهذا تصرف فيه غباء ومرفوض، ويجب على المقاومة ان تكون اكثر ذكاء فى اختيار اهدافها!! ولكن الارجح ان دوائر امريكية، جندت عملاء واسمتهم باسماء معينة وجماعات معينة للصقهم بالمقاومة ومن ثم القيام بأعمال تسيء الى سمعة المقاومة العراقية، ومنها ايضا العمليات ضد المساجد الشيعية والحسينيات او استهداف مراكز العزاء الشيعية او المناسبات الشيعية، والامر كله يصب فى محاولة عزل الطائفة الشيعية عن المقاومة، بل وتحويلها الى عدو كامل للمقاومة، ونحن مرة اخرى ندعو المقاومة الى الكف عن ذلك والاعتذار عنه ان كانت متورطة، وان تعلن بوضوح ادانتها لتلك الاعمال وان تقف ضدها

دليل جديد

د. محمد مورو

لم يعد هناك شك فى أن التبريرات التى ساقتها الولايات المتحدة الأمريكية بشأن حملتها على العراق ومن ثم احتلاله، سواء كان ذلك متمثلا فى موضوع اسلحة الدمار الشامل المزعومة، او انهاء الديكتاتورية او غيرها من الذرائع، فى ان كل ذلك كان مجرد ذرائع غير حقيقية لتنفيذ قرار امريكى صدر مسبقا، وبالتحديد منذ اوائل رئاسة جورج بوش الاولي، وان ذلك كان مخططا له سواء وقع حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ او لم يحدث، بل ان وثائق قد ظهرت تؤكد ان ذلك كان ضمن الخطة الامبراطورية ـ للهيمنة على العالم ـ التى وضعتها مايسمى بعصابة اليمين الجديد حتى قبل رئاسة جورج بوش الاولي. ولابأس فى ان نرصد دليلا جديدا فى هذا الصدد، ففى برنامج وثائقى بثته الاذاعة البريطانية الـ "بى بى سي" تبين ان ريتشارد ديرلوف رئيس جهاز المخابرات البريطانية قد ابلغ رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير بأن واشنطن كانت عازمة على تدبير الذرائع لتبرير شن الحرب على العراق، واشارت الى ان ديرلوف اجتمع فى واشنطن مع كبار المسؤولين الامريكيين واكد لبلير ونخبته من الوزراء بعد عودته من واشنطن تصميم الولايات المتحدة على الدخول فى الحرب ضد العراق قبل تسعة اشهر من اندلاعها فى مارس ٢٠٠٣، واوضح لرئيس الوزراء البريطانى ان الحرب اصبحت حتمية ولا مفر منها، وقال ان الوقائع والمعلومات الاستخباراتية يتم ترتيبها فى واشنطن لتتماشى مع سياسة ادارة الرئيس الامريكى جورج بوش، وكشف البرنامج النقاب عن ان بريطانيا والولايات المتحدة سارعتا بشن الحرب على العراق برغم قلة المعلومات الجديدة التى تشير الى ان العراق كان يمتلك اسلحة دمار شامل، وان تونى بلير وافق على المخططات الامريكية بشن الحرب على العراق اعتبارا من ابريل ٢٠٠٣ ـ اى قبل عام كامل من الحرب وان الدافع الحقيقى لبلير فى ذلك ليس الذرائع المقدمة من الولايات المتحدة، ولكن لكى يبرهن تونى بلير للادارة الامريكية على ان بريطانيا هى اقرب حليف لبوش. وفى اطار آخر قال روبين كوك وزير الخارجية البريطانى السابق: ان اسلحة الدمار الشامل العراقية المزعومة لم تكن السبب الحقيقى لشن الحرب على العراق، ولا لمشاركة بريطانيا فى ذلك.

دليل على الفشل

د. محمد مورو

الفشل الأمريكى فى العراق أصبح حقيقة مؤكدة، وهو نذير شؤم ان شاء الله على امريكا، وعلى التحـالف الامريكـى الصـهيوني، وبشـرى لكـل الـذين يحلمـون بـانتزاع حقـوقهم فـى مواجهـة الغطرسة والاستكبار، وتجربة المقاومة العراقية اثبتت بما لايدع مجالا للشك ان الشعوب قـادرة علـى انتـزاع حقوقهـا لـو امتلكـت الارادة والتصـميم، وان الانسـان اقـوى مـن التكنولوجيـا.
ويدخل فى هذا السياق، اى الاعتراف بالفشل الامريكى الذريع فى العراق ذلك البيـان الـذى نشرته صحيفة انجلوس تايمز الامريكية والذى وقعه ٢٦ دبلوماسيا ومسئولا عسكريا امريكيا سابقا منهم ٢٠ سفيرا أمريكيا سابقا عمل معظمهم فى دول الشرق الاوسط، وبعضـهم عمل فى ظل ادارات جمهوريـة والبعض الآخر فى ظل ادارات ديمقراطيـة ومنـهم جنرالات سـابقون فى الجيش الامريكي، وقد اتهم هؤلاء الرئيس الامريكى جورج بوش بالاضرار بـالامن القومى للولايات المتحدة الامريكية، ويناشدون الناخب الامريكى عدم التصويت لمصلحة الرئيس جورج بوش فى انتخابات الرئاسة الامريكيـة القادمـة فى نـوفمبر تشرين ثـان القـادم، وقد ادان هـؤلاء الموقعون علـى البيـان سياسـة الـرئيس بـوش الخارجيـة، وقـالوا ان مـنهج الادارة الامريكيـة الحالية وتوجهاتها اضرت بصورة خطيرة بدور الولايات المتحدة القيادية فى العالم ، ولاشك ان هذه خطورة غير معتادة، حيث ان الحياة السياسية الامريكية لم تعرف من قبل خطورة مماثلـة يقوم خلالها دبلوماسيون وعسكريون بـارزون سابقون بإصدار رسـالة سياسية صريحة على هذا النحو فى عام تجرى فيه الانتخابات الرئاسية الامريكية.
وكان سياسيون ودبلوماسيون انجليز قد فعلوا شيئا مشابها فى اطار انتقاد سياسـة تونى بلير رئيس الوزراء البريطاني، الخاصة بالعراق وهو ما يعنى ان هناك احساسا بالفشل المتزايد لدى السياسيين الانجليز والامريكيين بخصوص الموضوع العراقي.
اعتبر الموقعون علـى البيـان فـى امريكـا ان الجهـود التـى بـذلوها خـلال عملهـم لتـدعيم موقـع الولايات المتحدة وريادتها للعالم قد ضاعت من جراء سياسات بـوش، وقد اطلق موقعو البيـان على انفسهم اسم دبلوماسيون وقادة عسكريون من اجل التغيير .
وفى الواقع فان هذه الخطوة لا تعبر عن اتجاه اخلاقى لدى هؤلاء كما يزعمون، لأنـه لـو كـان الامر كذلك لكانوا قد اصدروا هذا البيان بمجرد بدء عملية العدوان على العراق، ولكن التفسير الصحيح لتلك الخطوة هى الاحساس المتزايد بالفشل الامريكى الذريع فى العراق، وخوفهم من ضياع هيبة الولايات المتحدة بسبب ذلك الفشل.

دمية بأيدى منتجى السلاح

د. محمد مورو

وصف المرشح الديمقراطى للرئاسة الامريكية جون كيرى الرئيس الامريكى جورج بوش لفشله فى تجديد الحظر على استخدام الاسلحة الشخصية، بانه مجرد دمية فى يد لوبى السلاح الذى يمثل جماعة الضغط التى تعمل لمصلحة منتجى وتجار الاسلحة الخفيفة فى الولايات المتحدة، واتهم كيرى بوش بتقديم مصالح هذه الجماعات على مصالح الشرطة وضحايا واسر الضحايا فى جرائم السلاح، وكان النواب الجمهوريون قد انهوا الحظر على تجارة هذا النوع من السلاح فى حين ان اغلبية الامريكيين كانوا يؤيدون هذا الحظر، وكذلك اعرب اغلبية رجال الشرطة عن قلقهم ازاء عدم العمل بهذا الحظر.

هذا الموضوع بالطبع موضوع محدود فى النهاية، ولكن التفات كيرى الى كون رئيس الجمهورية فى امريكا يمكنه ان يصبح دمية بايدى منتجى السلاح الخفيف يعنى مباشرة ادراكه ان الرئيس الامريكى يمكن ان يصبح دمية فى يد منتجى السلاح الثقيل، او المجمع الصناعى العسكرى الذى يستفيد مباشرة من نشر الحروب وتصدير السلاح وانتاج السلاح للجيش الامريكي، وبالتالى من زيادة احلام الامبراطورية الامريكية وزيادة مخصصات الدفاع وغيرها وفى الحقيقة فان اكتشاف كيرى لهذه الحقيقة ربما تطيح بآماله بالفوز بالرئاسة الامريكية، اللهم الا اذا اسرع وقدم نفسه للمؤسسة الرأسمالية الحاكمة الحقيقية وعلى رأسها المجمع الصناعى العسكري، بانه مستعد شخصيا ان يصبح دمية لهم ايضا، وبديهى ان كيرى يدرك هذا، وهو اكتفى بأن يصف بوش بأنه دمية لمنتجى السلاح الخفيف دون ان يتطرق لمنتجى السلاح الثقيل والمجمع الصناعى العسكرى والمؤسسة الرأسمالية وبديهى ان هؤلاء يمتلكون من وسائل التأثيرالاعلامى ما يسمح بخداع قطاع كبير من الناخبين، وكذا تمويل الحملة الانتخابية لهذا او ذاك سرا او علنا، مباشرة او بطرق غير مباشرة

دون المتوسط

د. محمد مورو

كشفت صحيفة "واشنطن بوست" الامريكية عن تقرير للمؤرخ الرسمى - لاحظ انه الرسمى - للحرب الأمريكية فى العراق ينتقد فيه اقدام الولايات المتحدة على غزو العراق دون خطة رسمية، هذا بالطبع يكشف عن غرور وغطرسة رامسفيلد بالدرجة الاولى وبوش وباقى الادارة بالدرجة الثانية، ويكشف ايضا عن ان هذا المؤرخ الرسمى لم يهمه معاناة العراقيين من الحرب ولا الجرائم التى ارتكبتها القوات الامريكية هناك وهى اصبحت معروفة ومنشورة ولايمكن انكارها، ولكنه يهتم بأداء القوات الامريكية، ويعترف المؤرخ الرسمى للحرب الامريكية فى العراق المؤرخ إيسياه ويلسون عضو مجلس العلاقات الخارجية الامريكى فى دراسة اعدها لجامعة كونيل الامريكية ان الاداء العام للقوات الامريكية فى العراق يمكن وصفه بأنه دون المتوسط، والحقيقة ان المسألة لاتتصل بوجود خطة من عدمه ولا بالاداء المتوسط او دون المتوسط او فوق المتوسط للقوات الامريكية، ولكن يتصل ببسالة المقاومة العراقية فلولاها لما تم كشف هذه العوارات.

يضيف المؤرخ إيسياه ويلسون ان عدم وجود الخطة لاتزال تؤثر سلبا على العمليات العسكرية الامريكية فى العراق الى الآن، وحتى لو لم تكن هناك خطة فى البداية ألم يكف مايزيد على ٢٠ شهرا فى العراق لوضع أى خطة!!، نستمر مع المؤرخ الذى يقول ان الاداء الامريكى فى العراق ربما يؤثر على احتمالات النجاح هناك بل يمكن ان يؤدى الى خسارة الحرب حتى بعد الفوز المفترض بها!!.

الذين علقوا على هذا التقرير وصفوا واضع التقرير إيسياه ويلسون بأنه عالم ببواطن الامور العسكرية وخبير استراتيجى على دراية بالتخطيط فائق السرية، ووصف المراقبون ذلك الأمر بأنه مهزلة، وان القادة العسكريين الامريكيين لم يستوعبوا الوضع الاستراتيجى فى العراق.

ديمقراطية أم طائفية؟

د.محمد مورو

حسب الدكتور محمد السيد سعيد، وهو غير متهم بالأصولية ولا تشجيع الارهاب مثلاً، وهو نائب رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية بمؤسسة الاهرام بمصر وهو مركز يسيطر عليه الكثير من الداعين الى السلام مع اسرائيل والتفاهم مع امريكا، حسب الرجل فان الولايات المتحدة وتحديدا ادارة الرئيس جورج بوش تعيش فى نوع من الاحتفال بانجازها فى اطار دوران عجلة الديمقراطية فى المنطقة ـ ويرى الدكتور سعيد ان هذا لايزيد على ان يكون وهما او خداعا للذات او فى افضل الاحوال قراءة خاطئة الى حد بعيد لما جرى فى السياسة العربية.

بداية فان من المعروف حديث بوش وادارته عن الديمقراطية ماهو الا نوعا من الخداع، لأن اجهزة تلك الادارة هى ذاتها التى سلمت متهمين الى دول معينة ـ هى نفسها التى تنتقدها الادارة الامريكية ـ بهدف تعذيبهم للحصول منهم على اعترافات!! ناهيك عما حدث فى ابو غريب وجوانتانامو وقلعة جانجى بأفغانستان على يد السلطات الامريكية ذاتها. يضيف الدكتور سعيد: ان الادارة الامريكية والاعلام الامريكى البست ثوب الديمقراطية لوقائع معينة مثل الانتخابات العراقية والانتخابات الفلسطينية والانتفاضة الشعبية فى لبنان ثم قرار الرئيس المصرى حسنى مبارك بتعديل المادة ٧٦ من الدستور المصرى ليكون انتخاب رئيس الجمهورية عن طريق الانتخاب من بين عدد من الشخصيات بدلاً من الاستفتاء على شخص واحد. ويرى الدكتور سعيد ـ ونحن معه ـ بأن ذلك لايقع فى سلة الديمقراطية بل فى سلة اخرى تماما لا صلة لها بالديمقراطية وهى ببساطة ثورة الهويات، فالانتخابات العراقية تمثلت فى معدل انتخابى مرتفع فى مناطق الشيعة والاكراد ومقاطعة سنية شبه كاملة الامر الذى يعنى وجود تعبئة قومية او طائفية، وانتفاضة الديمقراطية فى لبنان هى فى النهاية نوع من الفرز الطائفى ـ غاب الشيعة تماما عنها مثلاً، وقرار الرئيس المصرى حسنى مبارك بتعديل الدستور ليس مقصودا به الديمقراطية بقدر ماهو نوع من تجديد شرعية واهنة وضعيفة لنظام الحكم او نوع من الالتفاف على الاصلاح الديمقراطى الحقيقى

رجل عظيم

د. محمد مورو

لايخلو مجتمع من المجتمعات، حتى ولو كان المجتمع الأمريكي، الذى افرز للعالم قدرا هائلا من الشرور والحروب والانتهاكات والعنصرية والابادة والاسترقاق، لايخلو هذا المجتمع من عقلاء او حتى ذوى ضمير من امثال رامزى كلارك وناعوم تشومسكي.. الخ.

من هؤلاء العقلاء ـ والعقل هنا لاعلاقة له بالجانب الاخلاقي، بل بالجانب البراجماتى الباحث عن المصلحة الامريكية اولاً واخيراً ـ من هؤلاء العقلاء مايكل شيور مؤلف كتاب لماذا يخسر الغرب حربه ضد الارهاب؟ وهو ايضا ضابط امريكى سابق كان مسؤولا عن اقتفاء اثر بن لادن منذ نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، كما رأس الوحدة الخاصة باسامة بن لادن فى المخابرات الامريكية بين عام ٦٩٩١، ٩٩٩١، وهى اول وحدة تتخصص لشخص واحد فى تاريخ المخابرات الامريكي، ظهر هذا الضابط السابق مايكل شيور فى مقابلة تليفزيونية مؤخراً بعد ان قدم استقالته من المخابرات الامريكية وقال الرجل اقوالا لاتخلو من الحكمة والدلالة، فهو يرى مثلاً انه مادام الامريكيون لايحترمون اسامة بن لادن ـ الصحيح لايحترمون مشاعر المسلمين ويلوغون فى دماء العرب والمسلمين خاصة فى العراق ويدعمون اسرائيل التى تلوغ فى دماء العرب خاصة الفلسطينيين ـ ماداموا لايحترمون اسامة بن لادن فسيموتون بأعداد كبيرة وهذا الامر غير مجد بالنسبة لهم، والرجل هنا يرى ان تصرفات وسياسات الادارة الامريكية وطريقتها فى الحرب على الارهاب ستؤدى الى عكس المطلوب على طول الخط.

واكد الرجل ان اسامة بن لادن يعتبر رجلا عظيما لأنه اثر فى مجرى التاريخ وهذا صحيح فيكفى ان اسامة يتحدى امريكا القوة العظمى المتغطرسة فى وقت تنحنى امامها حكومات ودول واعرب مايكل شيور عن اعتقاده بأن قادة الولايات المتحدة اضروا بالشعب الامريكى خلال السنوات العشر الاخيرة بعد ان وصفوا بن لادن باللص النذل على حين انه ـ على حد قول مايكل شيور ـ عدو عاقل ومذهل، واشار شيور الى ان اسامة بن لادن اصبح اكثر خطورة من أى وقت مضي

سقوط الأقنعة

د. محمد مورو

بالنسبة لنا فإن الاحتلال هو الاحتلال، ومسألة تحرير العراق هى اكذوبة مهما كانت دعاوى الامريكيين الزائفة، وبالتالى فان الاحتلال لا علاقة له بالحرية ولا بالاستبداد، الاحتلال هو الاحتلال، ومقاومة الاحتلال واجب دينى ووطنى وانسانى ايا كان موقفك أو توجهك. وهكذا فان هتاف الشيعة فى كربلاء العام الماضى ٤ ملايين عراقى وهذا العام مليون عراقى لا لأمريكا لا للاحتلال قد كشف المسألة برمتها فالشعب العراقى بكل فئاته وجماعاته لايريد الاحتلال وليس السنة فقط وان ماحدث من صدام مع سلطات الاحتلال هو التطور الطبيعى لشعب فى مواجهة الاحتلال خاصة ان الغريزة الاستعمارية ـ وهى غريزة حتمية ـ تدفع العراقيين فى هذا الاتجاه بالاخطاء والخطايا والممارسات التى ترتكبها والامر لم يعد ينطلى على احد لا داخل العراق ولا خارجه، وحتى الصحف الغربية والامريكية ذاتها بدأت تعترف بهذه الحقائق وعلى سبيل المثال لا الحصر، فان صحيفة الجارديان البريطانية ترى انه ايا كان الامر فإن العراقيين قد اكتشفوا ان الطريق السلمى لطرد المحتلين لايفضى الى شئ، ، لقد تم ابلاغهم بذلك على نحو صريح ووحشى عندما سحقت الدبابات الامريكية من طراز ابرامز المتظاهرين العراقيين، وعندما استخدم الامريكيون اساليب شارون فى مواجهة العراقيين، وتضيف الجارديان لقد بدأ الغزو الامريكى يسفر عن وجهه القبيح انه مغامرة استعمارية تواجه مقاومة تتحول فعليا الى حرب تحرير مستمرة .

وتتهم الجارديان سلطات الاحتلال الامريكى باستقدام فرق اغتيالات خاصة تم تدريبها فى اسرائيل قامت باغتيال العلماء واساتذة الجامعات فى العراق، وهو نفس ما فعله الامريكيون فى حرب فيتنام والتى اودت بحياة ١٤١ الف فيتنامى من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧١.

ويقول روبرت فيسك كاتب بريطانى نزيه : انها حرب بنيت على الاوهام والاكاذيب وثمة حقيقة واحدة بسيطة مفادها ان العراقيين يرفضون الاحتلال

شارانسكى وجورج بوش

د. محمد مورو

قلنا من قبل ان هناك تطابقا كاملا بين الموقف الامريكى والصهيونى بل ان العالم كله الآن - تقريبا - فى مواجهة المشروع الصهيونى الامريكي، وكل يوم تؤكد الوقائع والحوادث والمواقف ذلك، آخر مايمكن رصده فى هذا الصدد، ان الرئيس جورج بوش اعتبر كتاب الوزير الاسرائيلى "نائمان شارانسكي" الذى جاء بعنوان "دفاع عن الديمقراطية" يعبر عن ارائه وان جورج بوش نصح كل من يعرفهم بقراءة الكتاب، وهو ينقل منه الكثير من الاقوال فى خطبه وتصريحاته ويعتبر هذا الكتاب جزءا من الحامض النووى لرئاسته على حد تعبير جورج بوش شخصيا!!

وهكذا فان الوهم ينتهى مباشرة حول امكانية اقناع جورج بوش بعدالة شيء من المطالب العربية او امكانية تغيير موقف امريكا، فالرئيس وادارته يستمدون افكارهم من شخص اسرائيلى هو وزير شئون المغتربين والقدس، وهو منشق سوفييتى سابق، هاجر الى اسرائيل بعد ان تم الافراج عنه فى صفقة لتبادل الجواسيس بين امريكا والاتحاد السوفيتى السابق حيث كان يقضى عقوبة بالسجن فى احد السجون السوفييتية بتهمة التجسس لصالح الامريكان!!

وهو بالمناسبة من اشد المتطرفين الصهاينة ويرأس حركة "بعاليا اسرائيل" وهو الذى دعا ذات يوم الى اطلاق الصواريخ لتدمير السد العالى فى مصر واغراق مصر بالتالى وهو لايؤمن بالسلام - من اى نوع مع العرب - بل يرى ان الطريقة الوحيدة للتعامل مع العرب هى قتلهم، وان الضامن الوحيد لحياة اسرائيل هو جيشها وقوتها وقنابلها النووية وليس السلام او الاتفاقيات مع العرب.

المهم ان الكتاب يطرح رؤية فى غاية الخطورة يعتبرها جورج بوش فلسفة له وهى ان على الولايات المتحدة نشر الحرية فى العالم بالقوة، وان ذلك يقتضى التدخل العسكرى لضرب وقمع والقضاء على الارهاب ومنظماته وافراده وافكاره، والترجمة الصحيحة والمباشرة لهذا الكلام هو ضرب وقتل والقضاء على كل شيء يعادى اسرائيل او يقاوم المشروع الامريكى الصهيوني!!

صيغة عبقرية

د. محمد مورو

قلنا مرارا وتكرارا ان الجهاد يفجر الوعي، والمقاومة تفجر المعرفة، وأن المواقف العبقرية التى اتخذها المقاومة اللبنانية، لم تكن بسبب كفاءة رجاله وقادته فقط، ولكن بسبب بركة الجهاد ذاته "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا". وإذا كانت المطالب الامريكية والصهيونية ـ ومن ثم الفرنسية ثم لحق بهم الموارنة على لسان البطريرك نصرالله صفير بنزع سلاح المقاومة هو مطلب مريب ومرفوض ـ وقد رفضته المقاومة بالفعل وبديهى ان الهدف الحقيقى من القرار ١٥٥٩ هو نزع سلاح المقاومة، واذا حدث ذلك لاقدر الله، لأصبحت سوريا نفسها معرضة للغزو الامريكى ومن ثم لبنان، ولوقعت سوريا ولبنان فى قبضة عملاء امريكا واسرائيل وازلام اتفاق ٧ آيار المشؤوم، ويومها سيندم تيار الحريرى ووليد جنبلاط على انهم ساروا مغمضى العين وراء فرقا وقرنة شهوان والانعزاليين وانصار ميشيل عون وانطوان لحد.

على كل حال فان المقاومة تبرر باستمرار حمل السلاح بأن هناك مناطق لبنانية لاتزال محتلة، مثل مزارع شبعا والقرى الحدودية التسع، ولكن يبدو ان هذه التبريرات ليست قوية بما يكفي، بمعنى انها تثير الجدل حول لبنانية او عدم لبنانية مزارع شبعا، ثم من الممكن ان تنسحب منها اسرائيل لوضع المقاومة فى مأزق، وكذا فان القرى الحدودية التسع هى مسؤولية الدولة اللبنانية التى وقعت على اتفاق حدود عام ١٩٤٧، والمقاومة لاتريد ان تحل محل الدولة، وهكذا فان الغطاء الصحيح لاستمرار سلاح المقاومة هو ان صيغة "شعب، جيش، مقاومة، حكومة" هى التى تحمى لبنان وسيادته وسلامته وكرامته وهى الصيغة التى ابدعها سيد المقاومة اخيرا، وهى صيغة صحيحة ١٠٠% وليتها تكون نموذجا لدول عربية مواجهة اخري، وهى صيغة ممتدة طبعاً، وصحيح ان السيد حسن نصر الله اراد بهذا اعطاء غطاء سياسى لسلاح المقاومة ولكن الطرح تجاوز التبرير والغطاء لتشكيل نموذج فذ يجب ان تأخذ به باقى الدول العربية، لأن من البديهى ان الدولة والجيش وحدهما فى اى دولة عربية ـ بسبب اختلال ميزان القوى ـ لا يمكنهما حماية الدولة ولا سيادتها ولا كرامتها.

فتش عن أمريكا

د. محمد مورو

الخبر الذى خرج من جنيف يقول إن الأمم المتحدة اكتشفت جهازا للتنصت وضع سرا فى قاعة مهمة للاجتماعات فى المقر الاوروبى للامم المتحدة فى جنيف بسويسرا، وكان التليفزيون السويسرى قد بث تقريرا حول هذا الموضوع وقال ان جهازا متطورا جدا للتنصت والتجسس قد تم اكتشافه فى قاعة الاجتماعات التى يطلق عليه اسم "الصالون الفرنسي" فى مبنى قصر الأمم بجنيف، وأن هذه القاعة كانت قد استخدمت من قبل لعقد اجتماعات الدول الخمس الكبرى فى سبتمبر ٢٠٠٣ حول الوضع فى العراق بعد اندلاع الحرب.

وقد اكدت المتحدثة باسم الامم المتحدة فى جنيف مارى هوز صحة التقرير الذى بثه التليفزيون السويسرى وقالت المتحدثة "مارى هوز": ان موظفى الامم المتحدة قد عثروا على ذلك الجهاز ولكن لم يتم التحقق من تحديد موعد زرع الجهاز ومن قام بذلك، وان القاعة التى زرع فيها هذا الجهاز توضع عادة تحت خدمة رؤساء الوفود، ان الجهاز كان مثبتا فى احد الاعمدة الخشبية فى تلك القاعة.

وهكذا نكتشف يوما بعد يوم ان هناك من الجهات والدول من لاتتورع عن التجسس فى كل مكان واى مكان، وان الامم المتحدة ورؤساء الوفود يتعرضون للتجسس، وقد يبدو الامر طبيعيا جدا، لان العالم كله يتجسس على بعضه البعض، ولكنه دليل جديد على انهيار المسائل الاخلاقية فى هذا العالم الذى نعيش فيه، وكانت فضيحة مماثلة قد ظهرت فى قاعات الامم المتحدة فى نيويورك ونشرت وقتها الصحف الامريكية ان المخابرات المركزية الامريكية هى من تقوم بهذا العمل، وبديهى ان المستفيد من التجسس على رؤساء الوفود هى امريكا ايضا، خاصة ان تلك القائمة التى تم اكتشاف الجهاز بها كان مقرا لاجتماعات الدول الخمس الكبرى حول الوضع فى العراق بعد الحرب وكذلك محادثات الجوع التى نظمها الرئيس البرازيلى دى سيلفا والرئيس الفرنسى جاك شيراك فى يناير ٢٠٠٣ وكلها موضوعات وشخصيات على نوع من الخلاف مع الولايات المتحدة!!

فرقان أم أوهام؟

د. محمد مورو

فى اطار الهجوم الثقافى على الاسلام ومقدساته باعتبار هذا الاسلام هو رأس الرمح الثقافى ومن ثم رأس الرمح المقام لمشروع الهيمنة الامبراطورية الامريكية - الصهيونية، فوجئنا بنشر مايسمى بـ الفرقان الحق على شبكة الانترنت - وهو كما يزعمون - قرآن بديل للقرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس، وكلمة الله الحقة الخالدة ان شاء الله تعالي، وهو نصوص مفككة لاقيمة لها من الناحية اللغوية ومن ناحية المضمون، وبديهى ان القرآن الكريم كتاب محفوظ من الله تعالى إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ومن ثم فلن يقدم اويؤخر هذا الفرقان المزعوم ولن يجد اى صدى لدى المسلمين ولاغيرهم، ولكنه دليل جديد على الحقد الامريكى - الصهيونى او الدوائر المتصلة بذلك، والذين صنعوا هذا الهراء لايعرفون انهم انما يحرثون فى البحر او يصرخون فى واد يستهدف مروجو هذا الفرقان المزعوم الى بث مفاهيم معاكسة لمفاهيم القرآن الكريمة، ولكنها محاولة ساذجة، فأى مسلم طفلا كان ام رجلاً يعرف ان الله واحد أحد فرد صمد وان الحديث عن المسيح الأب او الابن او صلب المسيح الذى يتعارض مع مفاهيم القرآن الكريم ماهى الا محاولة لتشويه عقائد المسلمين ولكن هيهات، الفرقان المزعوم من منشورات احدى دور النشر الامريكية تحت مسمى الفرقان الحق وهو موجه - حسب ما قدمته دار النشر الى العرب والمسلمين - لتصحيح عقيدتهم باتجاه قبول اسرائيل والتخلى عن الجهاد والمقاومة وترجم الى اللغتين العربية والانجليزية ويوزع على طلاب المدارس الاجنبية فى عدد من الدول العربية وهذا يعنى ضرورة تحرك السلطات فى تلك الدول حتى لا تحدث فتنة، على كل حال هو محاولة امريكية - نوعية جديدة لنشر مايسمى بالدين الجديد والكتاب الجديد، ولكنها محاولة بلهاء وساذجة ولن تضر احدا، هى فقط تكشف جزءا من مخططات التحالف الصهيونى - الامريكى ضد امتنا وضد ديننا ومقدساتنا لا أكثر ولا أقل

فضيحة

د. محمد مورو

ان تقوم سلطات التحقيق فى الدول العربية والاسلامية بتعذيب المعتقلين فهذه فضيحة.. باتت معروفة ولكنها لاتزال منكورة وغير شرعية ولاتتفق مع عرف او دين اوتقاليد، وهى احد اسباب تخلفنا وتراجعنا ويجب النضال لوقفها ومحاكمة المسئولين عنها، وان تقوم الاجهزة الامريكية بتسليم بعض المعتقلين لديها الى عدد من الحكومات العربية بهدف استخدام الاساليب المعروفة عن تلك الحكومات العربية من تعذيب وقهر لانتزاع اعترافات فهذه فضيحة مركبة تكشف عن مدى تبعية تلك الحكومات لأمريكا، وكأنها احد اجهزتها السرية وتكشف ايضا عن مستوى لا اخلاقي!!

والجديد فى هذا الصدد هو ما كشفت عنه مجلة نيويوركر الامريكية والذى يؤكد ان الادارة الامريكية لم تكتف بتسليم المعتقلين الى الحكومات العربية لتعذيبهم وانتزاع الاعترافات منهم، ولكن ايضا استخدام محققين عرب وبالذات مصريين فى انتزاع الاعترافات داخل معتقل جوانتانامو، والجريمة هنا مركبة، فالتعذيب الذى تمارسه الاجهزة الامريكية وطريقة معاملة المسجونين فى جوانتانامو ينسف فكرة الحرية الامريكية نسفا، وفى نفس الوقت فان استخدام محققين عرب ومصريين فى التحقيقات داخل المعسكر يشكل فضيحة كاملة الاركان وجريمة بلا حدود. وقد ادلى احد المعتقلين المفرج عنهم حديثا من معسكر جوانتانامو عن طرق التعذيب المبتكرة التى يمارسها الامريكيون فى جوانتانامو ضد ضحاياهم من المسجونين وادلى الرجل ايضا وهو وسام عبد الرحمن بمعلومة خطيرة وهى ان الذى كان يستجوبه مصري!! وفى الحقيقة فان عددا من التقارير تحدثت عن قيام محققين مصريين بمساعدة الامريكيين فى التحقيقات داخل السجون العراقية وفى معتقل جوانتانامو، ومن المفروض ان معلومات مثل هذه تستدعى تحركا شعبيا مصريا او استجوابا فى مجلس الشعب المصري.. ذلك اذا كان هناك معارضة حقيقية وليست مجرد ديكور!

قوة الحضارة وحضارة القوة

د.محمد مورو

ليس امراً جديدا على الخبرات العالمية ان تعرف ان هناك علاقة قوية بين الاحتلال الاجنبى والتبشير المسيحى الغربي، فدائما وأبدا كان المبشر القس يسبق العسكرى والسياسى ليمهد له الارض، او يلحق به ليكمل عمله، فهما طرفا مقص واحد، وبديهى ان العراق لن تكون استثناء، فقد اتى الاحتلال الامريكى بجيش آخر من المبشرين والمنصرين والاعلاميين والمثقفين ليكملوا حلقة الحصار ويقوموا بتغيير عقائد الناس او امزجتهم الثقافية والفكرية والسلوكية حتى يسهل على الاحتلال ترويضهم، والمستهدف بالمناسبة ليس الدين الاسلامى فقط، بل المسيحية الشرقية، بل ربما كانت المسيحية مستهدفة اكثر من الدين الاسلامي، وهذه خبرة اخرى عرفناها فى زمن الاحتلال الاوروبى للمنطقة، والاحتلال الامريكى بدوره يمارسها، وهكذا فان زلة اللسان المزعومة لجورج بوش عن انها حرب صليبية لم تكن الا حقيقة وجدانية عبر عنها اللسان دون ان يدري، ويعترف الكاتب الامريكى ايان بروما واحد المشاركين فى كتاب بعنوان الغرب فى عيون اعدائه فى مقال له بصحيفة النيويورك تايمز بأن غزو العراق جزء من حرب حضارية شاملة، ويتوقع الكاتب ان تفشل امريكا فى فرض قيمها على العراق والعالم لان القيمة الحضارية لاتفرض بقوة السلاح بل ان فرضها بقوة السلاح يخلق العكس، اى يخلق روح وطنية رومانية تمجد روح الوطن وتستلهم الجذور، بل ربما تخلق نوعا من التعصب المضاد نتيجة المرارة والشعور بالغضب.

وكانت صحيفة الديلى تلجراف البريطانية قد ذكرت على لسان جون برادى رئيس هيئة الارساليات الدولية للشرق الاوسط وشمال افريقيا ان تلك الهيئة قد طلبت من الادارة الامريكية جعل العراق مفتوحا للتنصير وجماعات التبشير بحيث يكون محطة لنقل الافكار التنصيرية للمنطقة كلها، وتضيف الصحيفة ان العراق بالفعل قد اصبح مرتعا للمنطقة كلها، وتضيف الصحيفة ان العراق بالفعل قد اصبح مرتعا للمنصرين البر وتستانت الذين يمارسون نشاطهم تحت ستار تقديم المساعدات الانسانية للشعب العراقي، وكانت شبكة CNN الامريكية قد ذكرت ان الهجوم الذى نفذته المقاومة العراقية ضد ناقلة امريكية فى شمال العراق ادى الى قتل اربعة منصرين امريكيين كانوا يقومون بمهام تبشيرية تحت اشراف مجلس الارساليات المعمدانية الدولية الجنوبية والاربعة هم لارى اليوت ٦٠ سنة ووفر اليوت ٥٨ سنة وكارين دينيس ٣٨ سنة وديفيد ماكدونالد ٢٨ سنة.

كل الجرائم

د. محمد مورو

تصر الولايات المتحدة الامريكية على ارتكاب كل الجرائم فى العراق، فلم تكتف بالحصار عشر سنوات والذى ادى الى وفاة مليون عراقى خاصة الاطفال والنساء ولا بالحرب على العراق التى راح ضحيتها ١٠٠ الف عراقى مدني، ولا تدمير البنية وتلويث البيئة وزرع الفتنة الطائفية، ولا ممارسة كل انواع القهر والتعذيب فى السجون وتنظيم المذابح الجماعية وقتل الجرحي.. الخ، ولكنها ايضا اضافت الى سجلها الحافل فى العراق جريمة جديدة هى سرقة الاعضاء البشرية للجرحى والقتلى العراقيين، وقد كشفت مصادر عسكرية اوروبية عن وجود عمليات منظمة لسرقة الاعضاء البشرية للقتلى والجرحى العراقيين عن طريق اطباء يرافقون قوات الاحتلال الامريكى فى عملياتهم العسكرية، والجرائم هنا مزدوجة، حيث يتورط عسكريون مع اطباء، وهذا بالطبع مخالف لابسط قواعد المدنية والتحضر ومخالف لكل القوانين والاعراف الدولية والانسانية - اين المنظمات المتصلة بالطب ورسالته!!

هذه الجريمة تكشفت من خلال ورود تقارير تؤكد العثور على جثث مشوهة ومنزوعة الاعضاء فى مناطق عمليات القوات الامريكية، وان هجمات جماعات طبية منظمة ترافق القوات الامريكية من الخلف فى عملياتها العسكرية للتعامل مع القتلى والجرحى لانتزاع الاعضاء البشرية، وحفظها بصورة عاجلة ثم نقلها الى اماكن مخصصة لذلك ومن ثم نقلها الى الولايات المتحدة وبيعها هناك كقطع غيار بشرية.

الغريب ان قيادة القوات الامريكية فى العراق بررت وجود جثث منزوعة الاعضاء بأن الرصاص اخترق تلك الاعضاء، وهو تفسير لايصدقه طفل.

ومن البديهى هنا ان تستنتج ان اصرار القوات الامريكية على عدم السماح لوسائل الاعلام بالاقتراب من مسرح عملياتها، هو نوع من التغطية على مثل هذه الجرائم وكذلك يمكننا ان نفهم لماذا يطلق الامريكيون الرصاص على الجرحى والإجهاز عليهم لاخفاء معالم الجريمة، هذه الجريمة وغيرها من الجرائم؟!!

لدعم العربى للاحتلال الامريكى للعراق

د. محمد مورو

يخطئ من يتصور ان العملية العسكرية الأمريكية التى انتهت باحتلال العراق ثم الاستمرار فى ذلك الاحتلال، تم بدون دعم من حكومات عربية دعم سياسى وعسكرى واستخباراتي، وهذه جريمة ارتكبها بعض الحكام العرب فى حق الشعب العراقى الذى لم يقدم لهم يوما الا كل الخير!!

وبديهى ان من حق الشعب العراقى ان يحقد على هؤلاء الذين دعموا اعداءه ويعتبرهم ايضا اعداء، ليست الكويت وحدها بالطبع، بل هناك آخرون كثيرون ووصل الامر الى حد ان احدى الدول الخليجية استقبلت رئيس الوزراء ودعمته ومنحته ٢ مليار دولار، ولم تطلب منه سوى تصفية فصيل معين فى الساحة العراقية التيار الصدرى .

وفى كتاب المحلل الامريكى ويليام أركين وهو ضابط استخبارات عسكرية امريكية سابق، ومحلل عسكرى حاليا فى صحيفة لوس انجلوس تايمز قال الرجل: ان حكومة الاردن قدمت مساعدات ضخمة للغزو الامريكى للعراق فقد سمحت بنشر قوات عمليات خاصة وطائرات وقاعدتين جويتين فى الاردن، وحتى بعد الاحتلال والاطاحة بصدام، فإن المؤامرة على الشعب العراقى مستمرة، فالهدف هنا هو بناء قوات عراقية - ليس للدفاع عن حدود البلاد - بل لقمع المقاومة والقدرة على مواجهتها بدلاً من الامريكان وادخارا لدمائهم الغالية!! وهل الاطلاع على برامج التدريب وكذا نوعية السلاح الذى يتم به بناء ما يسمى بالجيش العراقى الجديد كلها تؤكد ذلك، والغريب ان بناء قوات بهذه الطريقة يحظى بدعم وتمويل الاتحاد الاوروبي!! ودول عربية مثل مصر والاردن اللتين حرصتا على السماح بتدريب القوات العراقية الجديدة - الموجهة ضد الشعب ومقاومته - على اراضيها ويقول الجنرال ديفيد بتروس قائد قوات الاحتلال الامريكى فى العراق انه قد تم وضع برامج التدريب والتسليح للجيش والشرطة العراقيتين للدفاع عن المؤسسات ضد رجال المقاومة ووحدات مضادة للتمرد الداخلى والعصيان المدنى والمظاهرات الشعبية

لغات إرهابية

د. محمد مورو

على قائمة الارهاب الامريكى ـ فإن هناك اشخاصا محتملين ـ اى يمكن ان يكونوا ارهابيين وبالتالى يجب تتبعهم والتقاط احاديثهم الخاصة والعامة وتحليلها واستنتاج مايمكن استنتاجه منها، وكذا هواتفهم المنقولة والثابتة، وبديهى ان مثل هذا العمل الذى يحتاج الى ترجمة وثقافة معينة ايضا يمكن ان يتسبب فى اخطاء لاحصر لها حيث لايمكن التفريق بين المزاح والجد فى كلام هؤلاء، وكذلك الالفاظ والجمل التى تحتمل اكثر من معني، على نفس القائمة نجد دولاً ارهابية واخرى تنتج الارهاب، الاولى مثل العراق سابقا ـ ايران حاليا ـ سوريا ولبنان ومنظمات مثل حماس والجهاد الفلسطينية، وحزب الله اللبناني، والقاعدة وغيرها.

اما العجب العجاب فهو ان امريكا قررت ان تضع على قائمة الارهاب عددا من اللغات مثل اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الاوردية واللغة الخاصة بالبشتون، وهى اللغات الخاصة بشعوب اسلامية فى المنطقة العربية وافغانستان وباكستان وايران، وقد جاء فى تقرير عن المفتش العام لوزارة العدل الامريكية انه رغم ان مكتب التحقيقات زاد من عدد مترجمى اللغات التى تستخدم فى الشرق الاوسط وافغانستان وباكستان، الا ان عددهم لايزال غير كاف لمسايرة اكوام المواد التى تتدفق على المكتب، وجاء فى التقرير ايضا ان المواد التى التقطتها اجهزة التنصت والتجسس التابعة لنظام مكتب التحقيقات للمراقبة الاليكترونية باللغات العربية والفارسية والاوردية والبشتونية وهى اللغات المستخدمة فى الشرق الاوسط وافغانستان وباكستان قد تزايدت بنسبة ٥٤% من عام ١٠٠٢ الى عام ٣٠٠٢ ومن المتوقع ان تتزايد معدلات ترجمة هذه اللغات بنسبة ٥١% على الاقل سنويا.

وفى التقرير ايضا ان انظمة الجمع الرقمية فى نظام مكتب التحقيقات الفيدرالى الاليكترونية والتى لها سعة تخزين هائلة اصبحت عاجزة عن استيعاب هذا الكم الهائل من المواد المتدفقة، وهذا بديهي، فكيف يمكن تخزين معلومات تتعلق بلغات اربع يتكلم بها مئات الملايين من البشر ويوصى التقرير بزيادة السعة التخزينية للانظمة الاليكترونية فى نظام مكتب التحقيقات الفيدرالى الامريكي.

وسوف تغرق امريكا فى كم هائل من المعلومات والخوف والهلع لأنها سوف تضع كل شيء على قائمة الارهاب المحتمل!!

مخادع

د. محمد مورو

لا ندرى الى متى يستمر الخداع والمراوغة وعدم مواجهة الحقائق المجردة وبديهى ان المراوغة لن تجدى فتيلا بل تساهم فى تكريس الحالة المشكو منها وتفاقمها، لأن الخداع بلا اساس والحكمة العالمية المعروفة تقول: انك لاتستطيع ان تخدع كل الناس كل الوقت!! والذين يراوغون ويخادعون هم فى الحقيقة يضرون غيرهم ولكنهم ايضا يضرون انفسهم قبل ذلك وبعده يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وهم لايشعرون .

فى حوار للأهرام القاهرية مع نائب رئيس الوزراء الايطالى فرانكو فينى ورئيس حزب التحالف الوطنى الايطالى ثانى احزاب الائتلاف الحاكم بمناسبة زيارته الى القاهرة ٢ ـ ٣ اكتوبر ٢٠٠٤ كرر الرجل معزوفة الكذب التى عفى عليها الزمن والتى لم يعد احد يكترث لها اللهم الا المخادعون من اصحابها حينما قال: ان الحرب على العراق مشروعة!! وان المقاومة العراقية ماهى الا اعمال عنف وارهاب ينتهجها اعضاء النظام العراقى المخلوع والارهابيون الاجانب الذين لايريدون ان يعيش الشعب العراقى فى سلام الصحيح فى خضوع للاحتلال وان استراتيجية الارهاب ستفشل وانها محاولة يائسة على الاقل هى محاولة شريفة لشعب يريد ان يخرج الاحتلال من ارضه .

وبالنسبة لفلسطين فهو يرى ان اسرائيل هى التى تنفذ خارطة الطريق، وأن السلطة الفلسطينية لم تحقق اى تقدم فيما يتعلق بالاصلاح الجوهرى لاجهزة الامن ومكافحة الارهاب لم يتطرق ضمير الرجل الى المذبحة التى قامت وتقوم بها اسرائيل ضد الشعب الفلسطينى وكان الرجل قد زار اسرائيل مؤخراً واعرب عن حق اسرائيل فى الدفاع عن نفسها ضد العمليات الارهابية دون ان يتطرق الى الارهاب الاسرائيلى بالطبع .

اما اعجب ما قاله نائب رئيس الوزراء الايطالى فهو ان محاربة الارهاب والاصولية هى السبيل الوحيد لتفادى صدام الحضارات دون ان يتطرق الى ضرورة رفع هيمنة ووصاية وعدوان حضارة على اخري، ومنع الظلم والاحتلال والنهب الذى يحدث للشعوب وتغيير نمط تفكير دعاة الاصولية والامبراطورية والعنصرية فى الغرب عموما وفى امريكا خصوصا.

١٠٠ ألف قتيل

د. محمد مورو

فى تقرير نشرته مجلة لانسيت الطبية البريطانية اتضح ان عدد القتلى من المدنيين العراقيين بسبب الغزو الانجلو ـ امريكى على العراق، اغلبهم ـ كما يقول التقرير ـ من النساء والاطفال وهذا يعنى ببساطة شديدة ان الكذبة والفرية الكبرى التى لاكتها امريكا وبريطانيا واستراليا وباقى الحلفاء حول تحرير العراق وانقاذ شعبه لم تكن الا نوعاً من الدجل الرخيص!!

هذه التقديرات بالطبع مفزعة، وقد استخدمت كلمة مفزعة تلك الوزيرة البريطانية السابقة كلير شورت وهى وزيرة البيئة البريطانية التى استقالت احتجاجا على مشاركة بلادها فى غزو العراق!!

هذا التقرير المنسوب الى مجلة بريطانية يعنى ان شعب العراق دفع نسبة ضخمة من سكانه حوالى ٠,٥% من عدد السكان وهو رقم اعتقد انه غير مسبوق فى تاريخ غزو اى بلد ويدل على مدى وحشية الامريكيين وحلفائهم وعدم اكتراثهم بحياة المدنيين فى العراق، واذا اضفنا الى ذلك مئات الآلاف من الاطفال والنساء والرجال الذين ماتوا بسبب الحظر، والمقاطعة الدولية ـ بايعاز من امريكا طبعاً ـ وحرمانهم من الدواء والغذاء لمدة عشر سنوات متواصلة او اكثر لعرفنا كم دفع الشعب العراقى من ثمن باهظ نتيجة الاستكبار الدولى الذى لم يفرق يوما بين الشعوب والحكام بل هو على استعداد لدعم الحكام على حساب الشعوب مادام هؤلاء يحرسون مصالحه، اما اذا حدث العكس فان الثمن يدفعه الشعب ايضا وقليل منه يدفعه الحكام الذين لن يعدموا وسيلة للحصول على الغذاء والدواء فى ظل المقاطعة مثلاً.

عودة الى كلير شورت الوزيرة البريطانية المستقيلة التى وصفت الارقام بانها مفزعة حيث قالت انه لاعجب فى ضوء سقوط هذا العدد من الضحايا ان تزداد المقاومة العراقية ضد القوات متعددة الجنسيات!! و تساءلت كلير شورت متى سيتوقف رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير عن القول ان نتائج تلك الحرب جاءت لمصلحة الشعب العراقي! . والحقيقة انها مذبحة بكل المعانى وهذا ليس من عندنا بل هو رأى النائب العمالى فى مجلس العموم البريطانى آلان سيمبسون الذى قال ان ما حدث هو مذبحة على نطاق واسع، وقول

المتحدث باسم تحالف اوقفوا الحرب الذى اعتبر تلك الحرب اكثر الحروب دموية فى السنوات الاخيـ رة.

التقرير الذين شرته مجلة لانسيت الطبية البريطانية اسـتند الـى تقـديرات خبـراء امريكيين فى مجال الصحة، وقد ارجع هؤلاء تزايد الضحايا مـن المـدنيين الـى الغـارات العشوائية التى تشنها الطائرات الامريكية على المدن العراقية وقد توصلت الدراسات ايضا الى ان معـدل الوفـاة فـى العـراق زاد ٨٥ ضـعفا عمـا كـان عليـه قبـل الغـزو!! وبالطبع فان شعب العراق لم يدفع الثمن من دماء ابنائه بل ايضا من البنية التحتية والمرافـق التى دمرتها قوات الاحتلال، وكذا فى الكرامة وزيادة الامتهان للمواطنين علـى يـد قـوات الاحتلال وخاصة فى السجون التى افتضح امرها والتى لم يفتضح بعد امرها

مخاوف إسرائيلية

د. محمد مورو

أزعم ان الديمقراطية ـ الحقيقية ـ فى البلدان العربية عموما، ومصر خصوصا امر لايروق الولايات المتحدة الامريكية ولا اسرائيل، وكل ماهو مطلوب هو نوع من الضغط على النظام المصرى للحصول منه على المزيد من التنازلات او استخدام نفوذه فى الضغط على سوريا مثلاً وان المطالب الديمقراطية المزعومة والتى تأتى من امريكا هى نوع من النفاق واقصى مايمكن توقعه دعم وجوه امريكية معروفة او غير معروفة لقيادة الشارع المصرى نحو التغيير بحيث يصب التغيير فى مصلحة امريكا وهذا ماحدث ويحدث فى لبنان مثلاً!! والمسألة اكثر وضوحا بالنسبة لاسرائيل، فعندما طالب الرئيس المصرى بتعديل المادة ٧٦ من الدستور ليكون انتخاب الرئيس المصرى عن طريق الاختيار بين اكثر من مرشح وليس بالاستفتاء وهى خطوة صغيرة فى اتجاه الاصلاح، انزعجت الدوائر الصهيونية التى تعرف جيداً، ان الارادة الشعبية المصرية لو تحققت لجاءت بنظام او حكومة معادية تماما لاسرائيل بل ولأمريكا. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فان "الوف بن" الصحفى المقرب من شارون ومن دوائر صنع القرار الصهيونى قال باللفظ الواحد "ان ظهور انظمة ديمقراطية فى العالم العربى يمثل خطراً حقيقيا على المشروع الاسرائيلي، وان من الواضح ان اسرائيل ستجد صدمة فى التكيف مع عالم عربى ديمقراطى يتولى فيه الرأى العام تحديد السياسات، بدلاً من الحكام الشموليين".

ويقول البروفيسور حزقيئيل درور، وهو من كبار اساتذة العلوم السياسية فى اسرائيل فى اطار ندوة اقيمت فى تل ابيب لمناقشة امكانية حدوث تطور ديمقراطى فى المنطقة "تعالوا نتخيل بروز نظام ديمقراطى فى مصر او الاردن، هل سيؤدى ذلك الى دعم العلاقات والسلام بين هذه الدول واسرائيل"، ويجيب الرجل "بالطبع لا"، ويشرح ذلك قائلا "النخب الحاكمة فى الدول العربية حاليا تفهم الضرورة الملحة لاتفاقات السلام ولكن الجماهير فى الشارع لاتدرك ذلك، واستطلاعات الرأى التى تجرى فى مصر تظهر بوضوح ان الشعب المصرى لايؤيد السلام".

ومن المعروف ان ماقاله حزقيئيل درور هو نفس رأى المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل لأنه على حد قول الصحفى الوف بن "فان ما قاله الدكتور حزقيئيل درور هو نفس وجهة نظر المؤسسة الرسمية فى اسرائيل".

مسرح المقاومة

د. محمد مورو

عبثا حاولت وسائل الاعلام ـ التضليل ـ الامريكية او المحلية ـ تشويه صورة المقاومة العراقية، فللشعوب قدرتها الخاصة على التواصل مع الحدث الصحيح والموقف الصحيح مهما كان الضباب، ولا شك ان المقاومة العراقية تعرضت لكل انواع التشويه والتشكيك، ولكن الشعوب العربية والاسلامية والشعوب المحبة للسلام فى العالم، وكل من اكتوى بنار الرأسمالية والامبريالية والتحالف الامريكى الصهيونى يشعر بنوع من التقدير والتعاطف نحو المقاومة العراقية فهى رأس الرمح فى تقويض صرح الطغيان الامريكى الامبريالى الصهيونى الذى كان يخطط لاستعباد العالم كله وليس المنطقة العربية والاسلامية وحدها. والتعبير عن التضامن مع المقاومة تمثل فى تظاهرات، مقالات ودراسات، حلقات نقاش، شعر، نثر، ولكنه سيصل بالضرورة الى المسرح والسينما حتى ولو كانت الجهات الرسمية او صاحبة التمويل لها رأى آخر، فقدرات الناس على تجاوز ذلك لا حدود لها. ولا شك ان ظهور مسرحية فى مصر تشيد بالمقاومة العراقية وتدافع عنها هو امر له دلالاته الفنية والسياسية، فقد شهد مسرح خاص ظهور مسرحية جديدة بعنوان فيتنام تو والمسرحية تدافع عن المقاومة العراقية وتندد بالامريكان، وهى من تأليف وتمثيل واخراج مجموعة من الهواة مع بعض المحترفين الذين دعموا العمل مجانا، والمفاجأة ان المسرح يمتلئ عن آخره من الجمهور الذى يعبر بدوره بهذه الطريقة عن دعمه للمقاومة وتأييده لها وتفهمهم لمواقفها رغم حملة التشويه الاعلامى الامريكى الصهيوني، المسرحية تتخذ من مدينة الفلوجة مكانا للحدث وقد قصدت المسرحية ذلك بالطبع. ولكن الاخطر ان المسرحية جعلت عناصر المقاومة مصريا واردنيا ومغربيا بقيادة احد العراقيين اى انها مقاومة عراقية تحظى بدعم عربى واسلامى واصرار القائمين على المسرحية من مؤلف ومخرج وممثلين على تمثيل العرب داخل المقاومة العراقية هو نوع من عدم الخضوع للابتزاز الاعلامى الغربى والامريكى الذى يتحدث عن الارهابيين العرب.. الخ وهو لاشك موقف رائع، المسرحية استعرضت من خلال الحوار رؤية المقاومة واهدافها، وانها مقاومة اخلاقية متماسكة المنطق والمبرر فى حين ان الطرف الآخر اما مخدوع او مرتزق او مجرم، وهكذا فان المخدوعين من الامريكيين او المرتزقة الذين يعملون فى صفوف الامريكان تراجع عدد منهم عن موقفه وانضم الى المقاومة.تحية الى هؤلاء الشباب المسرحى الواعى والواعد

مفهوم

د. محمد مورو

اعلن وزير الخارجية الالمانى يوشكا فيشر ان الدول الاوروبية التى عارضت غزو العراق ليست سعيدة بالمشكلات التى تواجه الولايات المتحدة الامريكية فى العراق - يقصد المقاومة العراقية طبعاً - واضاف وزيرالخارجية الالمانى انه ينبغى على هذه الدول ان تواصل تعاونها مع واشنطن بعد الانتخابات الرئاسية الامريكية بصرف النظر عن الفائز بها .
والمسألة مفهومة طبعاً، فيمكن لألمانيا او غير ألمانيا ان تعارض الولايات المتحدة فى غزوها للعراق او غيره من القضايا، ولكنها لاتجيز انتصار المقاومة العراقية لان هذا يضر بالمشروع الاستعمارى الغربى برمته ويمكن ان يكون دافعا لاعادة الصحوة الحضارية العربية الاسلامية وهو ما لاتريده المانيا وغيرها من الدول الاوروبية حتى لو ضحت بمصالحها فى العراق لصالح امريكا، وهذا طبعاً يدخل فى مسألة وجود تناقض جوهرى بين الحضارتين العربية الاسلامية والحضارة الغربية ووجود تناقضات ثانوية بين الدول الاستعمارية يمكن ان تتلاشى اذا ماظهر خطر التناقض الجوهري، وهو امر تكرر كثيرا بين فرنسا وانجلترا فى احتلال مصر ١٨٨١، وبين امريكا والاتحاد السوفيتى وفرنسا وامريكا.. الخ.
والحقيقة ان فيشر نفسه فسر الامر على نحو لا يحتمل اللبس والغموض، فى نفس التصريحات فالرجل - اى فيشر وزير الخارجية الالمانى مثلاً - حذر من الانسحاب الامريكى من العراق ودعا امريكا الى عدم الانسحاب!! وقال ان اى انسحاب قبل اوانه ستكون له عواقب وخيمة على المصالح الغربية برمتها، وقال الرجل ايضا ان المانيا وفرنسا والدول الاخرى التى عارضت الحرب على العراق ستخسر ايضا اذا ساء الوضع فى العراق اكثر من ذلك .
وفى امريكا خصوصا.

من يبنى الجدار العنصري؟!

د. محمد مورو

الموقف الرسمى العربى والفلسطيني، الشعبى والحكومى طبعا هو ضد بناء الجدار العنصرى الفاصل، والعمل على هدمه او وقف بنائه، وتحريك المسألة فى محكمة العدل الدولية التى اصدرت توصية بوقف بناء الجدار وفى الامم المتحدة.. الخ، وبديهى ان الجدار يسبب خسارة مادية ومعنوية ومعيشية وسياسية للفلسطينيين.

ولكن العجيب والغريب ان اطرافا فلسطينية تساهم فى بناء الجدار، ليس كعمال ربما تبرر حاجتهم واضطرارهم الى العمل لسد الرمق، ولكن كسماسرة وتجار ومستوردين، أرباحهم بالملايين، وهم اصلاً اغنياء جدا، ورجال اعمال، وربما مسؤولون كبار فى السلطة الفلسطينية. الفضيحة كانت قد فجرتها صحيفة العربى المصرية الاسبوعية ، والمفاجأة ان الصحيفة ذاتها نشرت ترجمة لمقال فى صحيفة ايطالية تؤكد هذا الامر ، الصحيفة الايطالية هى صحيفة ديلا سيرا التى قالت ان الشائعات تقول ان رئيس الوزراء ساهم فى بناء هذا الجدار، وان من المؤكد ان اثنين من الوزراء متورطان فى عملية استيراد اسمنت لبناء هذا الجدار ا، والقصة كما نشرتها الصحيفة الايطالية، هو ان عددا من الشركات الفلسطينية المملوكة لكبار المسؤولين الفلسطينيين قامت باستيراد اسمنت مصرى حوالى ٤٣٠ الف طن، ثم استخدام ٣٣ الف طن فقط فى اعمال مدنية، وذهب الباقى الى الاسرائيليين، او بالتحديد الى الجدار العازل ليتم به بناء هذا الجدار الملعون، وان الموضوع فيه اطراف متعددة، لأن المصريين مثلاً اشترطوا عدم بيع هذا الاسمنت الى الاسرائيليين، وقدموا الاسمنت بسعر مدعوم بدعوى المساهمة فى اعادة اعمار الاراضى المحتلة، وقد نجحت الشركات الفلسطينية فى االحصول على ضمانات على ما يبدو غير قانونية لتطمين الجانب المصرى وفى النهاية وصل الاسمنت المصرى الى حائط الفصل العنصرى الاسرائيلى عن طريق شركة فلسطينية تابعة لمسؤولين كبار فى السلطة وكله بيزنس!!

منظمات مريبة

د. محمد مورو

رصد احد التقارير الرقابية فى مصر وجود حوالى ٣٨ منظمة تعمل بشكل مباشر فى صعيد مصر "الجزء الجنوبى من مصر" وان هناك حوالى ٩٨١ منظمة اخرى تعمل بطريقة غير مباشرة اوجزئية او غير دائمة.. وبديهى ان اهتمام كل هذا العدد الهائل لتلك المنظمات الاجنبية بمنطقة الصعيد بمصر يثير التساؤلات فهذه المنطقة تتميز بنسبة اكبر من الاقليات عنها فى الوجه البحري، وهى ايضا تتسم بعادات معينة تجعلها من اكثر المناطق التى افرزت عناصر عنف فى مصر خاصة فى فترة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، ولاشك ان قيام تلك المنظمات ـ التى تعمل تحت واجهات العمل الخيرى او البحوث العلمية بدراسة وفهم كل كبيرة وصغيرة فى تلك المنطقة من عادات اجتماعية الى احوال اقتصادية يعتبر امرا خطيرا حيث ان من يملك تلك المعلومات يستطيع بالتالى تحريك المشاكل الاجتماعية او تعميق التناقضات الموجودة، وكذلك تجنيد عدد لابأس به من العملاء تحت واجهات مختلفة خاصة ان الاحوال الاقتصادية فى تلك المناطق متردية ويحتاج الناس فيها الى من يمد يد العون لهم ولا شك ان غياب الحكومة والمنظمات الاهلية المصرية والعربية والاسلامية عن الساحة وعدم قيامها بالدور المطلوب منها فى تلك المناطق يفسح المجال واسعا لحركة تلك المنظمات المريبة، وهو امر من الضرورى تداركه سريعا قبل ان نكتشف ان مصرنا مهددة من داخلها.ولا يقتصر الدور المريب لتلك المنظمات على جمع المعلومات وتجنيد الانصار، بل ان بعضها مثلاً يقوم باجراء تجارب بعض الادوية الحديثة ـ المشكوك فى اثارها ـ على العناصر البشرية وذلك لعدم امكانية فعل ذلك فى الدول الاوروبية وامريكا اى تحويل الانسان المصرى الى حقل تجارب، وتحاول تلك المنظمات زرع عادات جديدة ونمط عيش جديد بهدف فتح الاسواق امام المنتجات الاوروبية والامريكية، وتدفع تلك المنظمات بسخاء لكل من يشارك فى عملها سواء مباشرة او عن طريق المؤتمرات والندوات والحفلات.. الخ.والغريب ان الحكومة المصرية تعطى تسهيلات هائلة لتلك المنظمات فى حين تحاصر العمل الخيرى الاسلامي، مما يجعل اهل الصعيد يتساءلون عن السبب الكامن وراء هذا السلوك؟!

ميليشيات صديقة أم حروب أهلية؟!

د. محمد مورو

طالبت وزارة الدفاع الامريكية البنتاجون لجنة القوات المسلحة بالكونجرس الامريكى الموافقة على رصد ٥٠٠ مليون دولار لبناء ما اسمته شبكة من الميليشيات الصديقة حول العالم بدعوى محاربة الارهاب فى المناطق التى لاتستطيع الولايات المتحدة ارسال جيوش كبيرة اليها وحث بول وولفوفيتز نائب وزير الدفاع الامريكى - ومخطط غزو العراق - اللجنة على الموافقة على ميزانية هذا البرنامج وقال نائب وزير الدفاع الامريكي: ان هذه الاموال سوف تستخدم لتدريب قوات محلية وامدادها بالاسلحة للقيام بمهمات لصالح الولايات المتحدة واضاف ان هذا المبلغ سيتم استخدامه لتأمين الاوضاع - الصحيح لتفجير الاوضاع واثارة الحروب الاهلية - الداخلية فى مناطق متفرقة من العالم.

ولم يحدد وولفوفيتز اماكن او بلدانا محددة ستستفيد من برنامج اعداد الميليشيات الصديقة، ولكن وولفوفيتز قد حدد ان هذه الميليشيات الصديقة ستكون من المسلمين الذين يقبلون الحرب على الارهاب لصالح امريكا.

هذا التطور الخطير على ساحة التفكير العسكرى الامريكى يدل اولاً على فشل الجيوش فى تحقيق انتصار حاسم على ما اسمته الارهاب من ناحية، وعلى رغبتها فى توريط مسلمين للقتال ضد مسلمين كما نلاحظ ان الحكومة الامريكية قد استخدمت من قبل حكومات لهذا الغرض - الحكومة الباكستانية مثلا - ولكنها تريد توسيع نطاق هذه العمليات وعدم قصرها على الحكومات بل استخدام جماعات وقوى اقليمية للقيام بهذا الغرض، وهذا معناه - ببساطة شديدة - ان امريكا تريد تحقيق اكبر قدر من الحروب والصراعات والنزاعات بين الجماعات والقوى غير الحكومية، وبالتالى اثارة حروب اهلية ومن ثم تفكيك الدول والشعوب واثارة البغضاء وتفجير حمامات الدم بينها.

الاخطر هو ان امريكا تريد استخدام مسلمين امريكيين من اصول عرقية مختلفة ليكونوا حلقة الوصل فى اقامة العلاقات والتفاعل مع قادة الميليشيات الصديقة وان هؤلاء الامريكيين سيكونون شبكة من المستشارين مزدوجى الثقافة فى مناطق متفرقة من العالم.اى انها وقيعة مزدوجة بين القوى الشعبية المحلية، والمهاجرين من اصل اسلامى فى امريكا ايضا

نتائج غير منظورة

د. محمد مورو

العمليات الاستشهادية كلها بركة، فهى اولا تعبير عن حيوية امة تستطيع ان تنجب رجالا ونساء قادرين على الفعل فى ظروف شديدة القسوة وهى سلاحنا الوحيد حاليا فى معادلة التحديات الضخمة وحالة الاستكبار الاسرائيلى والامريكى ومحاولة انهاء وجودنا ورد بديهى على المذابح والمظالم التى تحدث لنا، وهو سلاح اثبت فعاليته فى كل الظروف ومهما كانت الظروف ولولا هذا السلاح العظيم لانتهت امتنا وكنا فى خبر كان، ولعل ابداع امتنا لمثل هذا السلاح هو دليل على انها امة غير قابلة للموت والنهاية وانها متشبثة بالحياة والكرامة مهما بلغت قوة الاعداء.

وهكذا فان العمليات الاستشهادية ترفع معنويات امتنا وتجعلها رافضة لليأس والخضوع، وهو سلاح يجدد خلايا الامة ويحييها بعد موت ويشفيها بعد مرض.

وعلى الجانب الآخر فان سلاح الاستشهاد يبث الرعب فى قلوب الاعداء ويجعلهم يحسبون لامتنا الف حساب بل نكاد نقول ان سلاح الاستشهاد استطاع فى حالة اسرائيل ان يدمر الفكرة الصهيونية ذاتها، والتى قامت فى جزئها الجوهرى على الحصول على ارض تكون آمنة لليهود، فاذا بسلاح الاستشهاد يجعل من تلك الارض - المفروض انها آمنة - اقل الاماكن امانا بالنسبة لليهود وهذا نسف للفكرة الصهيونية من جذورها،وبالتالى فالاثار الاستراتيجية لسلاح الاستشهاد شديدة الاهمية والخطورة، وهو ما يعترف به مفكرون صهاينة كبار حيث باتوا يشككون فى استمرار وجود اسرائيل ذاته.

ولعل من الطريف ان نرصد هنا ما اكدته دراسة عبرية اكاديمية من ان ارتفاعا كبيرا طرأ على حوادث السيارات فى اسرائيل وصلت نسبته الى ٥٣% وذلك فى اعقاب قيام الفلسطينيين بشن عملياتهم ضد اهداف صهيونية، وقد اجريت الدراسة بواسطة اكاديميين من الجامعة العبرية وجامعة برينستون، ومن اهم ماتوصلت اليه الدراسة، انه فى اليوم الذى يقع فيه الهجوم الفلسطينى على اهداف اسرائيلية واليوم التالى للعملية لايحدث اى تغيير فى حوادث السير عن المعدل الطبيعى وهو ٣,١ شخص يوميا، ولكن بعد مرور ثلاثة ايام من وقوع العملية الفلسطينية فان حالات الوفيات نتيجة حوادث السير على الطرق الاسرائيلية تزداد بنسبة ٥٣% بينما ترتفع تلك النسبة الى ٩٦% عندما يكون الهجوم الفلسطينى على اهداف اسرائيلية كبيرا وخطيرا

نظرية المؤامرة

د.محمد مورو

يحلو دائما لبعض المثقفين ان يرفع حاجبيه ثم يقول انا لست من انصار نظرية المؤامرة، ثم يتجاهل حقائق قاطعة تؤكد هذه النظرية، وذلك كنوع من التعالى الثقافى الزائف، وبديهى ان هناك مؤامرات استراتيجية وتكتيكية، ولكن الخطأ هو التطرف فى انكار النظرية او المغالاة فى ابعادها، والموقف الصحيح هو الاخذ بالحقائق ثم استنتاج ما تؤدى اليه مباشرة، سواء ادت الى ان المسألة هى نوع من التداعيات الطبيعية او انها مؤامرة بالفعل ثم تحديد ابعاد هذه المؤامرة دون تفريط او افراط.

لقد اكتشفنا مثلاً ان افكار الامبراطورية الامريكية كانت سابقة بكثير لأحداث ١١ سبتمبر، ومنها غزو العراق وافغانستان، وفرض النمط الامريكى على العالم العربى والاسلامى قسرا آخرها الشرق الاوسط الكبير واكتشفنا ان الاعداد لغزو العراق بدأ مبكراً مع ادارة بوش وان المسألة لا علاقة لها بما يسمى اسلحة الدمار الشامل، بل هذه الاخيرة استخدمت كتبرير او حجة ليس الا.

المسألة لم تعد مثار شك الآن، بعد صدور كتاب الصحفى الامريكى بووب وود الذى جاء بعنوان خطة الحرب والذى نشر مؤخراً فى الولايات المتحدة الامريكية واحدث دويا هائلا، وبالمناسبة فان بووب وود هو نفسه الصحفى الذى فجر فضيحة ووترجيت المعروفة ابان عهد الرئيس نيكسون، الكتاب يقول ان الرئيس الامريكى جورج بوش طلب من وزير الدفاع دونالد رامسفيلد وضع خطة حرب ضد العراق فى نوفمبر ٢٠٠١ ، وذلك بعد اقل من اسبوعين من الحرب على افغانستان وقبل عام والنصف من غزو العراق مارس ٢٠٠٣ ، وان بوش لم يكن مقتنعا تماما بملف اتهام صدام حسين لكن ذلك لم يمنعه من التحضير للحرب، وقد استند الصحفى بووب وود فى هذا الكتاب على معلومات استقاها من مقابلات مع ٧٥ مسئولا امريكيا من بينهم بوش ووزير الدفاع رامسفيلد، وقد اعترف البيت الابيض علنا بصحة هذه الوقائع وان هذه الخطة تم اعدادها ولم يتم ابلاغ مدير المخابرات بها ولا مستشارة الامن القومى كونداليزا رايس وان هناك حكومة منفصلة كانت - ولا تزال - تتخذ القرارات ومن ثم تمررها من الرئيس بوش وهذه الحكومة المنفصلة تتكون من نائب الرئيس ديك تشينى ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد وكبير المساعدين لويس ليبى ونائب وزير الدفاع بول وولفوفيتز ووكيل وزارة الدفاع دوجلاس فيث.

وهكذا فان قرار الحرب اتخذ والباقى تم تمثيله كمسرحية معدة سلفا سواء فى الامم المتحدة او خارجها، وكذا تسريب معلومات مغلوطة عن امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل وغيرها من الادوار المسرحية.. اليست هذه مؤامرة؟!.. او ابحثوا عن اسم آخر لها إن شئتم.

هذه هى أمريكا

د. محمد مورو

الولايات المتحدة الأمريكية لم تخيب الظن فيها، وتصرفت وفق تاريخها المعروف وتركيبتها التقليدية، فى الابادة والعنصرية واللانسانية فالقوات الامريكية حين اقتحمت الفلوجة لم تراع اى جوانب انسانية ومتى كانت عند امريكا انسانية !!
وبصرف النظر عن نتائج معركةالفلوجة فان شعب الفلوجة انتصر حين رفض الخضوع وقاوم على قدر استطاعته، واذا كانت النتائج الانسانية بشعة ومريرة فانها مهما كبرت اقل من بشاعة ومرارة الاستسلام فالخسائرالمادية والمعنوية فى حالة الاستسلام اعلى دائما من حالة المقاومة.
والقوات الامريكية رفضت السماح لمسؤولى الاغاثة بتسليم المساعدات الى السكان داخل المدينة اثناء المعارك، وكان هؤلاء السكان محاصرين ويعانون نقص المواد الطبية والاغاثية والغذائية، وقطعت مياه الشرب والكهرباء وهذه جريمة حرب كاملة الاركان ولكن من يرى ومن يسمع؟! وعلى تعبير فردوس العبادى المتحدثة باسم الهلال الاحمر العراقى واحمد الراوى المتحدث باسم اللجنة الدولية للصليب الاحمر فان قوافل الاغاثة تركت ثلاثة ايام امام ابواب المدينة ثم اضطرت للانسحاب فى النهاية بعد رفض القوات الامريكية السماح لها بالدخول، ويصف احد سكان المدينة الحالة التى كانت عليها المدينة بأن الوضع كان صعبا جداً، ولايوجد غذاء او ماء وان اولاده السبعة كانوا يعانون من اسهال حاد وان احدهم اصيب بشظية وكان ينزف ولايمكنه عمل شيء، وان الاسر المجاورة كانوا يعانون مثله.. وهذه هى الحرية على الطريقة الامريكية!!
ويصف محمد عواد عضو احدى لجان الاغاثة ان بعض الجثث قد نهشتها القطط والكلاب الضالة، وان المنظر كان مؤلما للغاية، وهذا يؤكد كذب الحكومة العراقية التى لم تتورع عن القول بأنه لايعتقد ان هناك مدنيين قتلوا خلال الهجوم على الفلوجة.
وقد اكدت منظمة العفو الدولية ان القوات الامريكية انتهكت قواعد حماية المدنيين وعلاج المصابين فى الحروب، وطالبت المنظمة بالتحقيق فى انتهاكات القانون الدولى الانسانى وقوانين الحروب وحقوق الانسان، وتقديم المسؤولين عن هذه الانتهاكات للعدالة

واشنطن خسرت الحرب

د. محمد مورو

المحلل الأمريكى الاستراتيجى الشهير جيمس دونيز - مدير مركز السياسات الدفاعية والامن العام فى واشنطن - توصل الى نتيجة بعد مرور اكثر من ٢١ شهرا على الغزو الامريكى للعراق مفادها ان الولايات المتحدة الأمريكية خسرت الحرب فعليا فى العراق، ففى مقال للرجل فى مجلة "فورين أفيرز" الامريكية قال "ان الولايات المتحدة فقدت ثقة العراقيين ويصعب عليها استردادها، وان مهمة واشنطن من وجهة نظر الشعب العراقى - وجيران العراق - تفتقر الى الشرعية والمصداقية، وان على واشنطن ان تنهى وجودها العسكرى فى العراق، لأن بقاء القوات الامريكية سوف يقود الى تصاعد تلك الهجمات التى تنظمها المقاومة العراقية ضد الوجود الامريكى فى العراق".

وفى الحقيقة فان محللا مرموقا مثل "جيمس دونيز" لم يصل الى تلك النتيجة اعتباطا ولكنه يترجم حقيقة باتت معروفة للجميع، لحلفاء امريكا قبل اعدائها، وهى نتيجة توصل اليها عدد هائل من مراكز الابحاث فى امريكا واوروبا، وعدد من المحللين والباحثين الاستراتيجيين وبالتالى اصبحت محل اتفاق، وهو شرف كبير للمقاومة العراقية بالطبع ان تهزم او تمنع على الاقل امريكا من تحقيق اهدافها فى العراق.

هذه النتيجة ذاتها التى اصبحت محل اجماع داخل مراكز الابحاث الغربية والامريكية، توصل اليها ايضا عدد من الباحثين العرب الذين لم يكونوا معادين لامريكا، او حلفاء لها،ولم يكونوا بالطبع يتمنون هزيمتها، ولعل ابرز هؤلاء هو الدكتور محمد السيد سعيد، وهو من الباحثين المرموقين والجادين بصرف النظر عن الرأى فيما يطرحه وقد توصل الرجل الى نتيجة مقاربة حيث قال فى مقال له بالاهرام: "ان الامريكيين يعلمون الآن ان مغامرتهم فى العراق كانت فاقدة للحكمة وانها حتى الآن خاسرة".